

المسح السباني

في شعر

المنظوم تراجماني

للإمام مصطفى بن عبد الرحمن باش نازي القسطنطيني

تقديم

فضيلة الشيخ مأمون الفاسمي الحسني

دراسة وتحقيق

الدكتور موسى إسماعيل

الجزء الثاني

محفوظ جميع الحقوق

الطبعة الأولى

1437هـ / 2016م

الردمك: 3- 45- 392- 9931- 978

[الصفات التي يستحق بها المريد الطرد من الطريق]

ولمّا فرغ من الكلام على الصّفات التي يجب على المريد أن يتّصف بها، أخذ يتكلّم على الصّفات التي يستحقّ المريد الطّرد من الشّيخ عند اتّصافه بها، فقال:

297 - يَا مُرِيدِينَ التَّيْسِيزِ الطَّالِبِينَ لِلْمَسِيرِ

298 - اطْرُدُوا هَذَا الْفَقِيرَ لِصَلَاحِ الْبَاقِيَا

(التَّيْسِيزُ) التَّسْهِيلُ، يُقَالُ يَسِّرُهُ اللهُ فَتَيَسَّرَ.

أي يا قاصدين التّسهيل⁽¹⁾ على الطّالبيين للمسير، أي السّير في طريق القوم، أطرّدوا الفقير المتّصف بالصفّات الآتي ذكرها.
وقوله: (لِصَلَاحِ الْبَاقِيَا) علّة للطّرد.

[سوء الخلق مع الإخوان والتعالّم على الشّيخ]

ثمّ بيّنه بقوله:

299 - مَنْ اشْتَكَى الْفُقَرَا مِنْهُ أَوْ تَكَبَّرَا

300 - لِعَقْلِهِ مُظْهِرَا لِلشَّيْخِ الْمُرَبِّيَا

يقول: إنّ المريد إذا اشتكى الفقراء منه، أي من سوء خُلُقِهِ، أو تكبّر عليهم، ونهاه الشّيخ عن ذلك ولم يتّبه، فإنّه يستحقّ الطّرد إن تحقّق منه ذلك وتكرّر.

(1) نهاية الورقة (69/ظ).

ويستحقّ الطّرد أيضا إذا كان مُظهرًا كَمَالَ عقله وحُسْنَ رأيه على شيخه.

و (مُظْهِرًا) خبر كان محذوفة مع اسمها⁽¹⁾، أو بقرينة العاطف قبله وتناسق الجمل.

و (لِعَقْلِهِ) صلة له، واللام من (لِلشَّيْخِ) بمعنى على.

و (المُرَبِّي) نعت للشَّيْخ، مفيد تخصيص المنعوت.

[هجران مجلس الشيخ وازدراء الإخوان]

قوله:

301 - لَا يَجْلِسُ ذِكْرُهُ لَا يَسْمَعُ وَعْظُهُ

302 - تَارِكُ اخْتِرَامِهِ بِإِخْوَانِهِ مُزْدَرِيَا

يعني أنّ ممّا يستحقّ به المريد الطّرد من الطّريق تركه حضور مجلس شيخه المُعَدّ للذكر أو الوعظ.

- أو اعتزاله درس شيخه المرتّب في أيّ فنّ من فنون العلوم الشرعيّة أو العقليّة لغير ضرورة.

- أو يحضر ولكن يشتغل بغير ما هو المطلوب، كمن يُلقِي السَّمْع وهو غير شهيد.

(1) [اسمها] ساقط من (ط) و (ه).

- أو كان تارك احترام شيخه.

- أو كان مزدرياً بإخوانه، بأن يفعل معهم ما يقتضي السخرية والاستهزاء على سبيل الازدراء، وقد ورد النهي عن ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ﴾⁽¹⁾.

وروى ابن أبي الدنيا: «إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابُ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ: هَلُمَّ، فَيَجِيءُ بِكَزْبِهِ وَغَمِّهِ، فَإِذَا جَاءَ أُغْلِقَ دُونُهُ»⁽²⁾.

[عصيان الشيخ ومراجعة أمره]

قوله:

- | | | |
|-------|---------------------------|-----------------------------|
| 303 - | لَا يَمْتَثِلُ أَمْرَهُ | وَلَمْ يَقْبَلْ نَهْيَهُ |
| 304 - | وَيُزَاجِعُ فِعْلَهُ | لَمْ يَعْقِدْ فِيهِ نِيًّا |
| 305 - | لَا يَحْضُرُ الْجَمَاعَةَ | وَلَا يَأْتِي الْجُمُعَةَ |
| 306 - | لِلْمَلَاهِي سَامِعًا | مُتَجَسِّسًا عَنْ شَيْخِيَا |
| 307 - | مُتَهَاوِنٌ بِطُهْرِهِ | مُتَكَاسِلٌ فِي فَرْضِهِ |
| 308 - | مَادِحٌ غَيْرُ شَيْخِهِ | عِنْدَ بَعْضِ إِخْوَانِيَا |

(1) سورة الحجرات: 11.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنميمة (ص: 44 رقم: 149)، وفي الصمت (ص: 168 رقم: 285)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/310 رقم: 6757) عن الحسن البصري مرسلاً.

يقول ممّا يستحقّ به المريد الطّرد من الطريق عدم امتثال أمر الشيخ ونهيه⁽¹⁾، ذلك بأن يترك ما أمره به طبيبه ويفعل ما نهاه عنه، فمن كان بهذه المثابة استحقّ الطّرد، لأنّه لا يجيء منه في الطّريق شيء.

وكذلك إذا كان ممّن يُراجِعُ شيخه في الأمور التي يفعلها، لأنّ ذلك أمانة عدم استحسان ما يراه شيخه.

وكذلك إذا لم يعتقد الكمال في شيخه باعتبار عصره، ويرى أنّ هناك من هو أجمع لصفات الكمال من شيخه.

[التهاون عن صلاة الجمعة والجماعة]

وكذلك يستحقّ الطّرد بتركه صلاة الجمعة أو تركه حضور الصّلاة جماعةً لغير عذر، لأن⁽²⁾ ذلك دليل تهاونه بالعبادات وعدم اكترائه بأنواع القُرْبَاتِ.

[ارتياد مجالس اللهو]

وكذلك إذا كان يجلس في أماكن اللهو، كالأماكن المُعدّة لشرب القهوة واستعمال آلات اللهو وغيرها من الأمور التي لا يُسوِّغُهَا الشّرع⁽³⁾، لأنّ ذلك يميّت القلب ويشغله عن ملاحظة ما يعنيه، ومن حُسِنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

(1) نهاية الورقة (70/و).

(2) في (ط) كان ذلك.

(3) ما ذكره الشارح يدل على مظهر اجتماعي في زمانه، وهو تخصيص أماكن لشرب القهوة وسماع الغناء، وأمّا في زماننا فقد انتقلت الملاهي وآلات اللهو واللعب وشرب الخمر إلى الحانات وبيوت الدعارة.

[التجسس على الشيخ]

وكذلك يستحقّ الطرد إذا كان يتجسس عن شيخه وهو في خلوته أو بيته، أو يستكشف حقيقة حاله بالبحث والسؤال عنه من الغير بعد الأخذ عنه، فإنّ التجسس منهّي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾⁽¹⁾.

[التهاون في الطهارة والتكاسل في أداء العبادة]

وكذلك إذا كان يتهاون بالطهارة ويتكاسل بالعبادة اللازمة كأداء الفرائض، فإنّ ذلك منهّي عنه، ووصف الله تعالى به المنافقين، فقال جلّ وعلا: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾⁽²⁾.

[التنقص من كمال أحوال الشيخ]

وكذلك إذا كان يُثني على غير شيخه من مشايخ عصره بحضرة الإخوان والتلامذة⁽³⁾، فإنّ ذلك علامة عدم اعتقاده الكمال في شيخه، فيُحرم الانتفاع بصحبته له، وربّما يكون ذلك سبباً لتثييط بعض إخوانه عن طاعة الله، ويُعدّ ذلك عقوقاً.

وقد روي: «أَنَّ الْعَاقَّ لَا يُزْفَعُ لَهُ إِلَى السَّمَاءِ عَمَلٌ»⁽⁴⁾.

(1) سورة الحجرات: 12.

(2) سورة النساء: 142.

(3) في (ط) التلاميذ.

(4) مما ورد في عدم رفع عمله ما رواه ابن أبي عاصم في السنة (1/142 رقم: 323)، والطبراني في الكبير (8/119 رقم: 7547)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (4/110 رقم: 1528) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَدِّبٌ بِالْقَدَرِ».

[تَصَدَّرُ مَجْلِسُ الذِّكْرِ بِدُونِ إِذْنِ الشَّيْخِ]

قوله:

309 - مُسْتَفْتَحٌ بِلاَ إِذْنِهِ وَلَوْ فِي غَيْبَتِهِ

310 - مُكْثِرًا لِضَحْكِهِ بِحَضْرَةِ الْمُرَبِّيَا

311 - يَرَى غَيْرَ طَرِيقِهِ خَادِمٌ غَيْرَ وَزْدِهِ

312 - مِنْهُمْكَ لِأَكْلِهِ مُكْثِرًا لِلْجَمْعِيَا

يقول: إِنَّ مِمَّا يَسْتَحَقُّ بِهِ الْمُرِيدُ الطَّرْدَ أَيْضًا اسْتِفْتَا حَهُ الذِّكْرُ⁽¹⁾ بجماعة من الإخوان⁽²⁾ بدون إذن شيخه، سواء كان الشيخ حاضرا أو غائبا، لأن ذلك علامة عدم احترام طبيبه.

قال سيدي أبو القاسم الجنيد: «مَنْ حُرِمَ احْتِرَامَ الْمَشَايِخِ ابْتِلَاَهُ اللَّهُ بِالْمَقْتِ بَيْنَ الْعِبَادِ»⁽³⁾.

[الإكثار من الضحك]

وكذلك إذا كان مكثرا الضحك⁽⁴⁾ ولا سيما في المسجد بحضرة الشيخ، فقد ورد النهي عنه.

(1) نهاية الورقة (70/ظ).

(2) في (ط) و (هـ) إخوانه.

(3) مما ورد في احترام المشايخ ما رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (ص: 388) عن سفيان الثوري قال: «إِذَا رَأَيْتُ الشَّابَّ يَتَكَلَّمُ عِنْدَ الْمَشَايِخِ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ مُبْلَغًا، فَأَيْسَ مِنْ خَيْرِهِ فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْحَيَاءِ».

(4) في (هـ) مكثرا للضحك.

قال النووي في شرح مسلم: «قال العلماء، يكره إكثار الضحك، وهو في أهل الرتب والعلم أقبح»⁽¹⁾.

وروى ابن ماجه في السنن: «لَا تُكثِرُوا الضَّحْكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»⁽²⁾.

وفسر بعضهم قوله بالقساوة⁽³⁾.

وفي النوادر⁽⁴⁾ وأبي الشيخ: «إِنَّ الْأَخْمَقَ يَضْحَكُ مِنْ كُلِّ مَا يَرَاهُ»⁽⁵⁾.

وروى السيوطي في الجامع⁽⁶⁾: «الضَّحْكُ ضَحْكَانٍ: ضَحْكٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَضَحْكٌ يَمُقُّهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الضَّحْكُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ فَالرَّجُلُ يَكْثُرُ فِي وَجْهِ أَخِيهِ حَدَاثَةً عَهْدِهِ بِهِ وَشَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِ.

(1) شرح صحيح مسلم (79/15).

(2) رواه البخارى فى الأدب المفرد (98/1 رقم 253)، وابن ماجه (2/1403 رقم 4193). وصححه البوصيرى فى مصباح الزجاجة (4/233).

(3) انظر حاشية السندى على سنن ابن ماجه (2/548).

(4) هو كتاب نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، الإمام الحافظ، العارف الزاهد، الصوفي الحكيم، صاحب التصانيف، المتوفى رحمه الله نحو 320هـ - 932م. انظر ترجمته في: حلية الأولياء (10/233 - 235)، وسير أعلام النبلاء (13/439 - 422)، وطبقات الشافعية الكبرى (2/245).

(5) لم أعثر عليه فى نوادر الأصول، ولا فى غيره من كتب الحديث الموجودة بين يدي.

(6) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأنصاري الأصبهاني، المعروف بأبي الشيخ، الحافظ الكبير، ومحدث أصفهان، صنف تاريخ أصفهان، وكتاب السنة، وكتاب العظمة، وكتاب ثواب الأعمال، وكتاب السنن، توفي رحمه الله سنة 369هـ - 979م.

له ترجمة فى: سير أعلام النبلاء (16/276 - 280)، وتاريخ الإسلام (26/418 - 420)، والوافى بالوفيات (17/262).

وَأَمَّا الضَّحِكُ الَّذِي يَمُقُّهُ اللَّهُ تَعَالَى فَالرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةِ الْجَفَاءِ⁽¹⁾
وَالْبَاطِلِ لِيُضْحِكَ أَوْ يُضْحَكَ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا⁽²⁾.

وقوله: (بِحَضْرَةِ الْمُزَيَّنَا) ظرف استقرار حال من (لِضَحِكِهِ).

وكذلك إذا كان يستحسن طريقا من الطرق غير طريق شيخه، أو
كان يستعمل وردا مغايرا للورد الذي رتبته له شيخه.

أو كان مُنْهَمِكًا فِي اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، مُكْثِرًا مِنَ الْأَكْلِ
ومخالطة النَّاسِ فِرَادَى وَجَمَاعَاتٍ.

تتمة [في أن الحكمة من الطرد المحافظة على صلاح باقي الإخوان]

نتيجة طرد مَنْ اتَّصَفَ بِمَا ذَكَرَ إِصْلَاحَ بَاقِي الْفُقَرَاءِ، فَإِنَّ الْوَاحِدَ
قَدْ يَفْسِدُ الْمَائَةَ، وَفِي ذَلِكَ قِيلَ⁽³⁾:

وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فَإِنَّمَا يُزَيِّنُ وَيُزِرِّي بِالْفَتَى قُرْنَاؤُهُ

وفي الحديث: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيُخْتَرْ أَحَدُكُمْ مَنْ
يُخَالِلُ»⁽⁴⁾.

(1) في (ط) الجناء.

(2) رواه هناد في الزهد (2/552) قال: حدثنا المحاربي، عن عباد بن كثير، عن حدثه،
عن الحسن، «فهو ضعيف جدا، أرسله الحسن ولم يسنده، وعباد بن كثير ضعيف،
وفيه راو مجهول.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو ليحيى بن أكتم القاضي، انظر الظرف والظرفاء
للوشاء (ص: 16).

(4) رواه أحمد (13/398 رقم: 8028)، أبو داود (4/259 رقم: 4833)، والترمذي
(4/589 رقم: 2378) وقال: حسن غريب، وعبد بن حميد (ص: 418 رقم: 1431)،
والطيلالسي (4/299 رقم: 2696)، والحاكم (4/189 رقم: 7320) وصححه ووافقه
الذهبي، والقضاعى (1/141 رقم: 187) جميعهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[آداب المريد مع شيخه]

ولمّا فرغ من الكلام على آداب المريد في نفسه، وعلى الصّفات التي يستحقّ بها الطّرد، شرع في ذكر آداب المريد مع شيخه، وهو الضّرب الثّاني من ضروب الآداب الثلاثة، فقال:

313 - أَذْبُكَ يَا حُبِّي مَعَ شَيْخِكَ الْمُرَبِّي

314 - عَدَّهَا فِي الْكُتُبِ سَادَتُنَا الصُّوفِيَا

الأدبُ رياضة النّفس ومحاسن الأخلاق.

قال أبو زيد⁽¹⁾: «الأدبُ يقع على كلّ رياضة محمودة⁽²⁾ يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»⁽³⁾.
وقال الأزهرّي⁽⁴⁾ نحوه⁽⁵⁾.

(1) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، كان عالم البصرة باللغة وغريبها، وكان أنحى من أبي عبيدة والأصمعي، كثير الرواية عن الأعراب، له كتاب النوادر، وكتاب الهمز، توفي رحمه الله سنة 215 هـ - 830 م.
له ترجمة في: تاريخ بغداد (9/ 78 - 81)، ووفيات الأعيان (2/ 378 - 380)، وسير أعلام النبلاء (9/ 494 - 496).

(2) نهاية الورقة (71/و).

(3) انظر المصباح المنير (1/9)، والمغرب للمطّري (ص: 22).

(4) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهرّي الهروي الشافعي، الإمام العلامة صاحب كتاب تهذيب اللغة المشهور، كان رأساً في اللغة والفقه، توفي رحمه الله سنة 370 هـ - 981 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (16/ 315 - 317)، ووفيات الأعيان (4/ 334)، وطبقات الشافعية الكبرى (3/ 63 - 68).

(5) انظر تهذيب اللغة (14/ 147).

وفي القاموس: «الْأَدَبُ الظَّرْفُ وَحُسْنُ التَّنَاولِ، فهو اسم لذلك، والجمع آداب، كسبب وأسباب»⁽¹⁾.

والجِبُّ بالكسر استعملوه مصدرا واسم مصدر واسما للمحبوب، وهو المراد هنا، واستعماله في المحبوب قيل أصالة، وقيل من إطلاق المصدر على اسم المفعول مجازا لعلاقة التعلق.

وقوله: (سَادَتُنَا الصُّوفِيَّةُ) فاعل (عَدَّهَا)، وأراد بذلك الإخبار بأن هذه الآداب وصلت إلينا على لسان السادة المذكورين، وأنها ثبتت عندهم، فهم أمناء الله على خلقه، لأنهم لا يشبتون أدبا إلا وله مأخذ إما من الكتاب أو السنة أو من الاستحسان أو القياس أو الإجماع، لأنهم هم الوسائط بين الله وبين خلقه بوساطة النبي ﷺ، حيث إنهم جاؤوا على القدم المحمدي والطريق الأحمدي.

فمن الضرب الثاني، مما وجب على المريد مع شيخه المربي له، تربية ينال بها سعادة الدنيا والآخرة، ما أشار له بقوله:

315 - لَا تَمْشِ أَمَامَهُ وَلَا تَأْكُلْ مَعَهُ

316 - لَا تَنَامَ عِنْدَهُ لَا تُرَى مُتَكِيَا

317 - وَتُجَالِسَ ذِكْرَهُ لَا تُفَارِقْ وَغِظَهُ

318 - وَتُلَازِمَ دَرْسَهُ إِنْ بَدَأَ مُقْرِيًا

319 - وَاجْلِسْ جَلْسَةَ الْمَمْلُوكِ عِنْدَ حَضْرَةِ الْمُلُوكِ

(1) القاموس المحيط (ص: 58).

320 - يَا طَالِبَا لِلْأَلْوَكِّ وَمَقَامِ الْأُولِيَا

321 - وَتَخَفُضْ لَهُ صَوْتَكَ وَتُطْرِقْ لَهُ رَأْسَكَ

322 - وَأُخْكَيْنِ لَهُ وَخِيكَ لَا تَكْتُمُ عَنْهُ شَيْئًا

يعني أنّ من جملة الآداب اللازمة للمريد مع شيخه أن لا يمشي أمامه إلاّ بليل، ليكون متلقياً لما يطرأ غالباً، لأنّ المشي ليلاً مهاويه كثيرة، كوقوع في حجر أو حفيرة أو عثرة في شيء أو ملاقة حيوان ضار أو عدوّ أو رؤية ما يكره فجأة، فإذا قصد المريد مفاداته⁽¹⁾ فلا بأس بتقديمه عليه، وأمّا إذا لم يكن من ذلك شيء فليمش خلفه، مع ظنّه أنّه مطلع عليه، مُقْتَفِيًا⁽²⁾ لأثره باطنا و ظاهرا، غير ملتفت في مشيه وغير مكترث بما يراه، ولا مشغول بأحد في طريقه بخطاب أو غيره، بل يكون ملاحظا⁽³⁾ أستاذه، منتظرا لما يحدث له من كلّ شيء، خصوصا في زماننا، فإنّ الطّرقات قلّ أن تخلو من مناكير يجب الكفّ عن رؤيتها لعدم القدرة على إزالتها، فإذا كان الإنسان مغضيا عنها كان أسلم له في دينه ودنياه، سالكا سبيل النجاح والنجاة.

(1) في (هـ) مقاداته، والمفاداة: إذا أعطى فِدَاءَهُ وَأَنْقَذَهُ، يقال: فِدَاءُهُ يَفْدِيهِ فِدَاءً وَفَدَى، وَفَادَاهُ يُفَادِيهِ مُفَادَاةً، وَتَفَادَى الْقَوْمُ اتَّقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَجْعَلُ صَاحِبَهُ فِدَاءً، انظر المصباح المنير (2/465) مادة: فدى.

(2) في (ط) مقتف.

(3) نهاية الورقة (71/ظ).

ومن الآداب الواجبة على المريد في حق شيخه⁽¹⁾ أن لا يأكل هو وإيَّاه على مائدة واحدة، بل ينتظره ويأكل بقيّة أكله، فإنّه بمؤاكلته يشاهد منه ما لا بدّ له منه، وربّما يداخل المريد من ذلك ما يُوسّوس به إليه الشيطان، فعدم مؤاكلته أنسب لحفظ خواطر المريد وعدم تشويشه.

ومنها أن لا ينام بحضرة شيخه، ولا يتكئ على شيء ويعتمده، ولا يتشاءب، لأنّ ذلك مظنة عدم المبالاة بالشيخ والاحترام له، ومن صحب الأساتذة على غير طريقة الاحترام حُرِّم مددهم وثمرات لحظاتهم، ولذلك قيل «ما حُرِّم المريدون الوصول إلّا بتركهم الآداب والأصول، فطالت عليهم الطّريقة وربّما مات أحدهم في أثناءها ولم يحصل له حاصل».

ومنها ملازمة مجلس الذكر الذي ربّبه الشيخ صباحا ومساء للمريدين، فإنّ مدد كلّ شيخ يكون في ورده، ومن ترك ورد شيخه حُرِّم مدده، وإذا كان للمريد عذر في تخلفه عن مجلس الذكر فليذكره له، فإن ظهر له صدقه عذره، وإلّا ناقشه وبيّن له عدم صدقه وتقصيره في عبادة ربّه ليرجع عن ذلك.

ومنها أن لا يفارق مجلس وعظه وتذكيره، وكذلك مهما بدأ الشيخ في قراءة فنّ من فنون العلم، وجب على المريد ملازمة درسه

(1) في (ط) مع شيخه.

وعدم تخلفه عنه ما دام الشيخ بصدد التدريس، فربما يُفْتَحُ عليه في درس ما يعمر وجوده من العلم والعمل ولو كان أُمِّيًّا، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾⁽¹⁾.

ومنها أن يجلس بين يدي شيخه، مستوفزا متأدبًا، بسكينة ووقار، كجلوس العبد بين يدي سيده.

قال سيدي مصطفى البكري:

وَانْظُرْ إِلَيْهِ وَاجْلِسْ فِي حَضْرَتِهِ مِثْلَ مُصَلٍّ جَالِسًا فِي هَيْئَتِهِ

يعني من آداب المريد مع شيخه جلوسه⁽²⁾ في حضرته مثل جلوسه في الصلاة، كي لا تذهب حُرْمَتُهُ من قلبه فيُحْرَمَ من الانتفاع بمجالسته.

وليحذر من الإكثار من مجالسته، بل يقتصر على قدر الحاجة.

وأشار بقوله: (يَا طَالِبًا لِلسُّلُوكِ) إلخ، أن هذه الآداب واجبة على القاصدين سبيل السالكين، الراغبين في مقامات الأولياء والصالحين.

ومنها أن لا يجهر بالقول بحضرة شيخه، بل يخفض صوته ولو كان جهوري الصوت، بحيث يكون صوت شيخه أرفع من صوته، وأصل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية⁽³⁾، لأن المشايخ المربين ورثة الأنبياء والمرسلين.

(1) سورة البقرة: 282.

(2) نهاية الورقة (72/و).

(3) سورة الحجرات: 2.

وكذلك إذا خاطبك فلتُطرق⁽¹⁾ رأسك إذا أجبتَه وسارقه بالنَّظر،
يعني أنَّه يجب على المريد أن لا يديم حدَّة النَّظر إلى شيخه،
بل يسارقه بالنَّظر، لأنَّ دوام النَّظر يناقض الإطراق المأمور به والخشية
المقتضيين للإجلال والهيبة.

ومنها أن يحكي لشيخه ما تكرر عليه من الوَحْيَيْن، المنام
والخاطر كما مرَّ، ولا يكتُم عنه شيئاً من أحواله الحسنة أو ضدّها.

قال سيّدي مصطفى البكري: «وعنه ما كان فلا تُخفِّهِ».

يعني أنَّه لا يكتُم المريد على أستاذه من أحواله كلّها شيئاً ممّا
يتعلّق بالطَّريق وآدابه، بل يعرض جميع ذلك عليه، لأنَّ الشَّيخ
كالطَّبيب، فكما أنَّ الطَّبيب يجب أن يطلّع على المريض ويعلم جميع
ما فيه من العلل والأمراض، ليعرف أسبابها وعلاجها على ما يُطابق
الواقع في نفس الأمر، فكذلك المريد مع شيخه، يجب عليه أن لا
يكتُم حالاً من أحواله ليكون شيخه في ذلك على بصيرة في معالجته
وتطبيبه، وإن كان عارفاً ذلك بدون تعريف؛ وكذلك إذا سأله شيخه
عن شيء فإنَّه يجب عليه أن يخبره بما هو الواقع من علم ذلك الشيء.

[التأدب مع الشيخ في مجلسه وفي طرق بابِه]

قوله:

323 - وَأُتِيهِ طَاهِرًا وَاجْلِسْ فِيَمَا يَرَا

324 - وَإِنْ نَادَاكَ بَادِرًا لَهُ وَقُمْ سَاعِيَا

(1) في (هـ) فلتصرف.

325 - لَا تَطْرُقُ عَلَيْهِ بَابٌ وَاجْلِسْ وَرَاءَ الْحِجَابِ

326 - وَادْكُزْ جَهْرًا لِلْحِجَابِ عَسَى يَغْطِفَ⁽¹⁾ مَوْلَايَا

يقول رحمه الله تعالى: من آداب المريد مع شيخه الواجبة عليه أن لا يدخل عليه ولا يجلس بين يديه إلا على طهارة ظاهرا وباطنا، مسلما مستسلما.

قال سيدي أبو مدين⁽²⁾ رحمه الله تعالى: «ما دخلت في ابتداء أمري على شيخ حتى أغتسل وأطهر ثوبي وكل ما علي وأطهر قلبي، وإن أعرض عني وتركني فالعيب مني».

فإذا انبعث من الشيخ صدق العناية وانبعث من باطن المريد صدق المحبة، ترقى المريد إلى مراقي القبول بدون محيد.

ومنها أيضا أنه إذا أتى شيخه، على الكيفية المذكورة، فليجلس بمرأى من الشيخ كيلا يتكلف الشيخ بالسؤال⁽³⁾ عنه إن

(1) نهاية الورقة (72/ظ).

(2) هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، من مشاهير الصوفية، أصله من الأندلس، أقام بفاس ثم سكن بجاية وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور فخرج إلى تلمسان وتوفي رحمه الله بها سنة 594هـ. 1198م، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها، صنف مفاتيح الغيب لإزالة الريب، وأنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد.

له ترجمة في: نيل الابتهاج (ص: 193 - 199)، وكفاية المحتاج (ص: 141 - 145)، وشذرات الذهب (303/4)، وشجرة النور (508/1)، وتعريف الخلف (180/2 - 186).

(3) في (ج) من السؤال.

احتاجه، ويكون مع ذلك ساكتا خاضعا مُطرقا رأسه كما مرّ، غير مديم النّظر لشيخه بل يسارق النّظر مسارقة، ولا يقيم قطّ بصره في بصره، لأنّ إدامة النّظر إليه تسقط هيئته فيُحرم بركته.

وفي بعض النّسخ واجلس فيما لا يرى، وهو الذي في التّحفة، فإنّه قال: «ومن الآداب أن لا يجلس في مكان حيث لا يراه الشّيوخ وإذا دعاه سمعه».

ولكلّ وجهة؛ فإن استدعاه الأستاذ أجابه فوراً وسعى مبادراً لما يُراد منه من غير تراخ.

ومن توجّه إلى أستاذه لغرض عنّ له فلا يطرُق على شيخه باب خلوته أو داره ومنزله، وليقف خلف الباب، ووراء السّتر والحجاب، وليذكر الله تعالى جهراً، فإن سمعه وآذنه بالدّخول دخل وإلاّ انصرف، لأنّ ذلك منزل منزلة الاستئذان، وهو من الآداب الواجبة على المريد.

قال سيّدي مصطفى البكريّ:

وَاسْتَأْذِنْ الْخَادِمَ لِلدُّخُولِ تَرْقَى إِلَى مَنَازِلِ الْقَبُولِ

وإنّما كان ذلك من الآداب الواجبة مخافة أن يفاجئه ما لا يقدر على تحمّله.

كما يحكى عن بعضهم أنّه دخل على شيخه بغير إذن فلم يره، فرجع يسأل عنه ف قيل له: إنّهُ هناك، يعني المكان الذي لم يجده فيه، فرجع ثانيا فوجده جالسا، فابتدره الشّيوخ وقال له: لا تُعْذُ لمثل هذا، فإنّي حين دخلت أوّلا كنت في طور لو دنوت منّي لاحتقرت.

والاستئذان سُنة⁽¹⁾ معلومة، وهذا الأدب غير مختص بالأساتذة بل هو أدب عام⁽²⁾، لما فيه من حسن المؤاخاة والصحبة.

وقوله: (عَسَى يَعْطِفُ مَوْلَايَا) تتميم، فإنّ التأدب مع المشايخ مظنة الشفقة والرحمة.

[استئذان الشيخ والعمل بكلامه]

قوله:

327 - لَا تَذْهَبْ بِلَا إِذْنِهِ لَا تَفْعَلْ بِلَا أَمْرِهِ

328 - وَاعْمَلْ بِكَلَامِهِ وَلَوْ كَانَ خَاطِئًا

329 - لَا تَتَشَاءَبْ يَا فَتَى لَا تَتَرَبَّعْ قَدْ أَتَى

330 - هَكَذَا قَدْ ثَبَتَا وَعَنْ مِيزَانِكَ فَاِنْيَا

يقول: ومن الآداب اللازمة للمريد في حقّ شيخه أن لا يذهب في مذهب من المذاهب، كالسفر ونحوه، إلّا إذا استشار شيخه، فإنّه أوسع إطلاعا منه.

وكذلك يتعيّن على المريد أن لا يتلبّس بفعل شيء من المباحات إلّا بعد أن يأذن له فيه الأستاذ، لأنّه لا يأذن له إلّا فيما فيه السداد والرشاد.

(1) نهاية الورقة (73/و).

(2) يدل عليه ما رواه مسلم (1694/3 رقم: 2153) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ».

وأشار بقوله: (وَاعْمَلْ بِكَلَامِهِ) إلى أنّ المرید يجب عليه أن یسلّم
أمره كلّها لشیخه، وأن یعمل بما أراد منه الشیخ وأشار به علیه ولو
كان مخالفا بحسب الظاهر لما هو الأنسب، فقد یحصل من الشیخ⁽¹⁾
ما لیس بمناسب حصوله منه، لكنّ الحکمة تقتضي ذلك، وهي مكنونة
لا یطلع علیها غیره، ولا یعرض علیه لأنّ الاعتراض یوقع فی
الأمراض.

وقوله: (وَلَوْ كَانَ خَاطِئًا)، فی التّعبیر بلو إیماء إلى عدم وقوع
الخطأ فی الحقيقة، بل على سبیل الفرض والظهور، والغرض من ذلك
تحریض المرید على اتّباع شیخه وتسليم أمره إلیه فی كلّ حال، على
أنّ وقوع ذلك من الأساتذة لیس بمُحال، لكن یحفظ الله تعالی منهم
من حقّته العناية الأزلیّة، وسبقت له السعادة کلّیّة، فإنّ ماعدا الأنبياء
علیهم الصّلاة والسّلام غیر معصوم من الخطأ ونحوه.

ومن آداب المرید مع شیخه أن لا یتشاءب، ولا یجلس متربعا
بحضرته، إلّا إذا أمره الشیخ بالجلوس متربعا فإنّه یسوغ له حیثنذ.

وأشار بقوله: (وَعَنْ مِيزَانِكَ فَأَيْنَا)، إلى أنّ من جملة
الآداب المتعیّنة على المرید لشیخه أن یكون بین یدیه كالمیّت بین
یدی غاسله، کُنّی بالفناء عن المیزان⁽²⁾ عن تفویض الأمر إلى الشیخ،
حيث لا یختار لنفسه إلّا ما اختاره شیخه له من أمور العبادات أو

(1) [وأشار به علیه یحصل من الشیخ] ساقط من (ه).

(2) نهاية الورقة (73/ظ).

العادات، حتّى يكون في جميع حالاته كالميت بين يدي الغاسل يقلّبه كيف شاء، لا يُؤدّي خلافا لما أَراده منه، لعدم الإرادة منه لشيء أبداً.

وهذا الأدب هو في الحقيقة أكد الآداب جميعها، وعنه تتفرّع بقيّتها، ولكن يجب مراعاة جميع ذلك في حضوره وغيبته لمن اعتنى بأسباب فتح بصيرته.

[ترك استعمال أغراض الشيخ الخاصة به]

وأشار بقوله:

331 - لَا تَوَسِّدْ وَسَلِّدْهُ لَا تَطَأْ سَجَادَتَهُ

332 - وَإِنْ أَعْطَاكَ ثَوْبَهُ اخْذَرْ أَنْتَ عَاصِيَا

إلى أنّ من آداب المريد مع شيخه أن لا يستعمل شيئاً لأستاذه، كوسادته وسجّادته وردائه ونحو ذلك ممّا يختص به ويستعمله، لأنّ كلّ شيء له حقيقة وحال يعطيه ووارد يخفيه، وليس للمريد قوّة أستاذه، فإذا توقّى المريد استعمال شيء من مختصّات أستاذه، ظهرت له الفائدة عند إعطائه شيئاً منها لتوفّر همّته عند ذلك، ولما في استعمال وسادته ووطئ سجّادته من الإشعار بعدم المبالاة بحُرْمَتِهِ؛ وإنّما سُمّي ما يجلس عليه سجّادة لأنّ أكثر استعمالها للصلاة، فكانت أبلغ من غيرها في كثرة السجود عليها.

والمراد بالوطء القعود أو مطلق الاستعمال مجازاً، من إطلاق اللّازم وإرادة الملزوم، بل من الآداب أن لا يُوجد المريد في مكان

شيخه المعد له، ولا يزاحمه بمنكبه، وإذا غاب عن مكانه المخصوص به فليس لأحد أن يجلس فيه ولو كان موضع الذكر، بل يُترك له مقدار ما يسعه، لأن حقيقة تحضر فيه، وقد شوهذ ذلك، لكن إذا كان في الحلقة خليفته فله أن يجلس فيه، وإن تركه أدبا فلا بأس به.

ومنها ما أشار إليه بقوله: (وَإِنْ أَعْطَاكَ ثَوْبَهُ) إلخ، يعني أن الأستاذ إذا أعطاك شيئا من ملبوساته وقال ألبسه، فليلبسه فوراً، لكن يجب على المريد توقير ذلك الشيء، ويجتهد في نفسه أن يكون على أخلاق شيخه⁽¹⁾ وعلى أحواله الظاهرة والباطنة، لئلا يسيء الأدب مع ذلك الشيء، لأن لكل شيء حقيقة مدركة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَكُنَ شَيْءٌ إِلَّا يَسْحُبُ بِحَبْرِهِ﴾⁽²⁾.

وحكي أن بعض المشايخ دفع إلى مريد له ثوبا ليلبسه فلبسه، وكان له جارية سوداء قد اشتراها قريب عهد، فأراد المريد أن يضاجعها، فأحس بشيء يتحرك في الثوب، فتفقدته فوجده عقرباً، فأخرجه وقتله ولم يتفطن، ثم عاد إلى ما أراده أولاً فأحس بذلك كذلك، ففعل كالأول ولم يتنبه أيضاً لآداب احترام ثياب المشايخ، فعاد ثالثاً لما قصده أولاً فوقع له مثل ذلك فتنبه ونزع الثوب عن بدنه، وسأل الجارية عن استبرائها فأخبرته بأنها حبلى من مولاها الأول، فحمد الله على ذلك التنبه وقام مستغفراً تائباً.

(1) نهاية الورقة (74/و).

(2) سورة الإسراء: 44.

فانظر إلى بركة ذلك القميص كيف حفظ المريد من الحرام والتنجيس.

وقوله: (إِخْذُزْ أَنْتَ عَاصِيَا) معناه احذر أن تكون عاصيا فيه، فحذف أن تكون، وصلة (عَاصِيَا) وهو فيه للوزن.

[التفاني في خدمة الشيخ]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

333 - لَا تَذْكُرْ بِسَبْحَتِهِ وَلَا تَسْأَلْ مِنْ خِدْمَتِهِ

334 - لَا تُكْثِرْ مِنْ جُلُوسِهِ وَلَا ظَهْرَكَ مُوَالِيَا

يعني من الآداب اللازمة للمريد مع شيخه أن لا يذكر بسبحته، لما تقدم تقريره من عدم جواز استعمال ما يختص به.

ومنها أيضا أن لا يسأله من خدمة شيخه، بل يلزم ما أقامه شيخه فيه من مآربه.

قيل: إن إقامة المريد في خدمة شيخه ساعة أفضل من رياضة سنة.

والقيام بالخدمة يثمر⁽¹⁾ كمال الصَّحبة، وَمَنْ صَحَّتْ لَهُ صَحْبَةٌ أَسَازَهُ مَسْتَحُوذَا عَلَيْهِ كُلِّ اسْتَحْوَاذِهِ فَقَدْ ظَفَرَ بِالْكَنْزِ الْعَظِيمِ، وَنَالَ السَّعَادَةَ وَالتَّكْرِيمَ.

(1) في (ج) و (هـ) يمر.

ولا فرق بين أن يقيمه في خدمته أو خدمة داره وأهله أو خدمة الفقراء إخوانه، سفرا أو حضرا، فإنّه إنّما يستعمله فيما يراه خيرا له من كلّ وجه.

وحكي⁽¹⁾ عن بعضهم أن شيخه أمره بخدمة البغلة في الإصطبل فامتل ومكث سنين، حتى دنت وفاة الشيخ، فتناول أكابر أصحابه للإذن لهم في الخلافة بعده⁽²⁾، فقال الشيخ ائتوني بفلان، فجيء به من الإصطبل، فأجلسه على سجّادته وقال له تكلم على إخوانك في الطّريق، فأبدى لهم العجائب والغرائب نظما ونثرا حتى انبهرت عقول الحاضرين.

ومنها أن لا يكثر من مجالسة شيخه، لأنّها تسقط حُرْمَتُهُ من قلبه، وقد اتّفقت كلمتهم على أنّ المريد لا يترقى إلّا إذا لَزِمَ حُرْمَةَ الشيخ. ومنها أن لا يولّي ظهره للشيخ أبدا كيما ينال فوزا أو رشدا، بمعنى أن لا يجعل شبح شيخه وراء ظهره، لأنّ ذلك ممّا يؤذّن بقلّة الأدب في سرّه وجهره، إلّا إذا كان لأمر ضروري لا يتأتّى إلّا بذلك فإنّه يباح له في وقته.

ويحتمل أن يكون المراد من قول المصنّف رحمه الله تعالى: (وَلَا ظَهْرَكَ مُوَالِيَا) الكناية عن الإعراض عن الشيخ والإدبار

(1) في هامش (ج) اعرف كرامة خدمة المشايخ، فقم ساعيا في خدمتهم بالأمانة تسعد.

(2) نهاية الورقة (74/ظ).

عنه، كما يقال: فلان أدبر عن بحث كذا والتفت إلى بحث آخر، بمعنى أن المريد لا يجعل أستاذه كأنه وراء ظهره، ولا يراه مشاهدا له في كل أحواله، بل يجعله مستقبلا له مشاهدا له كل أحواله، على حدّ قوله تعالى: ⁽¹⁾، فإنه كناية عن عدم إتباعه والعمل بما فيه.

[تعظيم مكان الشيخ وثيابه]

ثم قال:

335 - عَظِّمَنَّ أَمَّاكِنَّهُ وَتَأَدَّبْ كَأَنَّهُ

336 - وَإِنْ أَعْطَاكَ ثَوْبَهُ إِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَا

يعني أنّ المريد إذا أتى إلى مكان جلوس شيخه ولم يره جالسا كعادته فليجلس بسكينة ووقار، متخيلا كأنه بين يديه، تعظيما لمجلس شيخه، لأنّ بقاع العبادة ومجالس الصالحين لها مزيد فضل على غيرها من البقاع.

وخبر (كَأَنَّهُ) محذوف تقديره حاضر، والمعنى أنّ المريد يتأدّب في أماكن شيخه إذا كان الشيخ غائبا عنها كتأدّبه فيها إذا كان شيخه حاضرا.

وقوله: (وَإِنْ أَعْطَاكَ ثَوْبَهُ) شرط وجوابه (إِيَّاكَ) بحذف الفاء للوزن.

(1) سورة البقرة: 101.

والمعنى أن من آداب المريد مع شيخه أنه إذا أعطاه ثوبه فلا يعطيه لأحد، لأنه ربّما يكون طوى له فيه سرّاً من الأسرار التي تمنحه سعادة الدارين، وتقربه إلى حضرة ربّ العالمين، أو جمع له فيه جملة من أخلاق⁽¹⁾ العارفين، لأنّ مقام الصّالحين يعلو عن أن تكون أفعالهم سدى.

قال الشّعرائيّ رحمه الله تعالى في مدارج السّالكين: «وقد وهب بعض الأشياخ رداءه لمريده، فرآه قد مدّه وبسطه على رجله، فقال له: يا ولدي احفظ الأدب مع أثر الفقراء وعظّمه، فإنّ الله عزّ وجلّ ما جعل الرّداء للرّجلين وإنّما جعله للكتفين».

وقد حذّر الشّيخ المصنّف رحمه الله تعالى سابقاً من تلبّس المريد بالمعصية وهو لابس ثوب شيخه، فصدور المعصية من لابس ثوب شيخه أقبح وأفزع من صدورها من غير لابس.

وألّف (تُعْطِيَا) بدل من الهاء للقافية، والأصل تُعْطِيَه.

[تعظيم أولاد الشيخ وأصحابه وأشياؤه]

وأشار بقوله:

337 - فَأَكْرِمُوا أَوْلَادَهُ وَأَكْرِمُوا أَصْحَابَهُ

338 - وَأَكْرِمُوا أَشْيَاءَهُ لَوْ مَيِّتًا أَوْ حَيًّا

(1) نهاية الورقة (75/و).

يعني أنّ من آداب المريد مع شيخه أن يعظّم أولاده وأصحابه وأتباعه، وأراد بأشياءه أدواته ممّا لا يعقل، وسواء كان الشيخ حيّا أو ميتّا، فإنّ تعظيمهم وإكرامهم واحترامهم تعظيم للشيخ، وترك ذلك⁽¹⁾ سوء أدب، ومن ساء أدبه مع شيخه فقد مقتّه الله تعالى، لأنّ الأدب مع الأستاذ هو عين الأدب مع رسول الله ﷺ، والأدب مع رسول الله ﷺ هو بعينه الأدب مع الله تعالى.

[حب الشيخ وإدخال السرور عليه ومطالعة كتبه]

ثم قال:

339 - إِلْزَمْ حُبَّهُ يَا مَبْرُورُ وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ السُّرُورُ

340 - لَا زِمَ كُتُبُهُ وَالْمَسْطُورُ لَا تَقُلْ لِمَاذَا يَا

يعني أنّ من الآداب اللاّزمة للمريدين في حقّ أساتذتهم ذوي القدم الرّصين حبّ مشايخهم، لأنّ الحبّ لكلّ المسلمين متعيّن على بعضهم البعض، ولا سيّما حبّ الأستاذ المرّبيّ فإنّه يتأكّد تأكيدا أشدّ من غيره، لما يترتّب عليه من النّفع الدّائم الذي لا يحصل بدونه، لأنّه الأستاذ القائم بدعوى الهداية والإرشاد، لذلك وجبت محبّة النّبّي ﷺ⁽²⁾ على كلّ مؤمن.

(1) في (هـ) وارتكاب ذلك.

(2) [صلى الله عليه وسلم] ساقط من (ج).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ، وَنَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»⁽¹⁾.

وقال تعالى في مدح مؤمني أهل⁽²⁾ المدينة: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾⁽³⁾، وهو النبي ﷺ، لأنَّ عدم حبِّه ﷺ نفاق ويُخشى مقارنته لسوء الخاتمة⁽⁴⁾.

وأما الحبَّ الإلهي المتعلِّق بذاته تعالى فقد عقد له في الإحياء بابا، وكذلك القشيري في رسالته، والإمام ابن عربي في فتوحاته المكيَّة⁽⁵⁾.

(1) أصل الحديث متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (14/1 رقم: 15)، ومسلم (67/1 رقم: 44)، ولفظه عندهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». وفي رواية لمسلم: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

واللفظ الذي أورده المصنف قريب مما رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (453/1 رقم: 469) عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «لَا يَطْعُمُ أَحَدُكُمْ طَعْمَ الْإِيْمَانِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ، وَنَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ».

(2) نهاية الورقة (75/ظ).

(3) سورة الحشر: 9.

(4) في (ج) و(هـ) لسوء العاقبة.

(5) انظر إحياء علوم الدين (293/4) كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، والرسالة القشيرية (484/2) باب المحبة.

وَحَبَّ كُلَّ شَيْءٍ بِحَسْبِهِ، لَكِنْ حَبَّ الْأُسْتَاذَ رَأْسَ مَالِ الْمُرِيدِينَ،
وَعَنْوَانَ سَعَادَتِهِمْ عَلَى الْيَقِينِ، وَتَفَاوُتُونَ فِيهِ، حَتَّى إِنَّهُ يُحْكِي عَنْ
بَعْضِهِمْ أَنَّهَ رَأَى شَيْخَهُ يَشْكُو أَلَمًا فَشَكَاهُ فِي الْحَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ
الطَّبِيبَ فَصَدَ الشَّيْخَ فَانْفَصَدَ عِرْقُ الْمُرِيدِ مِنْ نَفْسِهِ بِدُونِ آلَةِ فَصَدَ.

وَمِنْهَا أَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِ السَّرُورُ مَا أَمَكْنَ، كَتَبْلِيغِ سَلَامٍ
مَحَبَّةٍ أَوْ ثَنَاءٍ مِنْ مَعْتَقِدٍ، وَإِذَا سَمِعَ مِنْ أَحَدٍ مَا يَكْرَهُ فِي حَقِّ شَيْخِهِ
فَعَلَيْهِ رَدُّهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَأَجَابَ عَنْهُ بِالْأَجُوبَةِ الْحَسَنَةِ، وَأَقَامَ الدَّلِيلَ
وَالْحُجَّةَ إِنْ كَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ.

وَمِنْهَا الْعُكُوفُ عَلَى مَطَالَعَةِ تَصَانِيفِ شَيْخِهِ مَطَوَّلَاتٍ أَوْ رِسَائِلٍ،
وَالْتَّقْدِيمُ لَهَا عَلَى غَيْرِهَا مِنَ التَّصَانِيفِ الْمَوْضُوعَةِ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ
إِلَّا لِلضَّرُورَةِ، كَطَلَبِ مَا هُوَ أَبْسَطُ مِنْهَا أَوْ أَحَالَ الشَّيْخَ فِي تَأْلِيفِهِ عَلَيْهَا.

وَلَا يَطْلُبُ عِلْمًا مِنْ أَحَدٍ وَشَيْخِهِ يَعْرِفُ ذَلِكَ الْعِلْمَ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ
شَيْخُهُ اسْتَأْذَنَهُ عَلَى مَنْ يَأْخُذُهُ، فَإِنْ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ عَلَى مَنْ شِئْتَ،
اخْتَارَ مَنْ يَعْتَقِدُ فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ.

وَمِنْهَا أَنْ لَا يَقُولَ لِشَيْخِهِ: لِمَ؟ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِفْهَامِ، بَلْ إِنْ سَأَلَ
شَيْخَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ لَا يَطْلُبُ رَدَّ الْجَوَابِ، بَلْ يَذْكُرُ مَسْأَلَتَهُ وَيَسْكُتُ وَلَا
يَعِيدُ السَّوْأَلَ، فَإِنْ أَجَابَهُ شَيْخُهُ فِيهَا وَنِعِمَّتْ، وَإِلَّا قَبَّلَ يَدَهُ وَانصَرَفَ
وَأَعْرَضَ بَقَلْبِهِ عَنِ الْجَوَابِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ قَالَ لِشَيْخِهِ: لِمَ وَلِمَاذَا؟
لَا يُفْلِحُ أَبَدًا، قَضِيَّةٌ مَسْلُومَةٌ عَنْهُمْ، مَغَايِرَةٌ لَطَرِيقِ غَيْرِهِمْ، فَيَجِبُ عَلَى
الْمُرِيدِ أَنْ لَا يَقُولَ لِشَيْخِهِ إِنْ نَهَاكَ: لِمَ نَهَيْتَ؟ أَوْ إِنْ أَمَرَهُ بِأَمْرٍ لِمَ

أمرت؟ فمن قال ذلك لشيخه ما ذاق في سيره إلى الله حلاوة الأسرار،
ولا انجلت عن بصيرته حجب الأغيار.

[ترغيب الناس في الاجتماع على الشيخ والانتظام في حبه]

ومنها ما أشار إليه بقوله⁽¹⁾:

341 - رَغِبَ فِيهِ كُلُّ النَّاسِ جَانِبَ مَنْ يَرَاهُ بَاشَ

342 - لَا تَقْطَعُ مِنْهُ إِيَّاسَ وَاعْقِدْ فِيهِ بِالنِّيَّاسِ

يقول: ومن الآداب اللازمة للمريد مع شيخه الاجتهاد في
ترغيب الناس في الاجتماع على شيخه والانتظام في حبه، وثمره
التَّرجيب رجوع الخلق إلى الحق.

وفي الحديث: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ
عَلَيْهِ الشَّمْسُ»⁽²⁾.

ومنها أن يجانب مَنْ أمره الشَّيْخ بِمُجَانَبَتِهِ، لأنَّه ما أمره بذلك إلَّا
أنَّه علم أنَّ في مخالطته ضررا وبأسا على المأمور.

(1) نهاية الورقة (76/و).

(2) رواه الحاكم (690/3 رقم: 6537)، والطبراني في الكبير (315/1 رقم: 930) عن
أبي رافع رضي الله عنه.

وهو متفق عليه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، رواه البخاري (62/2
رقم: 3009)، ومسلم (1872/4 رقم: 2406)، ولفظه: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ
رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمُرُ النَّعَمِ».

وقوله: (بأس) هو المفعول الثاني لـ (يرى)، وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة، وليس المراد من البأس معناه الحقيقي بل المراد منه الذات مبالغة كما لك علم.

ولا يغتر المريد بإظهار الشيخ محبة المأمور باجتنابه، لأنّ شأن الأساتذة الإقبال على كلّ الناس لسعة ما هم عليه من الأخلاق المرضية.

ومنها ما أشار له بقوله: (لَا تَقْطَعْ مِنْهُ إِيَّاسٌ)، يعني من آداب المريد مع شيخه أن لا يملّ عن محبته وودّه، ولا ييأس من وصله، ولو زجره شيخه أو شتمه أو هجره، لأنّ المريد الصادق في حاله لا يزعه ذلك ولا يقطعه ويميله عن إقباله على شيخه، بل كلّما زجره شيخه أو هجره ازداد حبّاً ووداداً واشتياقاً وعدم إياس من المدد والوصول، لأنّ الأساتذة لا يفعلون مع تلامذتهم شيئاً إلاّ لقصد التأديب والتّقريب إلى مرضاة الله تعالى، إذ لا غرض لهم نفسانيّ في شيء من الأشياء الكونية، بل لا يتلبّسون إلاّ بما هو متعيّن عليهم بالوجوب، ليرجع المريد عن زلّته ويتوب، فليس للمريد أن ييأس من وصل شيخه ولو زجره أو شتمه بكلام غليظ، ولو بملاً من الناس، لأنّ دعاء الشيخ على المريد حالة تأديبه ينال به سعادة تقريبه، وربّما أنّهم يمتحنون بذلك الصّدق والإخلاص، وذلك لأنّ المريد إذا تخلّص من رعونات نفسه وفني عنها، لا يتغيّر من كلمة أو كلمات من أحد أبداً، فضلاً عن شيخه⁽¹⁾ الذي يبغي منه مدده.

(1) نهاية الورقة (76/ظ).

ومنها ما أشار له بقوله: (وَاعْقِدْ فِيهِ بِالْيَتَّى)، يعني من جملة الآداب أن يعتقد المريد أن شيخه أكمل أهل عصره، وأحسن أهل عصره، وذلك ليصح له فيه كمال اليّة والاعتقاد، والإقتداء به في كل حالاته بدون تردد، إذ لو لم ينو فيه ذلك لما اتجه له منه انتفاع بحال فيما هنالك، لأنّه على قدر اليّة والاعتقاد يكون الانتفاع والإمداد، وفي الحديث: «نِيَّةُ الْمَرْءِ أَتْلُغُ مِنْ عَمَلِهِ»⁽¹⁾.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتْلُغُ الْمَرْءُ بِنِيَّتِهِ مَا لَا يَتْلُغُ بِعَمَلِهِ»⁽²⁾.

وروي: «لَوْ نَوَى أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَهُ»⁽³⁾.

[حفظ سر الشيخ واستئذانه في زيارة غيره]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

343 - إِيَّاكَ تُفْشِي سِرَّهُ وَلَا تُغَيِّرُ قَلْبَهُ

344 - لَا تَزُرُّ غَيْرَهُ لَا مَيِّتًا أَوْ حَيًّا

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (326/2) عن ثابت البناني بلاغا، ووصله القضاعي في مسند الشهاب (119/1 رقم: 147)، والبيهقي في شعب الإيمان (175/9 رقم: 6445) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال البيهقي: «هذا إسناد ضعيف»، وضعفه ابن حجر في فتح الباري (219/4).

(2) رواه ابن المبارك في الزهد (63/1 رقم: 189) من قول جعفر بن حيان العطاردي من أتباع التابعين رحمه الله.

(3) نقل السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: 542) عن شيخه ابن حجر أنه قال: «لا أصل له»، وهو مع كونه مكذوب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمعناه باطل.

يريد أنه يجب على المريد صون سرّ شيخه عن كلّ شخص مطلقاً، سواء كان ذلك السرّ من الأمور العاديّة أو غيرها، لأنّ الكلام ما دام في الصدر فهو سرّ، لأنّ صدور الأحرار قبور الأسرار.

واعلم، أنّ الأستاذ قد يبلغ⁽¹⁾ إلى مريده على وجه الأسرار أموراً كلّية، لأنّ المريد عندهم بمنزلة النسخة للأستاذ، فيحبّ أستاذه أن يرسم فيه جميع أشكاله الظاهرة والباطنة، وربّما غلب الأستاذ وارد جلاليّ يقهر حاله فيسرّ في ذلك الوقت لمريده شيئاً لولا إظهاره لانفجر قلبه، كما وقع لمن كتم سرّه فأواه في الوقت قبره.

وكذلك يجب على المريد أن لا يتلبّس بشيء يشمّرّ منه قلب شيخه ويتغيّر عليه بسببه، لأنّ ذلك يعدّ من العقوق، والعاق لا يُرفع له إلى السّماء عمل، فكما لا يجوز أن يفعل مع والده شيئاً يوحش قلبه، لا يجوز أن يفعل مع شيخه ذلك، لأنّ الشيخ لا يأمر إلاّ بما أمر الله به، فمن خالفه فقد خالف الشّارع⁽²⁾ ووقع في غضب الله، فتغيّر قلبه يوجب المقت من الله تعالى، وفي ذلك قيل:

أَقْدِمُ أَسْتَاذِي عَلَى حَقِّ وَالِدِي وَإِنْ نَالَنِي مِنْ وَالِدِي الْعِزُّ وَالشَّرَفُ
فَذَلِكَ مُرِّي الْقَلْبِ⁽³⁾ وَالْقَلْبُ جَوْهَرٌ وَهَذَا مُرِّي الْجِسْمِ وَالْجِسْمُ كَالْصُّدْفِ⁽⁴⁾

(1) في (هـ) يلقي.

(2) في (ج) الشريعة.

(3) نهاية الورقة (77/و).

(4) في (هـ) من صدف.

ومنها ما أشار إليه بقوله: (لا تَزُرَنَّ غَيْرَهُ) إلخ، يعني من آداب المريـد أن لا يزور أحدا من المشايخ الأحياء والأموات إلا بإذن شيخه، ولو كان صديقا لشيخه، ولا يزور أحدا من جماعة غير شيخه⁽¹⁾ ولا يزيده على قوله السلام عليكم⁽²⁾، لأن المريـد ضعيف ومن شأن كل ضعيف أن يمدح شيخه وإخوانه وطريقه فقط ولا ينقص أحدا أبدا.

[الاعتراف بما حصل له من بركة الشيخ]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

345 - كُلُّ خَيْرٍ جَاءَكَ تَرَاهُ مِنْ شَيْخِكَ

346 - كُلُّ نَقْصٍ جَاءَكَ مِنْ نَفْسِكَ الْمُؤْذِيَا

أي من الأدب أن يرى كل فضل أصابه من الله تعالى وكل خير ناله فإنه حصل له ببركة شيخه، فإن كل مريد نوره مستمد من نور أستاذه، وجميع ما يراه المريـد⁽³⁾ من المدد فهو من فيض أستاذه، وما يراه من النقص فمن نفسه، وهو ظاهر كلام المصنّف رحمه الله تعالى. وأراد بالنفس المؤذية الأثرة بالسوء.

[تسليم المريـد لأمر الشيخ ومشاورته في كل شيء]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

(1) [ولو كان صديقا غير شيخ] ساقط من (ط).

(2) [عليكم] ساقط من (ه).

(3) [المريـد] ساقط من (ج).

347 - لَا تَخْرُجْ عَنْ نَظَرِهِ لَا تَبْحَثْ عَنْ حَالَتِهِ

348 - لَا تَعْقِذْ عَنْ زَوْجَتِهِ مَاتَ عَنْهَا أَوْ حَيًّا

يعني أنّ المرید يجب علیه أن يكون علی نظر شیخه فی کلّ شؤونه، مسلّمًا له جمیع أمورہ، مشاورًا له فی کلّ حرکاته وسکناته الدینیة أو الدنیویة، وما دلّ علیه ارتکبه ولا يعدل عنه ولو کان مخالفًا لما هو الأنسب بحسب الظاهر، فقد يحصل من الشیخ ما لیس حصوله بمناسب، لكنّ الحکمة تقتضیه وهي مکنونة لا یطلع علیها غیره، فلا یعرض علیه لأنّ الاعتراض یوقع فی الأمراض.

وفي قصّة سیدنا موسى والخضرّ علیهما السلام کفایة لكلّ معتبر، فإنّ موسى لما أراد الصّحبة حفظ شرط الأدب فاستأذن، فشرط علیه الخضرّ عدم المعارضة، فلمّا جرى بينهما ما قضاه الله تعالی کان عاقبة ذلك ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾⁽¹⁾.

قال البیضاوي: «ومن فوائد هذه القصّة أن لا یعجب المرء بعلمه، ولا یبادر إلى إنکار ما لا یستحسنه، فلعلّ فیہ سرًّا لا یعرفه، وأن یداوم⁽²⁾ علی التّعلّم یتذلّل للمعلّم، ویراعی الأدب فی المقال، وأن ینبّه المجرم علی جرمه ویعفو عنه حتّى یتحقّق إصداره، ثمّ یهاجر عنه»⁽³⁾، اهـ.

(1) سورة الکهف: 78.

(2) نهاية الورقة (77/ظ).

(3) أنوار التنزیل وأسرار التأویل (291/3).

لأنَّ التَّمَسَّكَ بهذه الآداب نهاية آداب الصَّحبة المورثة
نيل الآراب، والتَّنبيه للمريد على كَيْفِيَّة صحبته لأستاذه وكيف ينبغي
أن يكون معه فيها، وكيف يعامله في أقواله وأفعاله، فليتَّبِه المريد
الصَّادق إلى هذه الأسرار ويعمل بها في العلن والإسرار.

[عدم التجسس عن حال الشيخ في العبادات والعادات]

ومنها ما أشار إليه بقوله: (لَا تَبْحَثْ عَنْ حَالَتِهِ)، أي لا يجوز
للمريد التَّنْقير عن حالة شيخه في العبادات والعادات، فلا يتجسَّس
على مقدار نوم شيخه وقيامه، ولا على رياضته وكَيْفِيَّة أكله، ولا كم
يتوضأ في اليوم واللَّيلة، أو غير ذلك ممَّا يتعلَّق بالعبادات أو العادات،
فكلَّ ذلك معدود من العقوق للوالدين والكشف لسوءتهم، وربَّما كان
إطّلاعه على تلك الأحوال يُنقص مقام شيخه في قلبه لجهله بأحوال
الكمال فيهلك كما مرّ.

[ترك الزواج بمطلقة الشيخ وأرملته]

ومنها ما نبّه عليه بقوله: (لَا تَعْقِدْ عَنْ زَوْجَتِهِ) إلخ، أي لا يتزوَّج
المريد امرأةً طلقها شيخه أو مات عنها، وذلك لأمرين:
الأوّل: الإقتداء بالرَّسول ﷺ⁽¹⁾.

(1) تحريم الزواج بزوجات النبي ﷺ خاص به لا يتعدى إلى غيره، لقوله تعالى:
﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كُنَّ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 53]، وما زال المسلمون منذ عصر الصحابة وما بعدهم يتزوجون بالمتوفى عنها
زوجها أو المطلقة مهما كان شرف المتوفى أو المطلق من غير إنكار.

والثاني: هو أن زوجة الرجل في الدنيا زوجته في الآخرة، فإذا تزوّجت بعد وفاته عنها بزواج آخر كان في المسألة اختلاف، هل هي للأول أو للثاني أو لمن أرادته منهما، وعلى كلّ ففيه من سوء الأدب ما لا يخفى على ذويه.

وإذا كان الأساتذة تمنّعوا من وطء سجداته ولبس عباةته كان بالأولى منع تزويج زوجته، تحقيقاً للأدب معه حياً ومنتقلاً، ولقد قلّ من أخذ زوجة شيخه وأفلح وسلم من العطب.

[ملازمة الاجتماع على ذكر الورد]

ومنها أن لا يتخلف عمّا ربّبه شيخه من الاجتماع على ذكر الورد جماعة، كما أفاده بقوله:

349 - لَا تَتَخَلَّفُ عَنْ رُتَبٍ رَتَّبَهَا يَا مُحِبِّ

350 - اخْضُرْ فِيهَا بِالْأَدَبِ صَبَاحًا وَمَاسِيًا

351 - يَا مَنْ تُرِيدُ الْإِمْدَادَ مِنْ شَيْخِكَ يَا مُرَادَ

352 - لَا تَتْرُكْ هَذَا الْمِيعَادَ وَكَذَاكَ الْجُمُعِيَا

353 - يَا مَنْ تُرِيدُ الْجَلَا عَنْ قَلْبِكَ الْمُبْتَلَى

354 - لَا زِمَ ذِكْرُكَ فِي الْمَلَا حَدَّهُ الْمُرَبِّيَا

أي من سوء الأدب مع الشيخ عدم حضور مجلس الذكر الذي ربّبه صباحاً ومساءً للمريدين، لأنّ مدد كلّ شيخ يكون في ورده.

ومن ترك ما ربّبه له شيخه حُرِّمَ مدده، كيف والنبي ﷺ حتّ على ذلك ورغب فيه، فقال ﷺ «إِذَا مَرَزْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا،

قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذِّكْرِ⁽¹⁾، كما مرّ،
اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ لِلْمَرِيدِ عَذْرٌ فِي تَخَلُّفِهِ فَلْيَذْكُرْهُ لِلشَّيْخِ، فَإِنْ ظَهَرَ
لَهُ صَدَقَ عَذْرُهُ وَإِلَّا نَاقَشْهُ وَبَيِّنْ لَهُ عَدَمَ صَدَقِهِ لِيَتُوبَ.

وأشار بقوله: (اخْضُرْ فِيهَا بِالْأَدَبِ) إِلَى أَنَّهُ مَعَ عَدَمِ تَخَلُّفِهِ يَجِبُ
عَلَيْهِ مِرَاعَاةُ آدَابِ الذِّكْرِ الْمُتَقَدِّمِ بَيَانُهَا.

وأفاد بقوله: (يَا مَنْ تُرِيدُ الْإِمْدَادَ) إلخ المبالغة في التَّغْيِيبِ فِي
الدَّوَامِ عَلَى مَلَازِمَةِ حَلَقِ الذِّكْرِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، فَرَبَّمَا فُتِحَ عَلَى الْمَرِيدِ
فِي حَلَقَةِ الذِّكْرِ مَا لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ فِي الذِّكْرِ وَحْدَهُ السَّنِينَ الْعَدِيدَةَ.

وَأَرَادَ بِ (الْمِيعَادِ) مَجْلِسَ الذِّكْرِ الْمَعْيَنِ فِي الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ.

وقوله: (وَكَذَلِكَ الْجُمُعِيَا) أَيِ كَمَا يَتَعَيَّنُ عَلَى الْمَرِيدِ عَدَمَ تَرْكِ مَا
رَتَّبَهُ الشَّيْخُ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

كَذَلِكَ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ عَدَمُ تَرْكِ حُضُورِ مِيعَادِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِاسْتِمَالِهَا
عَلَى سَاعَةِ الْإِجَابَةِ، وَقَدْ قِيلَ: أَنَّهَا بَعْدَ عَصْرِهِ، وَرَبَّمَا يَبْدَأُ فِيهَا فِي
دَعَائِهِ فَيَحْصِلُ لَهُ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ.

وقوله: (يَا مَنْ تُرِيدُ الْجَلَاءَ) إلخ توكيد لسابقه ومبالغة
فِي الْحَثِّ عَلَى عَدَمِ التَّخَلُّفِ عَمَّا رَتَّبَهُ الشَّيْخُ.

(1) رواه أحمد (498/19 رقم: 12523)، والترمذي (532/5 رقم: 3510) وقال: حديث
حسن، وأبو يعلى (155/6 رقم: 3432)، والبزار (119/13 رقم: 6500)، والبيهقي
في شعب الإيمان (66/2 رقم: 526).

و (الْجَلَاءُ) كشف صدَى مرآة القلب، و (المُبْتَلَى) من
القلوب هو المتَّصف بالأخلاق الذميمة، لأنَّها هي علله وأمراضه، قال
تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾⁽¹⁾، فمرض القلب تلبَّسه بالاعتقادات الباطلة،
واتَّصفه بالصِّفات الفاسدة.

وأفاد بقوله: (لَا زِمَ ذِكْرُكَ فِي الْمَلَأِ) أنَّ ذكر الله جماعة هو الدَّواء
الشَّافي من أمراض القلوب.

وقوله: (حَدُّهُ الْمُرِيَّةَا) توكيد للتَّحريض.

(1) سورة البقرة: 10.

[آداب المريد مع إخوانه]

ولمّا أتمّ الكلام على آداب⁽¹⁾ المريد مع شيخه، تعرّض لبيان آدابه مع الإخوان، وهذا هو الضرب الثالث، فقال:

355 - وَإِنْ تَبَغِ يَا سَالِكَ تَنْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ

356 - تَأْدَبْ مَعَ إِخْوَانِكَ وَاخْذُمُهُمُ الْكُلِّيًّا

357 - تَرَى فِيهِ شَرَفًا وَحُبُّهُمْ شَغَفًا

358 - وَكُنْ بِهِمْ رُؤُفًا تَحْظِي بِهِمْ هَادِيًا

(الإِخْوَانُ) جمع أخ، وهو الرفيق في الطريق إلى الله تعالى، المبايع لشيخه أو لأحد خلفاء طريقه أو لأخيه.

وآداب المريد مع إخوانه كثيرة لا يجب عليه التخلّق بجميعها ابتداءً دفعةً بل بالتدريج، لأنّ المريد مشغول أولاً وبالذات بحقّ الله تعالى عن حقوقهم، ولا قدرة له على الجمع بين حقّ الله وحقّ عباده على الكمال، ولذلك إنّما يؤمر ببعض أخلاق لا بدّ منها في طريق المجاورة والخلطة ممّا هو متعيّن في طريق المعاشرة، ثمّ إذا انتهى سيره وبلغ مبلغ الكمّل من الرّجال فهناك يُطالب بالتخلّق بها بأسرها.

وبيان ذلك أنّ الأخلاق المحمّديّة لا تخلع على أحد إلّا إذا دخل حضرة الله تعالى الخاصّة، وتلك حضرة يحرم دخولها على من

(1) نهاية الورقة (78/ظ).

بقيت فيه بقية من رعونات النفس، بدليل عدم صحّة الوضوء لمن بقي فيه لمعة من أعضاء الوضوء لم يصبها ماء، فإذا استقرّ في تلك الحضرة خلع عليه من الأخلاق المرضية ما قُسم له، وأُمر أن يُعطى كلّ ذي حقّ حقّه على الكمال، من صاحب وأخ وغيرهما، ولو أُمر بذلك ابتداءً لعجز وانقطع، لضعفه عن الجمع بين حقّ ربّه وحقّ العباد، إذا علمت ذلك عرفت أنّ مَنْ أراد التّجاة من مهالك نفسه فعليه بالتّأدب مع إخوانه.

[خدمة الإخوان وتقديم العون لهم]

ومن آداب المريد مع إخوانه خدمته لهم إذا استخدموه في مصالحهم أو استخدمه واحد منهم.

وجملة (تَرَى فِيهَا الشَّرَفَ) صفة لموصوف محذوف منصوب على المصدرية، أي اخدمهم خدمة موصوفة بما ذُكر، ومن المعلوم أنّ الصّفات مخصّصات، والمعنى اخدمهم خدمة تعتقد فيها أنّ الفضل والمِنَّة للإخوان حيث ارتضوك لذلك وخصّصوك للقيام بها دون غيرك، وذلك لأمرين:

الأوّل: لما في⁽¹⁾ القيام بمصالح المسلمين من الثّواب الجزيل، فقد ورد: «إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (79/و).

(2) رواه مسلم (4/2074 رقم: 2699)، وأبو داود (4/287 رقم: 4946)، والترمذي (4/34 رقم: 1425)، وابن ماجه (1/82 رقم: 225) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه عندهم «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

واللفظ الذي أورده المصنف رواه الطبراني في مكارم الأخلاق (ص: 342 رقم: 86).

وكون الباري جلّ وعلا في عون العبد، أي معينا له آخذا بيده، من أجل المراتد وأبلغ المأمولات، ولا شيء من الحالات أحسن منها، لاستلزامها رضا الله تعالى، الذي هو السعادة العظمى في الآخرة والأولى، وهو نهاية ما يناله الإنسان من القرب إلى حضرة الله تعالى.

والثاني: لئلا يخطر بباله أن له المنّة والمزيّة عليهم بخدمتهم وقضاء مآربهم، فيكون ممّن أفسد عمله بالمنّ ومحاه، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ، وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾⁽¹⁾، لأنّ المنّ يمحو الحسنات كما يمحو الماء الأثر.

وفي الحديث: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُزْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُزْبَةً مِنْ كُرْبِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِبَادِهِ»⁽²⁾.

(1) سورة البقرة: 264.

(2) هذا الحديث مركب من حديثين، الشطر الأول منه وهو قوله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُزْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُزْبَةً مِنْ كُرْبِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم قبله. والشطر الثاني منه رواه الحارث كما في بغية الباحث (2/857 رقم: 911)، والبخاري (13/332 رقم: 6947)، وأبو يعلى (6/65 رقم: 3315)، والقضاعي (2/255 رقم: 1306)، والبيهقي في الشعب (9/521 رقم: 7045) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/191): «وفيه يوسف بن عطية الصنفار وهو متروك»، وقال السيوطي في الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة (1/112): «سند ضعيف». وأحسن منه ما رواه القضاعي في مسند الشهاب (1/108 رقم: 129)، والطبراني في الأوسط (6/58 رقم: 5787) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ».

وكل ذلك تنهيز لهم في مساعدة الإخوان، وتنبيه على ما فيها من الثواب والامتنان، وتعليم منه ﷺ للوازم الأخوة⁽¹⁾ في الدين، وإرشاد لما تقر به عيون الموحدين، فالمرید الصادق يرى خدمته لإخوانه سيادة ينالها بذلك وشرفا يعلو به، لقوله ﷺ: «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ»⁽²⁾، وهذا الحديث يحتمل معنيين:

الأول: أن خدمة القوم تتعين على سيدهم، والسيد من ساد في قومه، كما قيل:

بِحِلْمٍ وَعِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى
وَكُونُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرٌ

ولا ريب في أن من يكفي قومه أمورهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، ويقرب إليهم ما ينفعهم، يكون هو السيد بينهم، والمُعَوَّل عليه عندهم.

(1) في (هـ) الآخرة.

(2) رواه أبو نعيم في كتابه الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية (ص: 59

رقم: 27) عن أنس بن مالك رضي الله عنه

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (187/10)، وابن عساكر في تاريخ دمشق

(313/33) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

ورواه البيهقي في الشعب (582/10 رقم: 8050) عن سهل بن سعد رضي الله عنه

قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ الْقَوْمِ فِي السَّفَرِ خَادِمُهُمْ».

وجميع طرقه ضعيفة كما أشار إلى ذلك السخاوي في المقاصد الحسنة (ص:

395).

والثاني: أنّ خادَم القوم بما يحتاجونه سيّد، ساد بينهم بما يفعله من مكارم الأخلاق وسياسة ذوي الرأى والإشفاق، بخلاف ما إذا رأى أنّ له عليهم فضلا ومَنّة، فإنّ ذلك كما مرّ من أجل محنة.

[حب الإخوان]

ومنها ما أشار إليه بقوله: (وَحُبُّهُمْ شَغْفًا)، أي ومن الآداب المتعيّنة على المريد مع إخوانه محبّته لجميعهم⁽¹⁾، وإنّ تفاوت البعض فيها كما يشهد به الوجدان، وهي لازمة على كلّ واحد لكلّ مسلم ومسلمة، لكن تجب على أبناء الطّريق لبعضهم زيادة عن غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾.

وقال ﷺ: «لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽³⁾.

وروى الشّيخان عن أنس قال: قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»⁽⁴⁾، الحديث⁽⁵⁾.

(1) نهاية الورقة (79/ظ).

(2) سورة الحجرات: 10.

(3) متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (14/1 رقم: 13)، ومسلم (67/1 رقم: 45)، ولفظه عندهما «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». واللفظ الذي أورده المصنف قريب مما رواه الديلمي في الفردوس (5/116 رقم: 7658)، والبخاري في التاريخ الكبير (9/74)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (3021/6 رقم: 7005) عن أبي مُلَيْكَةَ الدِّمَارِيِّ عن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

(4) متفق عليه. رواه البخاري (15/1 رقم: 16)، ومسلم (66/1 رقم: 43).

(5) [الحديث] ساقط من (ج) و (ه).

فالمحبة متعينة على كل أحد للجميع، سواء كان طائعا أو عاصيا، إنما العاصي يجب كراهة أفعاله فقط مع نهيه عما صار به عاصيا، إذ الذوات لا تُكره وإنما تُكره بواعث العصيان.

[الرأفة والرحمة بالإخوان]

ومنها ما أشار إليه بقوله: (وَكُنْ بِهِمْ رُؤُفًا)، أي من الآداب الواجبة على المريد مع إخوانه أن يكون شديد الرحمة عليهم، لقوله عليه الصلاة والسلام: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»⁽¹⁾؛ ولأن الرأفة من الأخلاق المحمدية، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾.

وقوله: (تَحْطَى بِهِمْ) من الحظوة بالضم والكسر، بمعنى المكانة ورفعة المنزلة، أي إن تلبست بالرأفة بهم حصلت لك الحظوة عند الله تعالى بسببهم.

وقوله: (هَادِيًا) حال من فاعل (تَحْطَى).

[ستر عيوب الإخوان]

ومنها ما نبه عليه بقوله:

359 - لَا تَتَّبِعْ عَوْرَتَهُمْ لَا تَنْظُرْ زَلَّتْهُمُ

360 - وَعَادٍ مَنْ عَادَاهُمْ بَغَيْرِ حَقٍّ⁽³⁾ بَاغِيَا

(1) رواه أحمد (33/11 رقم: 6494)، وأبو داود (285/4 رقم: 4941)، والترمذي (323/4)

رقم: 1924) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(2) سورة التوبة: 128.

(3) في (ط) دون.

أي من جملة آداب المرید مع إخوانه أن لا يتتبع عوراتهم، ولا ينقر عن زلاتهم، بل يتعين عليه أن يتغافل عنهم، لقوله ﷺ: «مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَّهْ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»⁽¹⁾.

ولذلك قيل: «كُلَّ مَنْ أَطَّلَعَ عَلَى عيوب النَّاسِ فهو في حضرة الشَّيْطَانِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتِرْ إخوانه في جميع ما يراه من عوراتهم فقد فتح على نفسه باب كشف عوراته».

والفحص عن العورات إنّما ينشأ غالبا من رؤية الإنسان⁽²⁾ نفسه وإثبات مزية لها، فينبغي للمرید المدعي سلوك طريق أهل التوحيد أن يكون مغضيا عن دني⁽³⁾ أحوالهم، كما قيل⁽⁴⁾:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ الشُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَعَايَا

وفي الحديث: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»⁽⁵⁾.

(1) رواه الترمذي (378/4 رقم: 2032) عن ابن عمر رضي الله عنه، وقال: حديث حسن غريب.

(2) نهاية الورقة (80/و).

(3) الدنيء: سافل الطبع.

(4) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

انظر الكامل في اللغة والأدب (172/1)، والعقد الفريد (194/2).

(5) رواه مسلم (2074/4 رقم: 2699)، وأبو داود (287/4 رقم: 4946)، والترمذي

(34/4 رقم: 1425)، وابن ماجه (82/1 رقم: 225) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وورد: «إِنَّ اللَّهَ سِتِيرٌ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ السَّتِيرِينَ»⁽¹⁾،⁽²⁾.

فَمَنْ رَأَى مِنْ أَخِيهِ زَلَّةً أَوْ عِيَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَرَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَهْتَكِهِ بِهِ بَيْنَ إِخْوَانِهِ.

وَالزَّلَّةُ تَطْلُقُ عَلَى الصَّغِيرَةِ، وَيَكْفُرُهَا الْوُضُوءُ⁽³⁾ أَوْ التَّوْبَةُ أَوْ الْإِسْتِغْفَارُ، فَلِهَذَا كَانَ سِتْرُهَا أَوْلَى، فَلَرَبَّمَا يَأْتِي صَاحِبُهَا بِمَا يَكْفُرُهَا مِنْ ذَلِكَ وَأَمْثَالِهِ فَيَكُونُ بَاقِيَا مَعَ حَالِهِ، وَيَكُونُ هَتَكَ سِرِّهِ وَإِفْشَاءَ أَمْرِهِ غَيْرُ مُنَاسِبٍ لَهُ لِرَجُوعِهِ وَتَوْبَتِهِ.

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ عَرَفْتَ أَنَّ سِتْرَ الْعُيُوبِ أَمْرٌ مَدْنُوبٌ إِلَيْهِ، لَا الرِّضَا بِهَا وَالْمُسَاعَدَةُ عَلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ، بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا مِنْ أَحَدٍ أَنْ يَنْكَرَهُ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا مَسْوَغَ لَهُ فِي الشَّرْعِ، قَالَ تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ وَالتَّقْرِيعِ: ﴿كَأَنُوءَ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾⁽⁴⁾.

(1) فِي (ج) السَّتَارِينَ.

(2) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَأَقْرَبُ لَفْظٌ إِلَيْهِ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (4/39 رَقْم: 4012)، وَالنَّسَائِيُّ (1/200 رَقْم: 406)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (1/305 رَقْم: 956) عَنْ يَحْيَى بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِّيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَرِ».

(3) أَشَارَ إِلَى مَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ مِنْ تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ بِالْوُضُوءِ، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1/216 رَقْم: 245) عَنْ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ».

(4) سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 79.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوُزُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ﴾⁽¹⁾، فافهم.

[معادة أعداء الإخوان]

ومنها ما أشار إليه بقوله: (وَعَادٍ مِّنْ عَادَاهُمُ) إلخ، يقول من جملة آداب المريـد مع إخوانه⁽²⁾ أن لا يصادق مَنْ أعلن بـعداوة إخوانه، لأنهم بمنزلة الذات الواحدة، فكلّ ما يؤلم بعضهم يؤلم جميعهم.

بل ينبغي للمريـد أن يتظاهر بـعداوة مَنْ عادى إخوانه بغير حقّ شرعيّ، قياما بواجب حقوق الأخوة، كما قيل: «حبيبي مَنْ يعادي مَنْ أعادي»، اللهمّ إلا إذا كانت عداوته سائغة شرعا، فإنّه حينئذ لا يجوز له عداوته بالباطل.

وقوله: (بَاغِيًا) حال من مفعول (عَادٍ)، وهو اسم فاعل من البغي بمعنى الظلم والعلوّ والاستطالة.

[إيثار الإخوان ولو كان به خصاصة]

ومنها ما نبّه عليه بقوله:

361 - لَا تُعَوِّذْ نَفْسَكَ التَّخْصِصَ عَنْ أَخِيكَ

362 - رَغْبَةً لِأَكْلِكَ لَوْ بِأَقْلِ الْأَشْيَاءِ

أي من جملة آداب المريـد مع إخوانه أن لا يجعل⁽³⁾ تخصيص نفسه بشيء من الأشياء عادة لها من دون إخوانه، لأن ذلك يضادّ

(1) سورة المائدة: 2.

(2) في (ج) الإخوان.

(3) نهاية الورقة (80/ظ).

محبّتهم ويناقض حبّه لهم كما يحبّ لنفسه كما مرّ في الحديث، إلّا إذا لم يجد بُدًّا من ذلك، كأن كانوا غائبين أو كان بعيدا منهم، فإنّه لا يمكنه حينئذ تشريكهم في ذلك الشّيء كائنا ما كان.

وقوله: (رَغْبَةً) منصوب على الغرض.

وقوله: (لَوْ بِأَقَلِّ الْأَشْيَاءِ) مبالغة في التّخصيص المنهّي عنه والإيثار.

وفي التّحفة: «ولو كان فجلة أو خيارة يعني قِثَاءة⁽¹⁾، فإنّ مَنْ أثر نفسه بشيء على إخوانه فيما تشتهيه النّفس من المأكولات لم يفلح أبدا.

[نصيحة الإخوان وحثهم على الوضوء والصلاة]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

363 - يَا مُرِيدُ يَا سَالِكُ أَشْفَقُ عَنْ دِينِ إِخْوَانِكَ

364 - فَنَبِّهْهُمْ فِي الْحَالِكِ وَقِيَامِ الْفَجْرِ يَا

يعني أنّ من جملة الآداب المتعيّنة على المريد في حقّ إخوانه أن يكون عنده شفقة تامّة على الأمور المتعلّقة بدين إخوانه، بحيث يحبّ لهم من الخير والثّواب مثل ما يحبّ لنفسه، فيحثّهم على الوضوء قبل الوقت ليدخل وقت الصّلاة وهم على أهبة، ويُحرّضهم على أداء المكتوبة جماعة.

(1) القِثَاءَةُ: الخيارة، وجمعها قِثَاءٌ؛ انظر الصحاح للجوهري (64/1).

يُحْكِي عن الإمام المازني⁽¹⁾ أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الْمَكْتُوبَةُ جَمَاعَةٌ
أَعَادَهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً.

وقوله: (فَنَنْبَهُهُمْ فِي الْحَالِكِ) أي وقت شدة سواد الليل، وأراد
بذلك الثلث الأخير من الليل، وقت السحر وقت الغنائم، ويكون ذلك
برفق.

ومع ذلك لا بدّ أن يرى تنبيههم على عدم نومهم خيرا من عبادته
لئلاّ يغترّ بحاله، لأنّ مَنْ رَأَى نَفْسَهُ مَسَاوِيَا لَجْلِيسِهِ فَمَدَدَهُ وَاقِفٌ.

وكذا يجب عليه أن يوقظهم لصلاة الفجر والتَّهَبُّ لها، إذ هي
الصَّلَاةُ الْوُسْطَى عند فريق.

(1) لم اهتمد إلى ترجمته، والقصة التي ذكرها الشارح نقلها أبو نعيم في حلية الأولياء
(185/6) عن أيوب بن عمران قال: «حَدَّثْتُ عَنْ غَالِبِ الْقُطَّانِ قَالَ: فَاتَتْنِي صَلَاةُ الْعِشَاءِ
فِي جَمَاعَةٍ فَصَلَّيْتُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً أَبْتَغِي بِهِ الْفَضْلَ، ثُمَّ نِمْتُ فَرَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي
عَلَى فَرَسٍ جَوَادٍ أَرْكُضُ وَهَوْلَاءَ فِي الْمَحَامِلِ لَا أَلْحَقُهُمْ، فَقِيلَ إِنَّهُمْ صَلَّوْا فِي جَمَاعَةٍ
وَصَلَّيْتُ وَحْدَكَ».

كما رواها الخطيب في تاريخ بغداد (25/12) عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
الْبَغَوِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيَّ يَقُولُ: لَمْ تَكُنْ تَكَادُ تُفَوِّتُنِي صَلَاةَ
الْعَتَمَةِ فِي جَمَاعَةٍ، فَنَزَلَ بِي ضَيْفٌ فَشَغِلْتُ بِهِ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُ الصَّلَاةَ فِي قَبَائِلِ
الْبُصْرَةِ، فَإِذَا النَّاسُ قَدْ صَلَّوْا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: رُؤْيٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ إِحْدَى وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»، وَرُؤْيٍ «خَمْسُ
وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»، وَرُؤْيٍ «سَبْعًا وَعِشْرِينَ»، فَأَنْقَلَبْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَصَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ سَبْعًا
وَعِشْرِينَ مَرَّةً ثُمَّ رَقَدْتُ، فَرَأَيْتُنِي مَعَ قَوْمٍ رَاكِبِي أَفْرَاسٍ وَأَنَا رَاكِبٌ فَرَسًا كَأَفْرَاسِهِمْ،
وَنَحْنُ نَنْتَجَرِي وَأَفْرَاسُهُمْ تَسْبِقُ فَرَسِي، فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ لِأَلْحَقَهُمْ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ
آخِرُهُمْ فَقَالَ: لَا تُجْهِدْ فَرَسَكَ فَلَسْتَ بِلَا حِقْنَ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّا
صَلَّيْنَا الْعَتَمَةَ فِي جَمَاعَةٍ».

[التواضع مع الإخوان]

ومنها ما دلّ عليه بقوله:

365 - يَا أَخِي فَلَا تَرَى أَحَدًا بِلَا مِرَا

366 - دُونَكَ لَوْ كَافِرًا هَذَا مَا دُمْتَ حَيًّا

أي من جملة الآداب المتعيّنة على كلّ مريد أن يعتقد في نفسه أنّه أحقر إخوانه، ولا يرى أحدا دونه ولو كافرا، لأنّ خاتمة الأنفاس مبهمة على جماهير الناس.

قيل لعائشة رضي الله تعالى عنها: «مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا؟ قَالَتْ: إِذَا رَأَى ⁽¹⁾ نَفْسَهُ دُونَ غَيْرِهِ» ⁽²⁾.

قال تعالى ⁽³⁾: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ ⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ⁽⁵⁾.

لأنّ زكاة النّفس وطهارتها تكون بالتّقوى، والعلم به ⁽⁶⁾ سبحانه وتعالى، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ⁽⁷⁾.

(1) نهاية الورقة (81/و).

(2) لم أقف عليه.

(3) في (هـ) لا تزكوا أنفسكم بل الله يزكي من يشاء.

(4) سورة النساء: 49.

(5) سورة النجم: 32.

(6) في (ط) العالم بها.

(7) سورة الحجرات: 13.

والعلم بالواقع عنده سبحانه وتعالى، وقد يُطلع عليه بعض المقرّبين، لكن غير مقطوع به إلى الآخرة، فالحكم بالأمر الغيبي من غير شاهد مشكل.

وأضرّ ما على المريد أن يرى لنفسه مزيّة أو فضلا من نحو دعوى كمال أو اجتهاد، فإنّ ذلك دليل عدم الكمال وقلة الأدب، لأنّ الكمال لا يكون إلّا عند مَنْ مَلَكَ عِنان نفسه وقهرها بالمخالفات والرياضات والعبادات، حتّى لا يكون لها عليه سلطان، ويكون قد خرج من رقّها، فهناك يتخلّق بالأوصاف الكمالية، ولذلك قيل: «كلّ جليس رأى نفسه خيرا من أصحابه فهو مثل إبليس، بسبب قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾»⁽¹⁾.

وفي الحديث: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ»⁽²⁾.

وقوله: (مَا دُمْتَ حَيًّا) أي مدّة وجودك حيّا في هذه الدّار، وقبل اتّصالك بدار القرار.

[ترك طلب الرئاسة والتّقدم على الإخوان]

ومنها ما أفاده قوله:

(1) سورة الأعراف: 12.

(2) رواه الطبراني في الأوسط (139/5 رقم: 4894) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا، وقال قال الهيثمي في مجمع الزوائد (325/10): «فيه نعيم بن مورع العنبري، وقد وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد، وبقيّة رجاله ثقات».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ».

367 - لَا تَطْلُبْ رِئَاسَةً قَبْلَ وَقْتِهَا يَا فَتَى

368 - لَا تَرَى إِمَامَةً عَلَيْهِمُ الْكُلِّيَا

أي من الآداب اللازمة للمريد في حق إخوانه أن لا يطلب الرئاسة والتقدم عليهم قبل حينها، فيتأخر إلى وراء وينحط من الثريا إلى الثرى، وإن كانت فيه أهلية للإمامة فلا يتعرض لطلبها، لما في ذلك من تحمّل سهو المأمومين مع ضعف حاله عن تحمّل سهو نفسه وغفلته عن ربه.

ولا يطلب التقدم في افتتاح الذكر إلا إذا أقامه الأستاذ لافتتاح الأوراد والأذكار، أو جعله نقيبا على المريدين لينظر في الأحوال والأطوار، لأن الأستاذ لو علم أن في غيره أهلية ذلك لقدمه وأشهره بما هنالك، فالمراد بوقتها الوقت الذي يقيم فيه الشيخ المريد لما ذكر، فحينئذ يتعين⁽¹⁾ عليه القبول والقيام بذلك جهده.

[الصبر على الإخوان والصفح عنهم]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

369 - إِذَا آذَوْكَ إِخْوَانُكَ سَامِخْهُمْ أَيَا سَالِكَ

370 - لَا تَسْمَعْ مَنْ نَمَّ لَكَ أَوْ جَاءَكَ وَاشِيَا

يعني من آداب المريد مع إخوانه أن يصفح عن كل من آذاه منهم ويتجاوز عنهم، لأن العفو أقرب للتقوى.

(1) نهاية الورقة (81/ظ).

قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) ﴿١﴾.

فينبغي للمريد الصادق إذا حصل له إذاية من بعض إخوانه بأمر من الأمور، أن يتحمل إذايته أولاً، ويتجاوز عنه ثانياً، لأنّ في عدم تحمّله وعدم تجاوزه انتصاراً لنفسه وقياماً بغرضها، وهذا غير مناسب لأبناء الطريق المدّعين سلوكها، فقد كان ﷺ صفوحاً عمّن آذاه، وقد أودى ﷺ بما لا مزيد عليه، ولا يتوصّل أحد إليه، ولأنّ الإنسان إذا أخذ في إذاية كلّ من ناله شرّه في هذا الزمان، لزمه معاداة أبنائه كلّهم.

[حسن الظن بالإخوان]

ومنها أن لا يسمع في جانب إخوانه كلام نمام ولا يصدّقه، وإن نُقل إليه أنّ إخوانه يكرهونه ويقولون فيه.

ومنها أن لا يصدّق في إخوانه كلام الوشاة ولا يلتفت إليهم، وذلك إمّا بإلغاء كلامهم والإعراض عنهم وترك كلامهم وراء ظهره نسياً منسياً، وإمّا بردعهم وزجرهم ومنعهم من العودة إلى ذلك، ويقول لهم: أنا من محبّة إخواني على يقين، وكلامكم هذا ظنّ، ولا أترك اليقين بالظنّ.

والمراد بـ^(٢) (الْوَأْشِي) النّاقِل والحَاكِي، من وشى به إلى السلطان، إذا سعى به قَصْدَ الضّرر^(٣)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهًا سِقُ بْنُا فَنَتَّبِعُونَ﴾ الآية^(٤).

(1) سورة آل عمران: 134.

(2) [والمراد] ساقط من (ط).

(3) في (ط) قصدا للضرر.

(4) سورة الحجرات: 6.

ولأَتَّهَمُ قالوا: «مَنْ نَمَّ لَكَ نَمَّ عَلَيْكَ»⁽¹⁾.

[ترك أذى الإخوان]

ومنها ما أفاده بقوله:

371 - تَكْرَمَ عَلَى إِخْوَانِكَ لَا تُؤْذِيهِمْ يَا سَالِكَ

372 - بِنَوْمِكَ وَكَسْلِكَ فِي ذِكْرِكَ بِالْجَمْعِ

أراد بالتَّكْرَمَ على الإخوان معاملتهم بالتَّفَضُّل والإحسان، وذلك بأن يؤثرهم بما يطلب منه من المستحسّنات الموجودة عنده، لأن ذلك شأن العارفين وشعار السلف الصّالحين.

قال تعالى⁽²⁾: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽³⁾، أي فقر وحاجة، ولذلك قيل: إن أكمل الحالات أن تؤثر إذا وجدت، وتشكر إذا فقدت.

وفيه مع ذلك كمال تهذيب النفس بقمعها وإبعادها من مشتبهاتها.

(1) نسبه ابن حجر الهيثمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (39/2) للحسن البصري، ونسبه النووي في تهذيب الأسماء (56/1)، ونسبه الغزالي في الإحياء (195/2) للخليل بن أحمد الفراهيدي، ونسبه والذهبي في سير أعلام النبلاء (99/10)، والشعراني في الطبقات الكبرى (44/1) للإمام الشافعي.

(2) نهاية الورقة (82/و).

(3) سورة الحشر: 9.

[ترك التشويش على الإخوان في حلق الذكر]

ومنها أن لا يؤذي إخوانه بنومه في حلق الذكر أو العلم، أو بإظهار كسله في الحالين، لأن ذلك من سوء الأدب الموجب للمقت، فقد ورد: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»⁽¹⁾، فالعاقل من ألزم نفسه الطاعة وأكرهها عليها، حتى تتمرّن وتذوق حلاوتها، وطهرها من رجس الكسل والملل.

ومن تلبس بذلك فعليه وزره ووزر كل من تبعه فيه، لأنه إذا نام أو كسل وكان جليسه نشيطا ربما تبعه في ذلك، فيكون سببا في إذايته بحرمانه النشاط في عبادته ربّه، الذي هو أمانة الهداية.

قال البوصيري⁽²⁾:

وَإِذَا حَلَّتْ الْهَدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ

والباء من قوله: (بَنَوْمِكَ) سببية، وهي مع مجرورها صلة (تُؤْذِيهِمْ).

وقوله: (فِي ذِكْرِكَ بِالْجَمْعِ) أي في زمن ذكرك مع الجماعة.

[عدم الخروج من مجلس الذكر قبل الفراغ منه]

ومنها ما بينه بقوله:

-
- (1) متفق عليه. رواه البخاري (116/1 رقم: 481)، ومسلم (4/1999 رقم: 2585) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».
- (2) قصيدة الهمزية (ص: 15).

373 - لَا تَكُنْ أَمَامَهُمْ فِي الْخُرُوجِ قَبْلَهُمْ

374 - مِنْ مَجْلِسِ ذِكْرِهِمْ مِنْ قَبْلِ الْفَرَاغِ

يعني من جملة الآداب الواجبة على المريد أن لا يكون قدوة لإخوانه في الخروج من مجلس الذكر قبل الفراغ منه، حتى لا يقتدي⁽¹⁾ به غيره في ذلك، لأنه يكون حينئذ سن سنة سيئة.

وفي الحديث: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»⁽²⁾.

ولأن الخروج من مجالس الذكر يضعف قلوب الذاكرين ويشوش عليهم، ولا سيما إذا احتبك المجلس من شدة الذكر، وربما يقتدي به غيره فتضعف حلقة الذكر، لأن المجالس إنما جعلت للتقوي والتعاون على⁽³⁾ العبادة⁽⁴⁾.

(1) في (هـ) حتى يقتدي.

(2) رواه أحمد (494/31 رقم: 19156)، ومسلم (2059/4 رقم: 1017)، والترمذي (43/5 رقم: 2675)، والنسائي (75/5 رقم: 2554)، وابن ماجه (74/1 رقم: 203) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

(3) نهاية الورقة (82/ظ).

(4) كُتِبَ في أعلى اللوحة 189 من النسخة (هـ): بهذا البياض في نسخة الأصل قدر ثلاثة أسطر.

[حث الإخوان على الذكر وتعليمهم الآداب الشرعية]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

375 - وَأَخْبِ كَثْرَةَ الْإِخْوَانِ فِي ذِكْرِكَ الرَّحْمَانَ

376 - وَأَرْشِدْهُمْ بِالْإِحْسَانِ فِي الْآدَابِ الشَّرْعِيَا

يقول من جملة الآداب المتعيّنة على المريد كثرة حثّه إخوانه على حضور مجالس الذكر ومواطن العبادة، رغبة في تكثير الإخوان في الذكر جماعة، محبة في الله عز وجلّ.

ومنها أن يرشد إخوانه ويعلمهم الآداب الشرعيّة والعرفيّة على سبيل النصّح، لقوله ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ، قِيلَ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، [وَلِكِتَابِهِ،⁽¹⁾ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»⁽²⁾، من غير أن يرى فضلا لنفسه عليهم، فقد يكون أحدهم أخلص منه لله وأحسن معاملة، فلا يلزم من كونه أعلم كونه أفضل عند الله منهم.

[قدوة المريد لإخوانه في أعمال البر]

ومنها ما أرشد إليه بقوله:

377 - كُنْ إِمَامًا لِلرَّجَالِ فِي الْأَضْعَبِ مِنَ الْأَعْمَالِ

378 - مِنْهَا كَسْهَرُ اللَّيَالِ كَذَاكَ الدُّنْيَا

(1) [ولكتابه] ساقط من (ج) و (ط) وأثبتناه من صحيح مسلم.

(2) رواه أحمد (138/28 رقم: 16940)، ومسلم (74/1 رقم: 55)، وأبو داود (286/4 رقم:

4944)، والنسائي (156/7 رقم: 4197) عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه.

379 - مَوَاطِنُ غَفَلَتِهِمْ تَذَكُّرٌ لِرَحْمَتِهِمْ

380 - مُرُهُمْ تَزَكُّ بَغْيِهِمْ عَلَى كُلِّ بَاغِيَا

أي من الآداب الواجبة على المريد السالك طريق أهل التجريد، أن يكون قدوة لإخوانه في كل عمل شاق من الأعمال الدنيئة والدنيوية.

ومثل المصنّف رحمه الله تعالى الأوّل بسهر الليالي في عبادة الله تعالى، وقس على ذلك سائر الأعمال الدينية، لأنّ الدلالة على صالح العمل بالفعل أقوى وأوقع في النفس من الدلالة عليه بالقول، فتهجّدك بين إخوانك مع سلامة قلبك أشدّ تأثيراً في التّغيب في التّسهجد من أمرك لهم به، فلا ينبغي للمريد أن يأمر إخوانه بالقيام وهو ينام، ولا أن يُزهدهم في الدّنيا وهو يجمعها، ولا أن يأمرهم بالصّيام وهو يفطر.

وكذلك يكون قدوة لهم أيضاً في الأعمال الشّاقة الدنيوية، المنوطة بشيخه أو إخوانه.

[تنبيه الإخوان على الذكر والعبادة عند غفلتهم]

ومن الآداب اللاّزمة للمريد في حقّ إخوانه أن يراعي مواطن غفلة الإخوان عن الذّكر أو غيره من العبادات، فيذكر الله تعالى في تلك المواطن كي يتنبهوا من نوم الغفلة فيتذكرون ويذكرون الله تعالى لتنزل عليهم الرّحمة، ويكون محسناً إليهم بإرشادهم لتحصيل الثّواب⁽¹⁾ بذكر ربّ الأرباب، ويحصل له من الأجر ما يعلمه الله تعالى، وربّما كان ذكر الواحد في وقت غفلة إخوانه في الأجر والثّواب بعدد من غفل منهم.

(1) نهاية الورقة (83/و).

[ترك البغي على الإخوان]

ومنها أيضا أن يأمرهم بترك البغي على من بغى عليهم، ولا يأمرهم قط بمقابلة الباغي بالبغي، وفي الحديث: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّيَمَّنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»⁽¹⁾.

وفي الزبور: «يَا دَاوُودُ لَا تَبْغِ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْيَ أَنْصُرَكَ، فَمَنْ بَغَى عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْهِ تَخَلَّفَ عَنْ نُصْرِي لَهُ»⁽²⁾.

[عيادة مرضى الإخوان وخدمتهم بإخلاص]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

381 - لَا تَغْفُلْ عَمَّنْ مَرِضَ إِخْوَانُكَ يَا حَافِظَ

382 - اخْدُمُهُمْ بِلَا غَرَضٍ مِنَ الْأُمُورِ نَفْسِيَا

(1) رواه أبو داود (290/3 رقم: 3535)، والترمذي (564/3 رقم: 1264) وقال: حسن غريب، والحاكم (53/2 رقم: 2296) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي (271/10 رقم: 21092) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) لو استشهد بالقرآن لكان أفضل، ويكفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴿[الشورى: 39 - 43].

أي من الآداب الواجبة على المريد في حق إخوانه أن يتعاهد من مرض منهم ويتفقده، ولا يغفل عن خدمته وإصلاح أمره، ولا سيمًا في الليل حين ينام الناس ويتركونه، وليس له أهل ولا أولاد، فإنه يجب على كل مريد خدمته والقيام بشؤونه، وقد ورد: «إِنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ»⁽¹⁾.

ثم إن كان المريض ليس معه ما ينفقه، وجب على إخوانه أن ينفقوا عليه من مالهم أو يقترضوا له،

وروي: «إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»⁽²⁾.

وأشار بقوله: (اخْذُمُهُمْ بِلَا غَرَضٍ) إلى أنه يجب عليه مع ذلك الإخلاص في خدمته، لا يريد جزاء ولا شكورا، فإن العمل إذا كان مشوبا بشيء من الأغراض النفسانية لا يصعد إلى السماء ولا يقبله الله تعالى.

[إدخال السرور على قلوب الإخوان]

ثم قال:

(1) مما ورد ما رواه أحمد (137/12 رقم: 7204)، ومسلم (4/1997 رقم: 2582)، والترمذي (4/614 رقم: 2420) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».

(2) رواه مسلم (4/2074 رقم: 2699)، وأبو داود (4/287 رقم: 4946)، والترمذي (4/34 رقم: 1425)، وابن ماجه (1/82 رقم: 225) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

383 - لَا تُدْخِلْ عَلَيْهِمْ غَمًّا لَا تُدْخِلْ عَلَيْهِمْ هَمًّا

384 - لَا تَذْكُرْهُمْ بِذَمٍّ وَادْعُ لَهُمْ مَوْلَايَا

وفي التحفة: «من الآداب أن لا يُدخِل على إخوانه أو شيخه غمًّا، إذا أرسله شيخه إلى شخص من الحكّام أو غيرهم ممّن لا يعتقد ولم يقض حاجته أو سبّ شيخه، فمن الأدب أن يقلب ذلك الكلام بضدّه بسياسة لطيفة، ولا يُدخِل على الشّيخ والإخوان غمًّا بذلك الكلام الجافي، بل يأتي⁽¹⁾ بالفاظ حسنة ولا يقول إلّا خيرا، وإن كان الشّخص الذي يشفع فيه الشّيخ لا يستحقّ شفاعته لقبح ذنبه.

ثمّ إن لقي الذي سبّ شيخه ونقصه بلّغه السّلام من شيخه وأعرض عن فعله الصّادر منه ولا يعاتبه، فإنّ ذلك ممّا يؤلّف القلوب ويزيل الضّغائن ويقلّل أعداء الفقراء».

ومن الآداب أن لا يدخل عليهم الهمّ بوجه من الوجوه.

وصنّع المصنّف رحمه الله تعالى صريح في المغايرة بينهما، وهو الذي عليه فريق من أهل اللّغة، فالغمّ ما يحصل للقلب من الحزن على فائت بسبب ما حصل ومضى.

والهمّ ما يحصل للقلب من الحزن على آت بسبب ما يتوقّع حصوله من الأذى⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (83/ظ).

(2) انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص: 560).

وقيل: هما بمعنى، واختار الفرق⁽¹⁾ عياض⁽²⁾.

[ذكر محاسن الإخوان وترك ذمهم]

ومن الآداب أن لا يذمّ أحدا من إخوانه، لأنّ ذلك ممّا يثمر البغضاء ويوقع في العداوة، بل يتعيّن على المريد إذا سُئِلَ عن واحد من إخوانه أن يثني عليه ويمدحه بما يعلم من حسن أخلاقه وكمال آدابه، ويكفّ عن كلّ شيء يعلمه ممّا يفيد الذمّ والقذح، ولا يكون كما قيل:

يَرَى الْإِنْسَانُ عَيْبًا فِي أَخِيهِ فَيُظْهِرُهُ وَيُخْفِي عَيْبَ نَفْسِهِ

فقوله: (لَا تَذْكُرْهُمْ بِذَمٍّ) أي لا تصرّحوا ولا تلويحوا، فالتصرّيح ظاهر والتلويح كأن يقول للسائل عن أخيه: لا نعلم ظاهرا فيه إلّا خيرا، ففي هذه المقالة إيماء إلى أنّ له في الباطن أمورا قبيحة لا ينبغي إظهارها ولا كشفها، أو ما يُشعر بمثل ذلك.

فليتنبّه الصادق لمثل ذلك ويفرّ منه ما أمكنه، فإنّه أعظم قاطع وأجلّ مانع.

(1) انظر مشارق الأنوار على صحيح الآثار (240/1) مادة: حزن.

(2) هو الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، من أعلام الفقه والحديث بالمغرب، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة، وكان شديد التعصب للسنة والتمسك بها، توفي رحمه الله بمراكش سنة 544هـ.

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (20/138)، والديباج المذهب (ص: 270 - 273)، وشجرة النور (140/1).

تنبيه [في التماس الأعذار للإخوان]

يستحب للمريد إذا رأى شيئاً منكراً من أخيه أن يتدارك له احتمالات حتى لا يكون قد وقع في أخيه، فإذا أعيته الاحتمالات فيقول: لعلّي لم أظفر باحتمال ينفي عنه ذلك، أو لم يبلغ علمي ما هنالك، لأنّ سوء الظنّ بالمسلم قبيح، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁽¹⁾، وهو سوءه.

[الدعاء للإخوان]

ومن الآداب⁽²⁾ على كلّ مريد في حقّ إخوانه أن يدعو لهم في سرّه وإعلانه، لأنّ الدّعاء نافع وثمرته محقّقة⁽³⁾، وإنّه وإن طال أمده فلا يستبطن إجابته ومدده.

[شروط الدعاء]

وله شروط، أفردھا بعضهم بالتأليف وأوصلها إلى ثلاثين، ومن جملتها الطّهارة ظاهراً وباطناً، وعدم تناول الحرام، والإيقان بالإجابة⁽⁴⁾، والإخلاص في الأعمال، وغير ذلك.

(1) سورة الحجرات: 12.

(2) نهاية الورقة (84/و).

(3) يدل عليه ما رواه مسلم (4/2094 رقم: 2732) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال

رسول ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ».

(4) لما رواه الترمذي (5/517 رقم: 3479) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

فهو مندوب إليه، وسنة جادة يعول عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «دُعَاءُ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابٌ»⁽¹⁾.

وهو دليل خلوص المحبة بين الإخوان، وصفاء السريرة وكمال الإيمان.

[إكرام الإخوان وقضاء حوائجهم]

ومنها ما بيّنه بقوله:

385 - أَكْرَمَنْ وَارِدَهُمْ نَظَّفَ مُسْتَرَاخَهُمْ

386 - قَدِّمَ حَوَائِجَهُمْ عَنْ نَوَافِلِ الْكُلِّيَا

أي من الآداب اللازمة للمريد في حق إخوانه إكرام كل وارد عليه من الإخوان بما تيسر له من غير تكلف.

قال الشعراني رحمه الله تعالى: «أُخِذَتْ عَلَيْنَا الْعُهُودُ أَنْ لَا نَبْخَلَ بِمَوْجُودٍ، وَلَا نَتَكَلَّفَ بِمَفْقُودٍ».

و (الْوَارِدُ) الوافد عليك والقادم إليك.

(1) رواه ابن أبي شيبة (52/1 رقم: 43)، وأحمد (39/36 رقم: 21707)، والبخاري في الأدب المفرد (219/1 رقم: 625)، ومسلم (2094/4 رقم: 2733)، وابن ماجه (966/2 رقم: 2895) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ».

ومنها تنظيف كنيف⁽¹⁾ مكان اجتماعهم من القذر، وليكن ذلك في وقت لا يراه أحد منهم، كالأسحار وأوقات الغفلات، ثم لا يتحدث بما يراه من القاذورات.

وإذا رأى المطهرة خالية من الماء ملأها من البئر إعانةً لإخوانه. ومنها أن يقدم حوائج إخوانه الضرورية على نوافله، لأنّ الخير المتعدّي نفعه أفضل من القاصر على فاعله، ويؤنس أخاه المستوحش ويؤمّنه إذا كان خائفاً.

[إيقاظ الإخوان من الغفلة وتحذيرهم من مجالسة السفلة]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

387 - لَا تَتْرُكُهُمْ فِي الْغَفْلَةِ وَجُلُوسِ السَّفَلَةِ

388 - رَغَبُهُمْ فِي ذِكْرِ اللَّهِ صَبَاحًا وَمَسِيًّا

389 - لَا تَكُنْ قُدُوتَهُمْ فِي سُوءِ آدَابِهِمْ

390 - كَتَرُوجِ بَعْضِهِمْ بِلَا إِذْنِ الْمُرَبِّيِّ

أي من الآداب اللازمة للمريد في حقّ إخوانه إيقاظهم من نوم غفلتهم، وحثّهم على تركهم مجالسة البطالين المنهمكين المعرضين عن ذكر الله وغيره⁽²⁾ من التّوافل وأنواع العبادات⁽³⁾، المعمّرين أوقاتهم بأصناف المخالفات والشبهات.

(1) [كنيف] ساقط من (هـ)، والكنيف: الساتر، والمقصود هنا المرحاض، سمي كنيفاً لأنّه يستر قاضي الحاجة؛ انظر المصباح المنير (542/2).

(2) في (هـ) عن ذكر وغيره.

(3) نهاية الورقة (84/ظ).

وفي الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَطَّأَنَّ
مَوَاطِنَ الثُّهَم»⁽¹⁾.

فإذا علمت ذلك عرفت أنَّ المراد بالسِّفلة الفسقة، والله جلّ وعلا
لا يحبّ الفاسقين، ومن جالس من لا يحبّه الله تعالى من غير ضرورة
كان من الجاهلين.

و (السِّفلةُ) بكسر الفاء، غوغاء الناس وسُقّاطهم.

وفي الصّحاح: «وبعض العرب يخفّف فيقول: فلان من سِفلة
النّاس، فينقل كسرة الفاء إلى السّين»⁽²⁾، اهـ.

(1) أورده الزمخشري في الكشاف (478/2)، والرازي في تفسيره مفاتيح الغيب
(327/32) من غير عزو، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (136/3):
«غريب»، وأورده الغزالي في الإحياء (36/3) بلفظ: «اتَّقُوا مَوَاطِنَ الثُّهَم» وقال
العراقي في المغني عن حمل الأسفار (914/1): «لم أجد له أصلاً».

والحديث وإن كان لا أصل له فمعناه صحيح، وقد أُمِرْنَا باجتناب مواطن التهم،
والنبي نفسه احترز من التهمة، ففي الحديث المتفق عليه عند البخاري (443/1)
رقم: (2035)، ومسلم (1712/4) رقم: (2175) عن علي بن الحسين رضي الله عنهما
أَنَّ صَفِيَّةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي
اِعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ
قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ
أُمِّ سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ
ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ،
وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي
خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا».

(2) انظر الصحاح للجوهري (1730/5) مادة: سفل.

فتصير بوزن سِدْرَة، وهي في البيت بالتثقيل.

[حث الإخوان على ملازمة الذكر واحترام الشيخ]

ومنها حثُّهم وتحريضهم على ملازمة ذكر الله، وترغيبهم في حضور حلق الذكر في الصُّباح والمساء.

ومنها أن لا يكون قدوة لإخوانه في ارتكاب ما يُفْضِي إلى سوء الأدب مع الشيخ، كأن يطلب الدُّنيا بالوظائف والحِرَف، أو يتزوَّج بغير إذن أستاذه، فيقتدي به غيره في ذلك ويحتجّ به وبقبيح صنعه، لأنّ التَّلَبُّس بكلِّ ما يؤدِّي إلى حصول سوء الأدب مع الأستاذ موجب للمَقْت، ولا سيّما إذا كان ذريعة لاتِّباع غيره له فيه، فليتنبّه المريد لذلك، ليفوز بمرضي الأحوال هنالك.

[السعي في إيصال النفع للإخوان]

وأشار بقوله:

391 - خُذِ الْمَوْسَى لَهُم خُذِ الْمَقْصَصَ لَهُم

392 - خُذِ الْإِبْرَةَ لَهُم الْخَيْطَ الْمُشْطَ الْآنِيَا

إلى أن من جملة الآداب المتعينة على المريد في حق إخوانه أن يسعى في مصالحهم وإيصال النفع لهم، ودفع المضرة عنهم بما أمكنه، وذلك بأن يتخذ لهم ما يحتاجونه غالبا من الآلات مالموسى للحلِّق وغيره كالمقراض لتقصير الشعر ونحوه، والإبرة للخياطة، والمخرز للخرز، والمُشْط لتسريح الشعر وترجيله، والخلال والمسواك، والسجادة للصلاة، والآنية للوضوء والشرب وغيره.

[دعوة إلى تحصيل الآداب والعمل بها]

ثم ختم الكلام على آداب المريد مع إخوانه بالترغيب فيها فقال:

393 - يَا مَنْ تُرِيدُ الثَّبَاتَ حَصِّلْ هَذَا الْأَدَبَاتِ

394 - تَبْلُغْ إِلَى دَرَجَاتٍ سَادَرْنَا الصُّوفِيَا

395 - إِنْ فَعَلْتَ مَا ذُكِرَ⁽¹⁾ وَحَصَلَتْ مَا سَطَرَ

396 - فَاضْ عَنْكَ كُلَّ خَيْرٍ كُنْتَ مِنَ الْأَوْلِيَا

يقول: أيها المريد إن أردت قرب الحضرات، واستنشاق عَرْفِ النفحات، وقصدت الثبات في الحياة الدنيا وبعد الممات، حَصِّلْ جميع هذه الآداب بحفظها والعمل بها، فَإِنَّكَ إِنْ حَصَلَتْهَا بَلَغْتَ وترقيت إلى درجات أي مقامات ساداتنا الصوفية.

ثم أَكَّدَ ذلك بقوله: (إِنْ فَعَلْتَ مَا ذُكِرَ) إلخ، أي إن تأدبت بما ذكره من آداب العارفين، وَحَصَلْتَ التحقّق بالتَّحَلُّقِ بما سَطَرَهُ من صفات المريدين الصادقين، أَفَاضَ اللهُ تعالى عليك⁽²⁾ كلّ خير من الأسرار والتجليات، وصيرك من أوليائه أرباب الأحوال والمقامات، فاجتهد أيّها المريد في العمل بهذه الآداب، لتنال الآمال والآراب، فَإِنَّهَا هي كنز المريدين، ورأس مال السالكين، جعلنا الله ممّن تأدّب بالآداب المحمّدية، ودأب عليها لينال المنازل العلية.

(1) نهاية الورقة (85/و).

(2) في (هـ) عنك.

فقله: (فَاضَ عَنْكَ كُلُّ خَيْرٍ) إلخ جواب (إِنْ).
وجملة (وَحَصُلْتَ) معطوفة على الشرط.
وجملة (كُنْتَ) معطوفة على الجواب.

[آداب الخلوة]

[محاسن الخلوة وثمراتها]

ولمّا فرغ من الكلام على الآداب المنوطة بالمريد في نفسه ومع شيخه ومع إخوانه، ذيلها بذكر آداب الخلوة، مقدّماً ذكر بعض محاسنها وثمراتها ترغيباً فيها، فقال:

- 397 - إِذَا تُرِيدُ الدُّوَا وَحَسَّ النَّفْسُ عَنِ الْهَوَى
398 - كَمَلْ فِعْلَكَ بِالْخُلُوَا عَسَى يَفْتَحُ مَوْلَايَا
399 - هِيَ وَضَلَةُ الْقُلُوبِ بِحَضْرَةِ ذِي الْغُيُوبِ
400 - عِلْمُهُ فِيهَا مَوْهُوبٌ لِمَنْ لَهُ الْعِنَايَا
401 - مَمْحِيَّةٌ لِلذُّنُوبِ مُصَقِّلةٌ لِلْقُلُوبِ
402 - مُطَهَّرَةٌ لِلْغُيُوبِ نَفْسِكَ الْحَجَابِيَا

أي إن قصدت شفاء النفس من عللها وأمراضها، وحبسها عن هواها بمخالفتها وقمعها عن مرادها، كَمَلْ أي تَمِّمْ فعلك وعملك باستعمال الخلوة لعلّ المولى جلّ وعلا يفتح بصيرتك، فتدرك الباطل وتعرض عنه وتدرك الحقّ فتقبل عليه.

وقوله: (هِيَ وَضَلَةُ الْقُلُوبِ) جملة من مبتدأ وخبر، والضمير المبتدأ يعود على الخلوة.

و (حَضْرَةِ ذِي الْغُيُوبِ) الحضرة القدسيّة، وقد مرّ الكلام⁽¹⁾ عليها.

(1) نهاية الورقة (85/ظ).

وضمير (عِلْمُهُ) عائد على الله تعالى ذي الغيوب.

واللّام من (لِمَنْ) متعلّقة بـ (مَوْهُوب)، وألف (الْعِنَايَا) بدل من التّاء للقافية.

والمعنى أنّ استعمال الخلوة موصل إلى حضرة الله تعالى، ومحصل للعلوم الدّنيّة والمواهب العرفانيّة.

وقوله: (مَمْحِيَّةٌ) على صيغة اسم الفاعل من محاه يمحوه أزال أثره، أي من جملة ثمراتها محو الذّنوب وإزالتها.

وقوله: (مُصْقَلَةٌ) بوزن مَكْنَسَةٍ⁽¹⁾ وهي لغة خَزَزَةٌ يُصْقَلُ بها السّيف ونحوه، وليس المراد بها هنا المعنى الحقيقي بل شَبَّهَ تطهير الرّياضة بالخلوة للقلوب وجلائها وإزالة ما عليها من الرّان بجلاء المصقول من الأجرام المتلبّسة بالصدأ بالمصقلة وإزالة ما عليها من الكدر.

وقوله: (مُطَهَّرَةٌ لِعُيُوبِ نَفْسِكَ) أي غاسلة لنجسات النّفوس المحجوبة بظلمات الأغيار، أو آلة يُغسل بها النّجاسات المذكورة، وذلك أنّ قوله: (مُطَهَّرَةٌ) يصحّ ضبطه بضمّ الميم على أنّه اسم فاعل مخفّف، وبكسر الميم وفتحها وهو الآلة التي يُتَطَهَّرُ بها كالأدوات ونحوها، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: «السَّوَاكُ مَطَهَّرَةٌ لِلْفَمِ»⁽²⁾.

(1) في (ط) و (هـ) مسكنة.

(2) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها تعليقا، ووصله أحمد (240/40 رقم: 24203)، والنسائي (10/1 رقم: 5)، والحميدي (242/1 رقم: 162)، والدارمي (538/1 رقم: 711)، وابن خزيمة (70/1 رقم: 135)، وأبو يعلى (73/8 رقم: 4598).

وأشار بقوله:

403 - وَإِنْ تُرِدَ الْجَلْوَةَ تَحْطَى عَنْهَا بِالْخَلْوَةِ

404 - لَا زِمَ ذِكْرَكَ بِالْقُوَّةِ فِي الْعَزَلَةِ التَّوْفِيقِيَا

إلى أنّ المريد إذا أراد أن يحظى بالجلوة عن استعمال الخلوة فليلازم⁽¹⁾ ذكر ورده بالاجتهاد والقوة في عزلته، لأنّ العزلة مُقَدِّمَةٌ على الخلوة، فمتى لم يستعدّ المريد بالعزلة لا يدخل الخلوة، ومن لم يدخل الخلوة لا يحظى بالجلوة⁽²⁾.

(1) في (ط) فيلازم.

(2) أورد ابن الجوزي رحمه الله في كتابه صيد الخاطر (ص: 185) كلاماً طيباً في هذا المقام فقال: «إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة، كم من مؤمن بالله عز وجل، يحترمه عند الخلوات، يترك ما يشتهي حذراً من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالاً له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على معجم، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق، ولا يدرون أين هو؟ وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود، فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص، وألستهم تمدحه، ولا يعرفون لهم؟ ولا يقدرورن على وصفه، لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأرايح بعد الموت على قدرها؛ فمنهم من يُدَكَّرُ بالخير مدة مديدة ثم يُنْسَى، ومنهم من يذكر مئة سنة ثم يخفى ذكره وقبره، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً. وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق، فإنه على قدر مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب، يفوح منه ريح الكراهة، فتمتقته القلوب، فإن قلّ مقدار ما جنى، قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه، وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه، لا يمدحونه ولا يذمونّه».

وهي عندهم عبارة عن خروج العبد من الخلوة بالنّعوت الإلهيّة، فالجلوة أثر عن الخلوة، والخلوة أثر عن العزلة، وهي أثر عن الهمّة، والهمّة أثر عن التّوفيق، الذي هو خلق القدرة على الطّاعة في العبد.

[مدة الخلوة]

قوله:

405 - أَقْلُهَا ثَلَاثًا وَسَطُّ مَيِّمٍ أَنَا

406 - أَكْثَرُهَا يَا فَتَى مُدَّةُ عُمْرِكَ نِهَايَا

يعني أنّ أقلّ المدّة المعتبرة في الخلوة ثلاثة أيّام بلياليها، وما دون الأربعين كلّهُ يُعدُّ قليلاً⁽¹⁾.

والمدّة المتوسّطة أربعون يوماً وهي الخلوة الموسويّة⁽²⁾، وإلى ذلك رمز بالميم، لأنّ نقطتها⁽³⁾ أربعون⁽⁴⁾.

ولا حدّ لأكثرها، فكلّ ما زاد على الأربعين فهو كثير إلى آخر العمر.

(1) نهاية الورقة (86/و).

(2) أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾

أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴿[الأعراف: ١٤٢].

(3) في (ط) عددها.

(4) في (ط) أربعون يوماً.

وقد تقدّم أنّ الخلوة سُنة من سنن المرسلين لحديث عائشة رضي الله تعالى⁽¹⁾ عنها المروي في البخاري وغيره: «مَنْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَحَنُّ فِي غَارِ حِزَاءٍ قَبْلَ الْبُعْثَةِ، وَيَمْكُثُ فِيهِ ﷺ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ بِغَارِ حِزَاءٍ»⁽²⁾.

[شروط الخلوة]

ثم أشار رحمه الله تعالى إلى شروطها، ويُعبّر عنها بأدائها، فقال:

407 - شُرُوطُهَا يَا مُسْكِينُ أَرْبَعَةٌ مَعَ عِشْرِينَ

408 - عَدُّهَا لِلْسَّالِكِينَ سَادَتُنَا الْخُلُوتِيَا

يقول: إنّ شرائط الخلوة منحصرة في أربعة وعشرين شرطا ثبت انحصار عدّها في ذلك لساداتنا الخلوتيّة السّالكيين طريقة الصّوفيّة.

فقوله: (أَرْبَعَةٌ مَعَ عِشْرِينَ) خبر (شُرُوطُهَا)، و (مَعَ) بسكون العين لغة.

وقوله: (عَدُّهَا) يحتمل أن يكون فاعلا بفعل محذوف تقديره ثبت، أو مبتدأ والخبر محذوف تقديره ثابت.

والإضافة في (عَدُّهَا) للعهد، لأنّ الإضافة ترد لما ترد له اللام.

(1) [تعالى] ساقط من (ه).

(2) الحديث متفق عليه، رواه البخاري (9/1 رقم: 3)، ومسلم (139/1 رقم: 252).

[الشرط الأول: تمرين النفس على السَّهر والجوع والعزلة]

قوله:

409 - فَالْأَوَّلُ عَلِّمَ نَفْسَكَ إِسْهَرَ وَخَفَّفَ أَكْلَكَ

410 - اعْتَزَلَ وَاجْلَسَ وَخَذَكَ اسْتَأْذَنَ شَيْخَكَ ثَانِيًا

أراد بالتَّعليم التَّمرين والتَّعويد، يعني يجب على مريد استعمال الخلوة تمرين نفسه على السَّهر والجوع والاعتزال عن النَّاس.

والمراد بالوجوب العرفيِّ دون الشرعيِّ، وهو استفاد من تعبيره بصيغة الطَّلَب.

وقوله: (وَاجْلَسَ وَخَذَكَ) تفسير للاعتزال.

[الشرط الثاني: استئذان الشيخ]

وأشار إلى الشرط الثاني بقوله: (اسْتَأْذَنَ شَيْخَكَ ثَانِيًا)، يعني أنَّه لا يجوز للمريد أن يدخل الخلوة بدون إذن شيخه البتَّة، بل يجب عليه أن يستأذن أستاذه، فإن أذن له فعل وإلاَّ ترك، مادام في حجر التَّربية ودائرتها.

[الشرط الثالث: نية حبس النفس عن النَّاس]

وقوله:

411 - ثَالِثُ تُرِيحُ الْأَنَامَ مِنْ شَرِّكَ يَا غُلَامَ

يريد أن الشرط الثالث⁽¹⁾ من شرائط الخلوة، أن يدخلها على نيّة حبس نفسه عن الناس، ليريحهم من شرّه وضرّه ويرتاح من شرّهم كذلك⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (86/ظ).

(2) يدل على ما ذكره المصنف الحديث المتفق عليه عند البخاري (2/16 رقم: 2786)، ومسلم (3/1503 رقم: 1888) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ فِي شُعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».

وروى أحمد بسند حسن (36/412 رقم: 22093) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خُمْسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُمْ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ، مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَغْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَيَسْلُمُ النَّاسَ مِنْهُ وَيَسْلَمُ».

ورواه ابن خزيمة (2/375 رقم: 1495)، والحاكم (2/99 رقم: 2450) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط (8/288 رقم: 8659) بلفظ: «وَمَنْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَغْتَبْ أَحَدًا بِسُوءٍ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ».

وروى أحمد بسند صحيح (32/432 رقم: 19662)، وأبو داود (4/101 رقم: 4262)، وابن حبان (13/297 رقم: 5962)، والحاكم (4/487 رقم: 8360) وصححه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضِيحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: كُونُوا أَحْلَاسَ يُبُوتِكُمْ»، أي التزموا السكوت والزموا البيوت.

وفي ذلك قيل:

رَاحَتِي يَا إِخْوَتِي فِي خَلَوَتِي وَبَلَايِي كُلُّهُ مِنْ رُفْقَتِي
كُلَّمَا عَاشَرْتُ قَوْمًا مِنْهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَخَانُوا صُحْبَتِي
مَا اغْتَرَزَالِي عَنْهُمْ مِنْ مَلَلٍ بَلْ وَجَدْتُ رَاحَتِي فِي غُزْلَتِي

[الشرط الرابع: دخول الشيخ قبل المريد]

قوله:

412 - رَابِعُ دُخُولِ الْإِمَامِ يُصَلِّي بِالْجَمْعِيَا

يقول: الرابع من شرائط الخلوة، أن يدخل الأستاذ وهو المراد بـ (الإمام) في كلام المصنّف رحمه الله تعالى قبل المريد للخلوة، يصلي فيها ركعتين ويتوجّه إلى الله تعالى بقلبه ويسأله⁽¹⁾ توفيق المريد وتسهيل الأمر عليه مع التّسديد، فإنّ ذلك يُقَرِّبُ الفتح، ويحصل للمريد في تجارته مع الله تعالى الرّبح.

وقوله: (بِالْجَمْعِيَا) الألف بدل من التّاء.

والجَمْعِيَّة في اصطلاح القوم عبارة عن التّوجه إلى الله تعالى والاشتغال به عمّا سواه، ويقابلها التّفرقة.

[الشرط الخامس: التّأدّب في الدخول إلى الخلوة]

قوله:

(1) في (هـ) لعلائل.

413 - خَامِسٌ تَدْخُلُ يَا سَيِّدُ مِثْلَ دُخُولِكَ لِلْمَسْجِدِ

414 - مُبَسِّمًا مُتَعَوِّذُ خَالِصٌ لِلَّهِ بِالنِّيَّةِ

يقول: الخامس من شرائط الخلوة، أن يدخل المريد إليها كما يدخل المسجد، مقدّمًا رجله اليمنى، مستعينًا باسم الله تعالى، متعوّذًا من شرّ نفسه وشرّ كلّ ذي شرّ، مخلصًا عمله من سائر الشوائب والأغراض، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽¹⁾، ناويا القيام ببعض حقوق العبوديّة، منقطعًا لله عمّا سواه.

[الشرط السادس: تنزيه الله تعالى]

قوله:

415 - سَادِسٌ نَزَّةٌ وَاعْتَقِدْ لَيْسَ مِثْلَهُ أَحَدٌ

416 - وَمَا عَلَيْكَ وَرَدٌ أَنْفِهِ بِالْكُلِّيَّةِ

يقول: السادس من شرائط الخلوة، أن يكون المريد منزّها لله تعالى في كلّ حالاته، مستحضرا في كلّ أوقاته أنّه عزّ وجلّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽²⁾، معتقدا أنّ ذات الحقّ سبحانه شيء من خاصّيته أنّه لا يُعرف، ولذلك قال سيّدنا أبو بكر الصّديق رضي الله تعالى عنه «الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِذْرَاكِ إِذْرَاكٌ»⁽³⁾، وأنّه

(1) سورة البينة: 5.

(2) سورة الشورى: 11.

(3) هذا الأثر تداوله بعض الأئمة في كتبهم ولم أقف على من رواه.

تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا بترك الأعمال الصالحة، فكل ما يتجلى للمريد في خلوته ينفيه ولا يقف عنده ولا يلتفت إليه.

قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: «مَا أَرَادَتْ هِمَّةٌ سَالِكٌ أَنْ تَقِفَ⁽¹⁾ عِنْدَمَا كُشِفَ لَهَا⁽²⁾ إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ: الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، وَلَا تَبَرَّجَتْ لَهُ ظَوَاهِرُ الْمُكُونَاتِ إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقَائِقُهَا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾⁽³⁾»⁽⁴⁾.

و (مَا) من قوله: (وَمَا وَرَدَ) شرطية، وجملة (أَنْفِهِ) جواب، ويحتمل أن تكون موصولة معمول لـ (أَنْفِهِ) على معنى أَنْفِ الذي ورد عليك بأسره.

[الحذر من الوارد الشيطاني]

وأشار بقوله:

- | | | |
|-------|--------------------------------|-------------------------------|
| 417 - | وَإِنْ وَرَدَ لَكَ خِطَابٌ | مِمَّنْ وَرَاءَ الْحِجَابِ |
| 418 - | أَزَحْتَ عَنْكَ الْعَذَابَ | أَنْتَ مِنَ الْأُولِيَا |
| 419 - | وَإِنْ يَكُنْ هَذَا الْخِطَابُ | مِنْ جِهَةٍ يَا مُصَابَ |
| 420 - | فَهُوَ مِنْ سُوءِ الْأَدَابِ | أُمُورِ الشَّيْطَانِيَا |
| 421 - | وَإِنْ كَانَ بِالْإِطْلَاقِ | فَاخْذَرْ مَكْرًا لَا يُطَاقُ |

(1) نهاية الورقة (87/و).

(2) [لها] ساقط من (ه).

(3) سورة البقرة: 102.

(4) انظر الحكم (ص: 108)، وشرح الحكم للشرنوبى (ص: 86).

422 - عَلامَةُ الْإِنِّصَاقِ بِالْأَخْوَالِ النَّفْسِيَا

إلى أَنَّهُ إِذَا لَاحَ لِلْمَرِيدِ شَيْءٌ فِي خَلُوتِهِ وَقَالَ لَهُ: أَزَحْتُ، بِمَعْنَى أَبْعَدْتُ الْعَذَابَ عَنْكَ، أَوْ أَنْتَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الصَّادِقِينَ، أَوْ أَرَحْتُ نَفْسَكَ مِنَ الْعَنَاءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخَطَابَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ أَوْ لَا، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ جِهَةٍ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى⁽¹⁾ فَهُوَ مِنْ سَوْءِ آدَابِ الْمُخْتَلِي بِتَشَوُّقِ نَفْسِهِ الْأُمَّارَةِ إِلَى التَّرَقِّي إِلَى الْمَقَامَاتِ بِمَا يَتَلَبَّسُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ، لِأَنَّهُ مَادَامَ يَشْهَدُ مَا يَظْهَرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فَهُوَ غَرِيقٌ فِي بَحْرِ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ، أَوْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَيَسْتَعِيزُ⁽²⁾ بِاللَّهِ وَيَتَحَصَّنُ بِالذِّكْرِ وَالْإِخْلَاصِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ إِنْ كَانَ قَارِئًا.

وإِذَا أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْمُصَنِّفِ: (وَإِنْ كَانَ بِالْإِطْلَاقِ).

وقوله: (فَاخْذَرْ مَكْرًا لَا يُطَاقُ) أَمْرٌ بِالتَّوَقُّفِ فِي هَذَا الْوَارِدِ وَبِالْحَذَرِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَقُولَ⁽³⁾ عِنْدَ ذَلِكَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، آمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

وَإِنَّمَا أُمِرَ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْوَارِدَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الْمَكْرِ أَوْ بَابِ الرِّضَا كَمَا وَقَعَ لِأَهْلِ بَدْرٍ.

(1) [رحمه الله تعالى] ساقط من (ج) و (ط).

(2) في (هـ) فيستعين.

(3) في (هـ) وقل عند ذلك.

قال في التَّحفة: «وعلامة الثَّاني الحفظ والاجتهاد في العبادة⁽¹⁾،
وعلامة الأوَّل الإلصاق بالأحوال النَّفسانيَّة والوساوس الشَّيطانيَّة،
كالميل إلى الرَّاحة والشَّهوات».

فالأدب حينئذ أن يتحصَّن بالله من الله كما في الحديث: «أَعُوذُ
بِكَ مِنْكَ»⁽²⁾، ويشغل قلبه وقالبه بالذِّكر، فإنَّ النَّفس إن لم تشغلها⁽³⁾
بحقِّ أشغلتك بباطل.

[الشرط السابع: عدم انتظار الكرامات]

قوله:

423 - وَسَابِعُ الْأَدَابَاتِ لَا تَنْتَظِرُ لِلْكَرَامَاتِ

424 - عَلَّقَى قَلْبَكَ بِالطَّاعَاتِ وَاطْلُبْ رِضًا مَوْلَايَا

يقول: السَّابع من شروط الخلوة، أن لا يُعَلِّقَ المريد قلبه ولا
يصرف هِمَّتَهُ عند دخوله الخلوة بكرامة تحصل له، ولو عرض عليه ما

(1) في (هـ) العبادات.

(2) رواه أحمد (201/6 رقم: 25696)، ومسلم (352/1 رقم: 486)، وأبو داود (232/1 رقم: 879)، والترمذي (524/5 رقم: 3493)، والنسائي (222/2 رقم: 1130)، وابن ماجه (1262/2 رقم: 3841) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

(3) نهاية الورقة (87/ظ).

في الكون فلا يلتفت إليه، ولكن يتلقاه بالأدب لأنه وارد من الله تعالى، ولا يقف معه فإنه مهما وقف مع شيء فهو غايته، فليحسن الظن بالله تعالى وليقل: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، وليجتهد في عبادة ربه حتى يأتيه اليقين، ولا يطلب إلا رضا الله تعالى فقط.

[الشرط الثامن: الوقار]

وقوله:

425 - وَثَامِنُهَا الْوَقَّازُ مُغْمِضًا لِلْأَبْصَارِ

426 - لَا تَسْنِدُ إِلَى جِدَّازٍ ظَهَرَكَ وَلَا مُتَّكِيَا

يعني أن الشرط الثامن هو^(٢) الوقار، بوزن سحاب، وهو الرزانة لغة، وأراد به هنا إطراق الرأس وحسن الصمت^(٣)، ملاحظا قوله تعالى: «أَنَا جَلِيسٌ مِّنْ ذِكْرَنِی»^(٤)، مصورا صورة شيخه بين عينيه، فإنه رفيقه في طريقه وهو معه بمعناه وروحانيته، مغمضا عينيه، غير مستند إلى جدار ولا متكئ على شيء.

[الشرط التاسع: إشغال القلب بالذكر]

قوله:

(١) سورة طه: ١١٤.

(٢) [هو] ساقط من (ط).

(٣) في (هـ) السميت.

(٤) سبق تخريجه.

427 - وَالتَّاسِعُ يَا بَذْرِي اشْغِلْ قَلْبَكَ بِالذِّكْرِ

428 - مُرَاعِي لِلْخَاطِرِي عَنْ قَلْبِكَ نَافِيَا

يعني أنّ الشرط التاسع من شروط الخلوة، أن يشغل المختلي قلبه بملاحظة معنى الذّكر، مراعيًا معنى مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، نافيًا ما يردُّ على قلبه من الخواطر، مستحضراً جلوسه بين يدي الله تعالى.

[الشرط العاشر: اختيار المكان المظلم]

قوله:

429 - عَاشِرُ اخْتَرِ الظُّلَامَ حَادِي عَشَرَ الصِّيَامَ

430 - ثَانِي عَشَرَ بِالدَّوَامِ طَهِّرْكَ مَعَ قَلْبِيَا

يعني أنّ الشرط العاشر من شروط الخلوة، اختيار المختلي المكان المظلم الذي لا يدخله شعاع الشمس.

وينبغي أن يكون ارتفاعه قدر قامة المختلي، وطوله قدر سجوده، وعرضه قدر جلوسه، ولا يكون فيه كوة⁽¹⁾، وبابه لجهة⁽²⁾ القبلة، قصير وثيق غلقه، بعيد من أصوات النّاس في مكان معمر.

[الشرط الحادي عشر: الصيام]

وإلى الحادي عشر أشار بقوله: (حَادِي عَشَرَ الصِّيَامَ).

(1) الكوة: الثُّقْبَةُ في الحائط يدخل منها الضوء.

(2) في (هـ) لجهة.

يعني أنّ آكد الشّروط⁽¹⁾ الواجبة على المختلي ملازمة الصّيام
مادام مختلياً، مع تقليل الأكل عند الإفطار وتقليل الشّرب ما استطاع،
فإنّ ذلك ممّا يقلّل الأجزاء الهوائيّة والتّاريّة فيصفو القلب بذلك.

[الشرط الثاني عشر: دوام الطّهارة في اللّيل والنّهار]

وقوله: (ثاني عشر بالدّوام) إلخ، يقول: إنّ الشرط الثاني عشر من
شرائط الخلوة دوام الطّهارة في اللّيل والنّهار، مع الملازمة لاستقبال
القبلة فيها أبداً، فإنّ من دام على الوضوء يوشك أن تتلأأ فيه الأنوار
الإلهيّة، لقوله ﷺ: «الْوُضُوءُ نُورٌ، وَالْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلَى
نُورٍ»⁽²⁾.

[الشرط الثالث عشر: السكوت إلا عن ذكر الله]

قوله:

431 - ثَالِثُ عَشَرَ سَكُوتُكَ بِلِسَانِكَ وَقَلْبِكَ

432 - إِلَّا عَنْ ذِكْرِ رَبِّكَ وَالضَّرُورَةِ الشَّرْعِيَّةِ

يعني أنّ من شروط الخلوة دوام السّكوت باللسان عن الكلام،
وبالقلب عن الخواطر وحديث النّفس، إلّا عن ذكر الله تعالى، فلا

(1) نهاية الورقة (88/و).

(2) قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/159): «لم أجد له أصلاً»، ونقل
السخاوي في المقاصد الحسنة (1/704) عن شيخه ابن حجر العسقلاني قال: «إنه
حديث ضعيف، رواه رزين في مسنده».

يتكلّم المختلي إلاّ إذا تعيّن عليه شرعا أو دعت إليه ضرورة، ومهما
تكلّم بكلمة خرج من قلبه نور مع تلك الكلمة الغير الضرورية،
فالواجب على المختلي أن لا يتكلّم مع أحد إلا شيخه أو الخادم الذي
أقامه شيخه في خدمته.

[الشرط الرابع عشر: إطراق الرأس إلى الأرض عند الخروج لقضاء الحاجة]

قوله:

433 - رَابِعُ عَشَرَ خُرُوجُكَ لِقَضَاءِ حَاجَتِكَ

434 - غَطِّي يَا أَخِي رَأْسَكَ لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَشْيَاءِ

يقول: إنّ الشرط الرابع عشر من شروط الخلوة، إطراق الرأس
إلى الأرض وعدم النّظر إلى شيء من الأشياء عند خروج المختلي من
خلوته إلى مكان الوضوء أو قضاء الحاجة،
فإنهم يكرهون فضول النّظر كما يكرهون فضول الطّعام والكلام؛
مغطّيًا رأسه بشيء، مستحذرا من الهواء أن يصيبه وأعضاؤه
مخلخلة من الذكر.

[الشرط الخامس عشر: ترك السعي إلى الجماعة والجمعة]

قوله:

435 - خَامِسُ عَشَرَ لَا تَسْعَ لِلْجَمَاعَةِ وَالْجُمُعَةِ

436 - وَأَنْوَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ عَذْرًا أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ

437 - وَالْوُجُوبُ عَلَى الرِّجَالِ لَا النِّسَاءِ فِي الْمِثَالِ

438 - وَكَذَلِكَ الْأَطْفَالُ كُلُّ ذَاكَ بِالنِّسَاءِ

هذا الشرط مختلف فيه، فذهب فريق إلى أن المختلي لا يخرج إلى صلاة الجمعة ويصلّيها في خلوته⁽¹⁾ ظهرا، ولا يخرج إلى صلاة الجماعة، وأنّ صلاته بخلوته أنسب بحاله، لأنّ الخروج فيه تفريق للجمعيّة التي هي روح العبادة، فمن كان في خلوته مجموع الهمة والقلب عليه تعالى كانت صلاته في خلوته أولى⁽²⁾.

وقد سُئل العارف بالله تعالى المولى إلياس الكردي⁽³⁾ قدّس سرّه، عن ترك بعض الخلوتيّة لصلاة الجمعة والجماعة هل يجوز؟ فأجاب: «إنّ المريض لا يجب عليه ذلك، ولا مرض أشدّ من مرض القلب، ودواؤه أعسر الأدوية وتركها للمعذور جائز».

(1) نهاية الورقة (88/ظ).

(2) ما ذكره المصنف يجري على مذهب الصوفية، أما على مذهب الفقهاء فلا يجوز ترك الجمعة لأجل الخلوة، ولهذا نصوا على وجوب خروج المعتكف إذا اعتكف في مسجد غير جامع، لأن الجمعة فرض عين لا تسقط إلا بالأعذار التي دلت ظواهر النصوص عليها وأيدها الأقيسة الشرعية المعتمدة.

(3) هو إلياس بن إبراهيم بن داود بن خضر الكردي نزيل دمشق، الشافعي الصوفي، له رسائل كثيرة في علم التصوف، وحاشية على شرح جمع الجوامع، وحاشية على شرح عقائيد السعد، وغيرها، توفي رحمه الله سنة 1138هـ - 1726م. له ترجمة في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (272/1)، ومعجم المؤلفين (310/2).

ومذهب الإمام ابن عباس أنَّ الجمعة فرض كفاية، فيكفيهم أن يقلّدوه⁽¹⁾ في هذه المسألة.

والمصنّف رحمه الله تعالى اختار هذا المذهب ولذلك اقتصر عليه، ووجّهه بقوله: (وَأَنُورِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ) إلخ، يعني أنَّ المختلي ينوي عند أدائه المكتوبة بدل الجمعة⁽²⁾ في خلوته أنّه متلبّس بعذر مرض قلبه وعلل نفسه التي هي أشدّ العلل ضررا وأجلّها بأسا وخطرا، أو أنّه لم يبلغ مرتبة الرّجال الكاملين ويُنزل نفسه منزلة الإناث باعتبار نقصان درجته عن درجة الرّجال من أهل الكمال، لما رُوي أنّه ﷺ قال: «الْجُمُعَةُ وَاجِبَةٌ، إِلَّا عَلَى امْرَأَةٍ أَوْ صَبِيٍّ أَوْ مَرِيضٍ»⁽³⁾، أو أنّه طفل لكونه لم يبلغ مرتبة الرّجال، ولو بالنّسبة إلى بعض المقامات، بناء على أنّ مقامات السّالّكين لا نهاية لها، ولأنّ أرباب الطّريق لا يعدّون عمر المرید إلّا من خروجه من سلوكه، لأنّه قبل ذلك بمنزلة العدم⁽⁴⁾.

وحكّي عن بعض العارفين أنّه كان لا يخرج لصلاة الجماعة لما يعرض له في طريقه من مشاهدة المنكرات التي لا يقدر على تغييرها.

(1) في (هـ) إن قلده.

(2) في (هـ) المكتوبة والجمعة.

(3) رواه أبو داود (280/1 رقم: 1067)، والحاكم (425/1 رقم: 1062) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (321/8 رقم: 8206)، والدارقطني (305/2 رقم: 1577)، والضياء في المختارة (109/8 رقم: 121) وقال إسناد صحيح، والبيهقي (172/3 رقم: 5368)، عن طارق بن شهاب رضي الله عنه.

(4) [العدم] ساقط من (هـ).

وبعضهم كان يمنعه من الصّلاة مع الجماعة ما يشمّ من نتن
قلوب بعض المصّلين لما احتوت عليه من نجاسات الأمراض القلبية
التي لا يبرأ منها إلّا بالأخيار الأبرار.

وكان الإمام مالك رحمه الله⁽¹⁾ تعالى لا يخرج في آخر أمره إلى
الجماعة، فسئل عن ذلك فقال: «لَيْسَ كُلُّ عِلْمٍ يَجُوزُ كَشْفُهُ»⁽²⁾.

وإنّما الأعمال بالنيّات كما قال المصنّف رحمه الله تعالى: (كُلُّ
ذَاكَ بِالنِّيَّةِ).

وذهب فريق آخر إلى أنّ المختلي يجب عليه المحافظة على
الجمعة والجماعة ولا سيّما إذا كان في المسجد الذي تقام فيه، أو
يقتدي بشيخه وهو داخل الخلوة ويفتح الباب.

[الاقتصار على ذكر الله والنوافل المؤكدة]

وأشار بقوله:

439 - اقْتَصِرْ عَلَى فَرَضِكَ وَالرَّوَاتِبِ وَوَرْدِكَ

(1) نهاية الورقة (89/و).

(2) قد بين مالك رحمه الله قبل موته عذره في ترك الجماعة والجمعة، ففي ترتيب
المدارك (55/2) عن عتيق بن يعقوب ومصعب بن عبد الله قالاً: «لما حضرته
الوفاة سئل عن تخلفه عن المسجد، قال عتيق بن يعقوب: وكان تخلفه عنه قبل
موته بسنين، فقال: لولا أنّي في آخر يوم من الدنيا وأوله من الآخرة ما أخبرتكم؟
سلس بولي، فكرهت أن آتي مسجد رسول الله ﷺ على غير طهارة استخفافاً
لرسول الله ﷺ، وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي».

440 - وَرَكَعَتِي وَضُوءُكَ وَصَلَاةُ الضُّحَى يَا

إلى أن المختلي لا يشتغل بشيء من أنواع العبادات سوى ذكر الله تعالى، بالاسم الذي لقَّنه أستاذه، ماعدا الفرائض المكتوبة والسَّنة والرواتب وركعتي الوضوء وصلاة الضُّحَى، مقتصرًا فيها على العدد الذي عيّنه شيخه.

ولا يزيد في أوراده ولا في تهجّده على العدد⁽¹⁾ الذي بيّنه له شيخه أيضًا، إذ ليس للمحبّ شيء أشرف من الاشتغال بذكر محبوبه على رجاء وصله، وفيضان أنوار معارفه وجلاله، ولا يزال مستغرقًا أوقاته في ذكره حتّى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتّى تنمحي من القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى معناه وحقيقته.

و (يا) من قوله: (وَصَلَاةُ الضُّحَى يَا) تكتب منفصلة لأنّها حرف نداء، والمنادى محذوف، والتقدير يا مختلي، لأنّه المقصود بالخطاب.

[الشرط السادس عشر: التوسط في الأكل]

قوله:

441 - سَادِسُ عَشَرَ أَنَّ تَضْبِطَ حَالِكَ فِي الْأَمْرِ الْأَوْسَطِ

442 - لَا تَجُوعُ لِتَنْشَطَ لَا تَشْبَعُ بِالْكُلِّ يَا

(1) في (هـ) القدر.

يعني أنّ السادس عشر من شروط الخلوة، المحافظة على ضبط حاله على التوسط في الأكل بين الجوع والشبع، يَكْف عن الأكل قبل الامتلاء من الطّعام فإنّه مذموم شرعا وطبعاً، وفي الحديث: «حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ»⁽¹⁾.

ولا يفترط في قلّة الأكل حتّى يحصل⁽²⁾ له الجوع المضّر، بل يتوسّط في ذلك، وفي الحديث: «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا»⁽³⁾⁽⁴⁾.
ولأنّ التّوسّط في الأكل مظنة الصّحّة والنشاط.

(1) رواه أحمد (4/132 رقم: 17225)، والترمذى (4/590 رقم: 2380) وقال: حسن صحيح، النسائي (4/177 رقم: 6768)، وابن ماجه (2/1111 رقم: 3349)، وابن حبان (12/41 رقم: 5236)، والحاكم (4/367 رقم: 7945) وقال: صحيح الإسناد، عن مَقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ؛ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلُتْ لِطَعَامِهِ، وَتُلُتْ لِشَرَابِهِ، وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ».

(2) في (هـ) حتى لا يحصل.

(3) نهاية الورقة (89/ظ).

(4) رواه البيهقي في الشعب (5/396 رقم: 3604) عن مَعْبِدِ الْجُهَنِيِّ عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ أَوْسَطُهَا».

ورواه ابن أبي شيبة (7/179 رقم: 35128)، والبيهقي في الشعب (8/518 رقم: 6176)، والجوهري في مسند الموطأ (ص: 84 رقم: 8)، وعياض في الغنية (ص: 45) من قول مطرف.

ورواه ابن أبي شيبة (7/186 رقم: 35183)، وأبو نعيم في الحلية (2/286) من قول أبي قلابة.

وأشار بقوله:

443 - إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُكَ شَاهِيَةً لِأَكْلِكَ

444 - قَدِّمِ مِنْهُ لِفِطْرِكَ وَالْبَاقِي سَحُورِيَا

إلى أنَّ المختلي إذا لم يحصل له توقان وطلب للأكل والشرب وقت الإفطار فليفطر على يسير من الطعام ولو لوزة أو زببة أو تينة⁽¹⁾، تحصيلًا لسنة تعجيل الفطر، ثم يرجع إلى عبادته⁽²⁾ ويؤخر الأكل إلى أن تشتهي نفسه الطعام أو إلى وقت السحور.

وينبغي أن يكون دسم طعامه ممّا لم ينفصل من الحيوان كالزيت ونحوه، ويكون طعامه من الشعير.

[الشرط السابع عشر: ترك النوم إلا إذا غلبه]

قوله:

445 - سَابِعُ عَشَرَ لَا تَنَامَ عَنْ رَاحَةٍ يَا غَلَامَ

446 - وَإِنْ فَاجَأَكَ الْمَنَامُ لَا تَنَمْ مُتَّكِئًا

يعني أنَّ السَّابع عشر من شروط الخلوة، أن لا ينام المختلي على سبيل الاستراحة، بل إنَّما ينام المختلي إذا غلبه النوم وقهره سلطانه

(1) [أو تينة] ساقط من (هـ).

(2) في (ط) عاداته.

الطَّيِّعِي، وحد⁽¹⁾ الغلبة أن يتشوّش عليه الذّكر، وحينئذ إن أمكنه عدم وضع جنبه على الأرض ونام جالسا فيها ونعمت، وإلاّ نام في حبة أو استند جالسا إلى جدار الخلوة، كي لا يستغرق في النّوم، لأنّه إذا لازم المجاهدة وترك نوم الاستراحة ذابت العناصر الأربعة، التّرابيّة والمائيّة والهوائيّة والتّاريّة، وزالت الحجب عن القلب، فحينئذ ينظر إلى عالم الملكوت بعين قلبه، فيشتاق إلى ربّه تعالى.

[الشرط الثامن عشر: نفي الخواطر كلّها]

قوله:

447 - ثَامِنُ عَشَرَ ذَا النُّهَى أَنْفِ الْخَوَاطِرِ كُلِّهَا

448 - سَوَى مُكْرَرِهَا قُلُهُ لِلْمُرَبِّ يَا

449 - إِنْ قَالَ أَفْعَلْ يَا فَتَى لَا تُخَالِفْ ثَبَتَا

450 - وَإِنْ هُوَ سَكَّتَا أَوْ نَهَى فَانْتَه يَا

يقول الثامن عشر من شروط الخلوة، نفي الخواطر كلّها خيرا كانت أو شرا، لأنّها تفرّق القلب عن الجمعيّة الحاصلة بالذّكر، إلاّ أن يبلغ درجة التّمييز بينها فإنّه عند ذلك ينفي ما يجب نفيه ويبقى ما يجب بقاءه.

وإنّما أمروا المرید في الابتداء بنفي الخواطر كلّها لأنّه دخيل في الطّريق.

(1) في (ط) وضرر.

هذا كلّ في الخواطر التي لم تتكرّر على المريد⁽¹⁾، وأمّا ما تكرّر عليه منها فلا ينفيه بل يخبر به الأستاذ، فإن أمره بأمر بعد الإخبار بالخاطر المكرّر فعله لزوماً، وإن سكت عنه بعد ذلك أيضاً أو نهاه عن شيء فلا يحوم حوله ويتتهي عنه ولا يفعله أبداً.

وجواب قوله: (إِنْ قَالَ أَفْعَلْ) محذوف للضرورة.

وقوله: (وَإِنْ هُوَ سَكَتَ)، ضمير هو توكيد لفاعل (سَكَتَ) الذي هو فعل الشرط، قُدّم عليه للضرورة، وقوله: (فَإِنَّهُ يَا) جوابه.

(1) نهاية الورقة (90/و).

[الخواطر]

قوله:

451 - فَالْخَوَاطِرُ يَا عَارِفَ عَلَى الْقُلُوبِ تَتَرَادَفُ

452 - اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ أَلْفَ بَيْنَ نَهَارٍ وَلَيْلِيَا

الخواطر جمع خاطر، وهو خطاب يرد على القلب عند القوم.

وفي المصباح: «الْخَاطِرُ مَا يَخْطُرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرٍ، يُقَالُ: خَطَرَ بِبَالِي وَعَلَى بَالِي، مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَقَعَدَ»⁽¹⁾.

وجملة ما يرد منها على الضمائر في اليوم واللييلة اثنان وسبعون ألفا.

وقوله: (تَتَرَادَفُ) أي تتوالى ويتبع بعضها بعضا، يقال ترادف القوم تتابعوا، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه.

[أنواع الخواطر]

وأشار بقوله:

453 - وَأَنْحَصَارُهَا أَتَى فِي خَمْسَةِ ثَبَاتَا

454 - مِنْ الْحَقِّ تَارَةً وَأُخْرَى مَلَكِيَا

455 - وَالثَّالِثُ قَلْبَانِي وَالرَّابِعُ شَيْطَانِي

(1) المصباح المنير (173/1) مادة: خطر.

456 - وَالْخَامِسُ نَفْسَانِي يُسَمَّى هَاجِسِيَا

إلى أنّ الخواطر منحصرة في خمسة أنواع:

الأول منها: خاطر المنسوب إلى الحقّ جلّ وعلا، وهو المراد بقول المصنّف رحمه الله تعالى: (مِنْ الْحَقِّ تَارَةً)، ويُسمّى خاطرا إلهيّا، وخاطرا ربّانيّا.

والثاني: خاطر ملكي، أي منسوب إلى المَلَك.

والثالث: خاطر قلبي، أي منسوب إلى القلب.

والرابع: خاطر شيطاني، أي منسوب إلى الشيطان.

والخامس: خاطر نفساني، أي منسوب إلى النّفس.

[ألقاب الخواطر]

وأشار بقوله:

457 - فَالْأَوَّلُ خِطَابِيَا وَالثَّانِي إِلهَامِيَا

458 - وَالثَّالِثُ هَاتِفِيَا الرَّابِعُ وَسَوَاسِيَا

إلى ألقاب الأنواع الخمسة، يعني أنّ النّوع الأوّل من أنواع الخواطر المذكورة وهو خاطر الإلهيّ يُسمّى خطابيّا.

والثاني: وهو خاطر المَلَكِيّ يُسمّى إلهاما.

والثالث: وهو ⁽¹⁾ الخاطر القلبيّ يُسمّى هاتفا.

(1) نهاية الورقة (90/ظ).

والرابع: وهو الخاطر الشيطاني يُسمَّى وسواسا.

والخامس: وهو الخاطر النَّفْسانِيّ يُسمَّى هاجسا، وقَدَّمَهُ الشَّيْخُ المصنّف رحمه الله تعالى في الذّكر.

[نتائج الخواطر]

ثمّ أشار بقوله:

459 - فَإِنْ جَاءَ بِالطَّاعَةِ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي مَعَهُ

460 - أَوْ بَعْضِيَانِ وَقَعَهُ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانِيَا

إلى نتيجة كلّ نوع من الأنواع المذكورة وثمرته.

فالخاطر الإلهيّ هو الذي يأمر بالقُرْبَاتِ الخالصة غير مشوبة بشيء.

والخاطر المَلَكِيّ هو الذي يأمر بالطّاعات مع قطع أسباب الأغراض النَّفْسانِيَّة.

والخاطر القلبيّ هو الموافق للباطل المَلَكِيّ، غير أنّه أسرع انتقالا من المَلَكِيّ.

والخاطر النَّفْسانِيّ هو الذي يأمر بما يكون للنفس فيه مدخل.

والخاطر الشَّيْطَانِيّ على قسمين، تارة يأمر بالمعاصي المحقّقة، وآوَنَةً يأمر بالمعاصي مفرغة في قالب القربات.

[أمثلة الخواطر]

ومثال الأوّل: ما يكون آمرا بمثل الصّوم لا باعتبار شيء آخر

معه.

ومثال الثاني: ما يكون آمرا به مثلا⁽¹⁾ لكن لقمع شهوة النفس
ودفع وساوس الشيطان⁽²⁾.

ومثال الثالث: ما يكون آمرا به مع سرعة الانتقال والتقلب لمثله.
ومثال الرابع: أعني النفساني، ما يكون آمرا بالمباحات كالنوم
واللباس ونحوهما، والمخالفات.

ومثال الخامس: في القسم الأول من قسميه ما يكون آمرا بعدم
صلاة فريضة أو بقطع رحم ونحوه، وفي القسم الثاني منه ما يكون⁽³⁾
آمرا بعبادة مشوبة برياء أو سمعة أو نحو ذلك.

وما قرّناه هو تفصيل قول المصنّف رحمه الله تعالى: (فَإِنْ جَاءَ
بِالطَّاعَةِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مَعَهُ).

يعني وكذلك الثالث، لأنّ قوله: (أَوْ بِعِضَيَّانِ وَقَعَهُ
النَّفْسُ وَالشَّيْطَانِيَا) يدلّ على أنّ ما عدى النّفسيّ والشّيطانيّ لا يدلّ إلا
على الطاعة، فيندرج الثالث مع الأول والثاني، ويكون كلامه شاملا
للأنواع الخمسة، وأنّها على ضربين، ضرب يأمر بالطّاعة⁽⁴⁾ وهو
الإلهي و المَلَكِيّ والقلبيّ، وضرب يأمر بالمعصية وهو النّفسيّ
والشّيطانيّ.

(1) في (ط) شكا.

(2) [الشيطان] ساقط من (ط).

(3) [بعدم صلاة فريضة.... منه ما يكون] ساقط من (ه).

(4) نهاية الورقة (91/و).

قوله:

- 461 - وَلِلأَوَّلِ عَلامَاتٌ لَا تَنذِفُ هَيْهَاتَ
 462 - لَهُ بِالْقَلْبِ صَوَلَاتٌ كَالسَّبُوعِ الضَّارِيَا
 463 - وَالثَّانِي يَا مُرِيدُ وَالثَّالِثُ⁽¹⁾ بَزْدٌ لَذِيذُ
 464 - يَنْزِلُ عِلْمُهُ مُفِيدُ لَمْ يَكُنْ أَلْمِيَا

[علامة النوع الأول]

أشار بذلك رحمه الله تعالى إلى علامات أنواع الخواطر الخمسة، فذكر أنّ علامة النوع الأول منها التي يتميَّز بها عن غيره، وهو الخاطر الإلهي، أنّه إذا حصل لا يندفع بالدفع، وله على القلب صولة وسطوة، فحكمه على القلب كالسَّبُع الضَّاري على الفريسة، ليس للنفس ولا للشيطان معه مجال.

[علامة النوع الثاني والثالث]

وعلمة النوع الثاني والنوع الثالث المُمَيَّزَة لهما عن غيرهما، وهما المَلَكِي والقلبي، حصول برد ولذّة، ونزول علم مفيد عقب وروده على المريد، ولم يجد له ألما باطنياً ولا تغيّر صورة.

قوله: (وَالثَّالِثُ) عطف على (الثاني) وهو بسكون المثلثة للوزن.

(1) في (هـ) اعقبه.

وفي التَّحفة: «خاطر القلب موافق لخاطر المَلِك».

[علامة النوع الرابع من الخواطر]

قوله:

465 - وَالرَّابِعُ يَا رَيْسُ فِي أَغْضَائِكَ تَهْوِسُ

466 - وَأَلَمَ كَالْتَّهْرِيسِ يَنْزِلُ تَخْبُطِيَا

يعني أنَّ علامة النوع الرَّابِع من أنواع الخواطر، وهو الخاطر الشيطاني، المميّزة له عمّا عداه، حصول تهويس في الأعضاء وألم في القلب ونزول تخبط.

و (التَّهْرِيسُ) الدَّق، و (تَخْبُطُهُ الشَّيْطَانُ) أفسده.

[علامة النوع الخامس من الخواطر]

قوله:

467 - وَالْخَامِسُ يَا أَبْرَارَ أَلَمَ فِي الْقَلْبِ ضَارَ

468 - فِي طَلْبِهِ تَكَرَّارَ وَفِي الصَّدْرِ ضَيْقِيَا

يريد أنَّ علامة النوع الخامس من أنواع الخواطر، وهو الخاطر النَّفْسِيّ، المميّزة له عمّا عداه، حصول ألم في القلب مضرّ، وضيق في الصّدر، وتكرار في الطّلب مع إلحاح، لأنّ النَّفْسَ إذا طلبت شيئاً من شهواتها ألحّت في طلبه ولذلك شبّهوها بالطفّل، بخلاف الشَّيْطَانِ فَإِنَّ مقصوده الإغواء بآي وجه»، اهـ.

وقيل: خاطر إذا كان إلهيًا كان تنبيها للعبد وإرشادا، وإذا كان مَلَكِيًّا⁽¹⁾ كان تحريضا على العبادة، وإذا كان قلبيا وافق المَلَكِي، وإن كان شيطانياً أو نفسيا كان تزيينا للمعصية.

تتمة [في الفرق بين خاطر والوارد].

الخاطر والوارد كلاهما بمعنى.

والفرق بينهما أن الوارد⁽²⁾ كالبرق يلوح ثم يروح، والخاطر يمكث ويثبت.

وقد نظم⁽³⁾ سيدي مصطفى البكري ما يدفع الخواطر وينفيها فقال:

تُمُّ الْوُضُوءُ نَافِعٌ فِي دَفْعِهَا	عَنِ الْحَشَاءِ جُمْلَةً وَرَفْعِهَا
وَلِيَزْفَعَ الذَّاكِرُ صَوْتَهُ إِذَا	وَصَلَ مِنْهَا لِفُؤَادِهِ أَدَى
وَلِيَضْرِبَنَّ قَلْبَهُ الْمُرِيدُ	لِشَيْخِهِ عَسَاهُ يَسْتَفِيدُ
ذَهَابُهَا عَنْ سِرِّهِ وَلُبِّهِ	لِأَنَّهَا تُشْغِلُهُ عَنْ رَبِّهِ
تُمُّ عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يُبْدِيَهَا	لَهُ وَعَنْهُ صَاحٍ لَا يُخْفِيَهَا
لَكِنَّهُ يَخْكِي لَهُ مَا كَرَّرَا	لَا كُلُّ مَا عَلَى فُؤَادِهِ جَرَى

(1) نهاية الورقة (91/ظ).

(2) في (هـ) فالوارد.

(3) في (هـ) نصح.

[الشرط التاسع عشر من شروط الخلوة : دوام ربط القلب بالشيخ]

قوله :

469 - تَاسِعُ عَاشِرًا يَا مُرَادَ دَوَامَ رَبِّطِكَ بِالْأُسْتَاذِ

470 - سَلِّمْ لَهُ تُسْتَفَادَ عِلْمَكَ بِالْوَاقِعِيَا

يقول: التاسع عشر من شروط الخلوة، دوام ربط القلب بالشيخ، واستفادة علم الواقعات منه على وجه التسليم ووصف المحبة والتحكيم، فإنَّ الأستاذ باب المريد الذي يدخل منه على رسول الله ﷺ، ولذلك تجب رعايته بالظاهر والباطن.

[الشرط العشرون : لا يفتح باب الخلوة لطارق إلا لشيخه وخادمه]

قوله :

471 - وَالْعِشْرُونَ لَا تَفْتَحْ بَابَكَ لِطَارِقٍ صَاحٍ

472 - إِلَّا شَيْخَكَ فَمُبَاخٍ أَوْ خَادِمَ الْخُلُويَا

يقول العشرون من شروط الخلوة، أن لا يفتح المختلي باب خلوته لطارق يطرق عليه إلا شيخه أو خديم الخلوة.

وفي التحفة: «وَيُرَدُّ الْجَوَابُ بِآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ إِنْ أَمَكْنَهُ أَوْ يَكَلِّمُهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ مَعَ غَيْرِ شَيْخِهِ مَدَّةَ الْخُلُوةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَفْسُدُ عَلَيْهِ خُلُوتُهُ، فَإِذَا أَقَامَ الشَّيْخُ عَلَيْهِ خَادِمًا فَلَا يَزِيدُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْحَاجَةِ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَإِنَّ الْكَلَامَ مَفْسُدٌ وَمَفْرَقٌ لِلْجَمْعِيَّةِ».

[الشرط الحادي والعشرون: لا يطلب من شيخه تفسير ما يراه]

قوله:

473 - وَالْعَشْرُونَ وَالْحَادِي لَا تَطْلُبُ مِنْ أَسْتَاذِي

474 - تَفْسِيرَ وَحْيِكَ الْبَادِي وَاقِعٌ أَوْ مَنَامِيَا

يقول: الحادي والعشرون من⁽¹⁾ شروط الخلوة، إذا رأى المختلي شيئاً في الواقعة، أي بين النوم واليقظة، أو في المنام فلا يستحسنه ولا يستقبحه، ويلقيه على الأستاذ ولا يطلب منه بيانه وتفسيره، فربما لا يرى الشيخ مصلحة في التفسير، ولا يتشوق⁽²⁾ لذلك لأنه مفرق للجمعية.

والواقعة عند القوم⁽³⁾ عبارة عما يرد على القلب من عالم الغيب بأيّ طريق كان، من خطاب أو مثال.

[إخبار الشيخ بما يرى ولا يكتف عنه شيئاً]

وأشار بقوله:

475 - لَا تَكْثُرْ لِقُبْحِهَا لَا تَكْثُرْ لِحُسْنِهَا

476 - وَأَخْبِرْهُ بِكُلِّهَا لَا تَكُنْ خَائِنِيَا

(1) نهاية الورقة (92/و).

(2) في (هـ) يتشوف.

(3) في (ط) النوم.

إلى أنه يجب على المريد أن لا يكتف على الشيخ واقعة أو رؤية لقبحهما أو لحسنهما، كما أفاده بقوله: (لَا تَكْتُمُ لِحُسْنِهَا)، بل يتعين عليه إخبار أستاذه بجميع ما حصل له منهما مطلقاً، ويعرض ذلك كله عليه من غير نقص شيء ولا زيادة على ما رآه البتة، وهو مراده بقوله: (وَأَخْبِرْهُ بِكُلِّهَا)، لأن الكتمان والزيادة والنقص خيانة، والله لا يحب الخائنين، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾⁽¹⁾.

قال السهروردي: «وشرط صحة الواقعة الإخلاص أولاً، ثم الاستغراق في الذكر ثانياً».

وينبغي أن لا يُطْلَع على واقعته غير شيخه، اللهم إلا أن يأمره بإظهارها لمصلحة تعود على بقية الفقراء من ترغيب ونشاط.

[اعتماد قول الشيخ إذا أخبر بنوع الخاطر]

وقوله:

- | | | |
|-------|--------------------------|-----------------------------|
| 477 - | فَإِنْ قَالَ ذَا نَفْسِي | أَوْ شَيْطَانُ الْوَسْوَاسِ |
| 478 - | اعْمَلْ بِهِ وَلَا تَسِي | مَا لَمْ تَصِلْ الدُّوقِيَا |
| 479 - | وَإِنْ ذُقْتَ الْخَاطِرَ | أَوْ مَيُّزْتَ بَادِرَا |
| 480 - | فَلَا بَأْسَ أَنْ تَرَى | بِفِعْلِكَ مُكْتَفِيَا |

(1) سورة النساء: 58.

يعني إن قال الشيخ للمختلي عند إخباره بواقعه أو رؤيته هذا أمر نفسي أو شيطاني أو غير ذلك، وجب عليه اعتماده والجزم به والعمل بما يأمره به الأستاذ، ولا يرتاب فيما أخبره به، فإن ارتاب فقد أساء الأدب مع شيخه مادام متلبساً بعدم الفرق والتّمييز بين الحسن والقبيح منهما، فإذا مَنَّ الله تعالى عليه بمعرفة ذلك وذاق⁽¹⁾ الحسن منهما من غيره وميزه، وحصل له العلم بالفرق بينهما وصار يميّزهما تمييزه بين العسل والحنظل فلا بأس حينئذ باعتماده على معرفته.

وعبّر رحمه الله تعالى بـ (الدُّوق) إشارة إلى أنّ معرفة ذلك الفرق بالعبادة⁽²⁾ لا تفيد لدقة ذلك وصعوبته، وليس الخبر كالعيان.

و (أَوْ) في قوله: (أَوْ مَيِّزَتْ) بمعنى الواو.

وقوله: (بِفِعْلِكَ) أي بمعرفتك، لأنّ المعرفة من أفعال القلوب.

[الشرط الثاني والعشرون: ملازمة الذكر والدّوام عليه]

قوله:

481 - وَالْعِشْرُونَ وَالثَّانِي دَوَامُ ذِكْرِكَ لِلْغَنِيِّ

482 - الْأَسْمُ الْأَوَّلُ يَا عَانِي اخْتَارَهُ جُنَيْدِيَا

483 - وَمَا اخْتَارَهُ الْخَلْفُ الْأَسْمُ الثَّانِي يَا عَارِفُ

484 - وَالْأَوَّلُ لِلْمُزْتَدِفِ وَالْمُنْتَهِي الثَّانِيَا

(1) نهاية الورقة (92/ظ).

(2) في (هـ) بالعبرة.

يقول: الثاني والعشرون من شروط الخلوة، ملازمة الذكر والدوام عليه.

قال القشيري: «الذكر ركن قوي في الطريق بل هو العمدة، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر، وذكر اللسان به يصل العبد إلى ذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكرة بلسانه وقلبه فهو الكامل في حال سلوكه»⁽¹⁾.

وقال أبو علي الدقاق: «الذكر منشور الولاية، فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور، ومن سلب الذكر عزل»⁽²⁾.

وذكر الله تعالى سيف المريدين يقاتلون به أعداءهم، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم⁽³⁾.

وقيل لراهب: أنت صائم؟ فقال: بذكره، فإذا ذكرت غيره أفطرت⁽⁴⁾.

وقال سهل بن عبد الله: «ما من يوم إلا والجليل سبحانه وتعالى ينادي: عبدي، ما أنصفتني، أذكرك وتساني، وأدعوك إلي»⁽⁵⁾ وتذهب إلى غيري، وأذهب عنك البلاء وأنت معتكف على الخطايا، يا ابن آدم، ما تقول غدا إذا جئتني»⁽⁶⁾.

(1) الرسالة (374/2).

(2) الرسالة (374/2).

(3) الرسالة (375/2).

(4) الرسالة (379/2).

(5) [إلي] ساقط من (ج).

(6) الرسالة (378/2).

وقال: «مَا رَأَيْتُ مَعْصِيَةً أَقْبَحَ مِنْ نِسْيَانِ الذِّكْرِ»⁽¹⁾.

قال النوري⁽²⁾: «لِكُلِّ شَيْءٍ عُقُوبَةٌ، وَعُقُوبَةُ الْعَارِفِ انْقِطَاعُهُ عَنِ الذِّكْرِ»⁽³⁾.

وقوله: (لِلْغَنِيِّ) يتعلّق بـ (ذِكْرِكَ)، والغَنِيُّ من أسمائه تعالى، ويجوز إجراؤه على العبد وصفا مُقيدا⁽⁴⁾ ولا يجوز مطلقا، كما قيل⁽⁵⁾:
[الطويل]

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ⁽⁶⁾ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

والغَنَاءُ بالفتح النَّفْع، وبالكسر من السَّماع، اهـ.

(1) الرسالة (379/2).

(2) في (ط) و (هـ) النووي، والصحيح النوري، وهبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادي المنشأ والمولد، الخراساني، يعرف بابن البغوي، وكان من جملة المشايخ وعلماء القوم بالعراق، صحب سريا السقطي ومحمد بن القصاب، وكان من أقران الجنيد رحمه الله تعالى، توفي رحمه الله سنة 295هـ - 908م.
له ترجمة في: حلية الأولياء (255/10 . 249)، وتاريخ بغداد (136/5 . 130)، وسير أعلام النبلاء (70/14 . 77)، والطبقات الكبرى للشعراني (74/1).

(3) الرسالة (379/2).

(4) في (ط) مقدرا.

(5) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، انظر العزلة للخطابي (ص: 25)، والكامل في اللغة والأدب (172/1)، والعقد الفريد (194/2)، وعيون الأخبار (87/3).

(6) نهاية الورقة (93/و).

فالغني على الإطلاق هو الله تعالى، وفيه معنى السلب، لأنه بريء من الاحتياج إلى غيره والكل محتاج إليه، فهو سبحانه وتعالى المنفرد بما وجب له من صفات الجلال والكمال والتزاهة وافتقار كل مُمكن إليه، فله الحياة الدائمة والإرادة العامة والملك الدائم.

وقوله: (الاسم الأول يا عاني).

قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى في مفتاح الفلاح: «اختلف في اختيار الذكر، فمنهم من اختار لا إله إلا الله»، اهـ.

وهو المراد بالاسم الأول في كلام المصنّف رحمه الله تعالى، وهو رأي الجنيد رحمه الله تعالى والسلف.

وقال ابن عطاء الله أيضا: «ومنهم من اختار الله الله⁽¹⁾»، اهـ.

وهو الذي أشار إليه المصنّف بقوله: (وَمَا اخْتَارَهُ الْخَلْفُ) إلخ، وهو رأي الغزالي⁽²⁾ وغيره من متأخري الخلف.

وقال بعضهم: المختار للمبتدئ ذكر لا إله إلا الله، وللمتّهي ذكر الاسم المفرد وهو الله عزّ وجلّ⁽³⁾.

وقيل: الذكر في الخلوة يكون بما يأمر به الشيخ المريد.

قال في التحفة: «وأجمعوا على أن المريد لم يسلك طريقا أقرب ولا أوضح من الذكر، فلا يشتغل في الخلوة بسواه ما عدا السنن

(1) في (ط) اختار الله، اهـ.

(2) انظر إحياء علوم الدين (19/3).

(3) [عز وجل] ساقط من (ط).

والفرائض، وينبغي أن يشهد الذّاكر أن المحرّك له في الذّكر هو الله عزّ وجلّ، ولا قدرة له، فيكون الحقّ تعالى بهذه الملاحظة هو الذّاكر».

قوله: (يَا عَانِي) من اعتنيت بالشّيء، أتممته واحتفلت به.

[الشرط الثالث والعشرون: الإخلاص]

قوله:

485 - وَالثَّالِثُ مَعَ الْعِشْرِينَ إِخْلَاصُكَ يَا مُسْكِينُ

486 - كُنْتَ مِنَ الْمُرَائِينَ أَصْحَابِ الشِّرْكِ الْخَافِيَا

يقول الثالث والعشرون من شروط الخلوة الإخلاص وحسم مادة الرّياء والشّرك الخفيّ، لأنّ ذلك محبط للعمل، فليحذر المريد من الرّياء كلّ الحذر، وكذلك السّمعة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) ﴿١﴾.

[الشرط الرابع والعشرون: عدم تعيين مدة الخروج]

قوله (٢):

487 - عِشْرُونَ وَأَرْبَعَةٌ لَا تُعَيِّنُ مُدَّةً

488 - لِحُرُوجِكَ يَا فَتَى مَا دُمْتَ مُخْتَلِيَا

(١) سورة الكهف: 110.

(٢) نهاية الورقة (93/ظ).

489 - وَقُلْ هَذَا يَا نَفْسِي قَبْرُكَ فَلَا تَأْسِي

490 - لَا خُرُوجَ فَاخْبِسِي لَكَ مَا دُمْتُ حَيًّا

يقول⁽¹⁾: الرَّابِع والعشرون من شروط الخلوة، أن لا يعيّن المختلي مدّة يخرج بعد كمالها، لأنّ النفس يصير لها بذلك تطلّع إلى انقضائها، وبذلك يحصل للقلب الشّتات والتّفرقة، فإذا دخل المختلي خلوته فلا يحدث نفسه بالخروج بعد الأربعين أو قبلها، فإن حدّثها بذلك فقد خرج من اليوم الأوّل، بل يحدثها بأنّ الخلوة هي قبرها ومقرّها إلى يوم القيامة، وأنّه لا خروج ولا انفصال عنها مدّة حياتها.

قال في التّحفة: «وهذا دقيق لا يتنبه له إلّا الكاملون».

ولا يأنس⁽²⁾ بالخلوة حتّى يجانب كلّ من عاشره وصاحبه ويستوحش من الخلق، ثمّ يتأنّس بذكر الله عزّ وجلّ، ثمّ يسعى في أسباب الخلوة المعنويّة فيكون بصورته مع الخلق وبمعناه وحقيقته مع الحقّ.

قال الجنيد رحمه الله تعالى «مَنْ كَانَ أَنْسُهُ فِي الْخُلُوةِ بِاللّهِ اسْتَوَى عِنْدَهُ الصَّحَارِي وَالْخُلُوتِ⁽³⁾، وَمَنْ كَانَ أَنْسُهُ فِي الْخُلُوةِ بِالْخُلُوةِ ذَهَبَ أَنْسُهُ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا».

(1) في (هـ) قوله.

(2) في (ط) ويأنس.

(3) [من كان أنسه والخلوات] ساقط من (هـ).

قوله:

491 - تَمَّتْ هَذِهِ الشُّرُوطُ حِفْظُهَا لَكَ مَشْرُوطٌ

492 - أَمْرُكَ بِهَا مَضْبُوطٌ الْأَصْلُ الْهِمَّةُ الْقَاوِيَا

أخبر رحمه الله تعالى بانقضاء شروط الخلوة التي تعرّض لذكرها وبيانها، وبَيَّنَّ أَنَّ حِفْظَهَا وَمَعْرِفَتَهَا وَالْعَمَلُ بِهَا وَاجِبٌ عَلَى الْمُرِيدِ مَشْرُوطٌ، لَا يَسَعُهُ إِهْمَالُهَا، لِيَكُونَ أَمْرُهُ مَضْبُوطًا بِتَحْصِيلِهَا، وَلِيَعْرِفَ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ التَّحَرُّزُ مِنْهُ.

ثمّ ملاك هذا كلّهُ التّوفيق والهِمَّةُ الْعَلِيَّةُ، مَعَ الْجَدِّ وَالْمُجَاهِدَةِ الْقَوِيَّةِ، كَمَا أَفَادَهُ قَوْلُهُ: (الْأَصْلُ الْهِمَّةُ الْقَاوِيَا).

[تدريج الأسماء]

ولمّا فرغ من الكلام على شرائط الخلوة، شرع في بيان تدريج الأسماء، فقال:

493 - يَاطَالِبَا لِلسُّلُوكِ وَصَاعِدَا فِي السُّمُكِ

494 - تَقْصِدُ مَقَامَ الْمُلُوكِ سَادَتِنَا الصُّوفِيَا⁽¹⁾

السُّلُوكُ الدَّخُولُ بِالرَّوْحِ فِي الْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ بِطَرِيقِ الْجَدِّ
وَالاجْتِهَادِ وَمُخَالَفَةِ الشَّهَوَاتِ وَالْجِهَادِ.

و (السُّمُكُ) كَكُتِبَ، جَمْعُ سِمَاكَ ككِتَابٍ، مَا يَسْمُكُ بِهِ الشَّيْءُ.

و(الْمُلُوكُ) جَمْعُ مَلِكٍ بِكَسْرِ اللَّامِ، كُلٌّ مِنْ مَلِكٍ نَفْسِهِ، وَصَفَتْ
أَحْوَالَهُ، وَخَلَصَتْ أَعْمَالَهُ، وَقَصُرَتْ آمَالُهُ، وَصَدَقَتْ أَقْوَالُهُ، وَقَامَ بِمَا
عَلَيْهِ وَتَرَكَ مَا لَهُ، وَلَا يَتَشَوَّقُ⁽²⁾ إِلَى ذَلِكَ وَلَا يَسْتَدْعِيهِ، وَلَا يُظْهِرُ مِنْ
الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَلَا يَكْتُمُ مِنْ حَالِهِ مَا لِلَّهِ مَبْدِيهِ.

وقوله: (سَادَتِنَا الصُّوفِيَا) بَدَلَ مِنْ مَفْعُولٍ (تَقْصِدُ).

والمعنى يا طالب الوصول والانتظام في سلك السالكين
أهل السَّعَادَاتِ، وَالتَّزَوُّجِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، أَسْقِطْ عَنْكَ الْحُجُبَ
الْمَانِعَةَ لَكَ مِنْ تَجَلِّيِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (94/و).

(2) في (هـ) ولا يتشوف.

(3) [والصفات] ساقط من (هـ).

وإلى ذلك أشار بقوله:

495 - أَسْقِطْ عَنْكَ ذِي الْحُجُبِ عَدَّهَا عَدَّ مَحْسُوبٍ

496 - سَبْعُونَ أَلْفًا مَنَسُوبٍ بَعْدَ نِسْبَةِ مَوْلَايَا

رُوي عن رسول الله⁽¹⁾ ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، لَوْ كَشَفَهَا لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»⁽²⁾.

(1) في (هـ) عن النبي ﷺ.

(2) الحديث مركب من حديثين:

الأول: رواه ابن أبي عاصم في السنة (366/2 رقم: 788)، وأبو يعلى (520/13 رقم: 7525)، والرويانى (212/2 رقم: 1055)، والطبرانى في الكبير (148/6 رقم: 5802)، والبيهقى في الأسماء والصفات (292/2 رقم: 854) عن عبد الله بن عمرو وسهل بن سعد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «دُونَ اللَّهِ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ، وَسَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ تَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ حَسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلَّا زَهَقَتْ نَفْسُهَا»، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (79/1)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (187/1)، وابن حجر في المطالب العالية (576/12).

والثاني: رواه أحمد (357/32 رقم: 19587)، ومسلم (161/1 رقم: 179)، وابن ماجه (70/1 رقم: 195) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُزْفِعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رَوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وفي رواية: «مَا أَدْرَكَهُ حِجَابُ النُّورِ»⁽¹⁾ بدل «مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

قال سيدي مصطفى البكري «المراد من الحجب التي هي الظلمة الذنوب والخطايا.

والمراد من الحجب التي هي النور إلتفات السالك إلى اللذات الأخروية الجنانية، وإلى الكرامات والتجليات والوصال وغير ذلك من المقامات والأحوال، لأن السالك مادام في قلبه شيء من الأشياء فهو محجوب بذلك الشيء عن الحق، ولذلك يطول السلوك على السالكين ويرجع بعضهم من ربع الطريق وبعضهم من نصفه.

والشُّبُحاتُ جمع شُبْحَةٍ بضم السين كغُرْفَةٍ، وهو ما يُسَبِّحُ به، وهو في الحديث استعارة عن أشعة أنوار ذاته تعالى»، اهـ.

وفي المصباح: «والشُّبُحاتُ التي في الحديث جلاله وعظمته ونوره وبهاؤه»⁽²⁾، اهـ كلامه⁽³⁾.

ثم قال سيدي مصطفى البكري رحمه الله تعالى: «وها هنا أربعة ضمائر، الأول في وجهه، والثاني في إليه، والثالث في بصره، والرابع في خلقه، فإن أرجعت الأول والثالث والرابع إلى الله تعالى، وأرجعت

(1) لم أعثر على هذه الرواية.

(2) نهاية الورقة (94/ظ).

(3) المصباح المنير (262/1) مادة: سبح.

الثاني إلى (مَا) الموصولة، كان معنى الحديث: لو كشف الله تعالى الحجب لأحرقت أشعة أنوار ذاته تعالى الأشياء التي ينتهي إليها بصره تعالى من خلفه عز وجل.

وإن أرجعت الأول والثاني والرابع إلى الله تعالى، وأرجعت الثالث إلى (مَا) الموصولة، كان المعنى لو كشف الله الحجب لأحرقت أنوار أشعة ذاته تعالى كل خلق انتهى بصره إلى الله عز وجل.

وعلى الوجه الثاني فالمراد من الخلق الذي انتهى بصره إلى الله تعالى هو السالك الذي قطع عقبات النفوس وتخلص من مقتضيات البشرية، وتهياً لقبول تجليات الأنوار الوجيهة، أي لأحرقت أشعة هذه الأنوار البقية التي بقيت في السالك ولم يقدر على حرقها بنار المجاهدة، وذلك لأن السالك يصل إلى المقام السادس بالمجاهدة، وأما وصوله إلى المقام السابع فلا يكون إلا بجذبة من الحق تعالى، وهذه الجذبة هي مقام حق اليقين»، اهـ.

وأشار بقوله: (بَعْدَ نِسْبَةِ مَوْلَايَا) إلى ما ذكره صاحب التحفة ولفظه: «واعلم أنّ بين العبد وربّه سبعين ألف حجاب من ظلمة ونور، حاجبة للمريد عن مراقبة ربّه عز وجل، وهي راجعة إلى العبد لأنّ الله تعالى لا يحجبه شيء»، اهـ.

فالعبد هو المحجوب، ومتى كان العبد محجوباً فهو بعيد عن الله تعالى.

وليس المراد بالبُعد بُعد المسافة بل بُعد المناسبة كما صرح به المصنّف رحمه الله تعالى، لأنّ الحق سبحانه وتعالى منزّه عن القرب والبعد الحسيّين، وعن الجهة والزمان والمكان.

وقوله:

497 - مَرْجِعُهَا سَبْعَةٌ نَفْسُكَ الْأُمَارَةُ

498 - نَفْسُكَ اللَّوَامَةُ الْمُلْهَمَةُ الثَّالِيَا

499 - رَابِعَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ خَامِسَةٌ رَاضِيَةٌ

500 - سَابِعَةٌ كَامِلَةٌ سَادِسَةٌ مَرْضِيَا

يعني أن السبعين ألف حجاب التي بين العبد وربّه ترجع إلى سبعة أقسام، على عدد مقامات النفوس السبعة، وهي:

- الأُمَارَةُ بالسَّوء، قال تعالى حكاية عن الصديق الأكبر: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁽¹⁾.

- واللَّوَامَةُ، قال تعالى: ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾⁽²⁾.

- والمُلْهَمَةُ، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾⁽³⁾ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾⁽³⁾.

- والمطْمَئِنَّةُ.

(1) سورة يوسف: 53.

(2) سورة القيامة: 2.

(3) سورة الشمس: 7 - 8.

- الرّاضية.

- والمرضية، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً (٢٨) (١).

- والسّابعة الكاملة.

تنبيه [في ترقّي السالك في المقامات].

السّالك يقطع منازل معلومة عند أهل الطّريق، واحدة بعد واحدة، إلى أن يصل إلى آخرها، فينقطع السّلك ولا تنقطع التّجليات لأنّها لا آخر لها.

قال سيّدي مصطفى البكري قُدّس سرّه: «فحال السّالك في قطع المنازل كحال المسافر في قطع مراحل الطّريق المحسوسة، فكما يحتاج المسافر في سفره إلى الدّليل العارف بالطّريق وإلى الزّاد والرّاحلة وإلى الرّفقاء والسّلاح لمكافحة العدو وإرعابه، كذلك السّالك لا بدّ له من مُرشِدٍ عارف بالطّريق قد سلّكه وعرف خيره وشرّه، ولا بدّ له من زاد وهو التّقوى، ولا بدّ له من راحلة وهي الهمة، ولا بدّ له من رفقاء وهم الإخوان الطّالبون مطلبه، ولا بدّ له من سلاح وهو الأسماء يرهّب بها عدويه النّفس والشّيطان.

كما أنّ المسافر يمرّ على بلاد ومدائن ويقيم فيها ثمّ يرحل عنها متوجّهاً إلى مطلبه، كذلك السّالك يمرّ في سيره على المقامات المشهورة بين أهل الله تعالى، وهي سبعة:

(1) سورة الفجر: 27 - 28.

الأول منها: مقام ظلمات الأغيار، وتُسمى فيه النفس بالأمارة.

الثاني: مقام الأنوار، وتُسمى النفس فيه باللّوامة.

الثالث: مقام الأسرار، وتُسمى النفس فيه بالملهمة.

الرابع: مقام الكمال، وتُسمى النفس فيه بالمطمئنة.

الخامس: مقام الوصال، وتُسمى النفس فيه بالراضية.

السادس: مقام تجليات الأفعال، وتُسمى النفس فيه بالمرضية⁽¹⁾.

السابع: مقام تجليات الصفات والأسماء، وتُسمى النفس فيه
بالكاملة.

وكلّما كان الإنسان في مقام من هذه المقامات كان محجوباً به
عمّا بعده، فمن كان في المقام الأول فهو محجوب بالأغيار عن
مشاهدة الأنوار.

ومن كان في الثاني فهو محجوب بالأنوار عن الأسرار.

ومن كان في الثالث فهو محجوب بالأسرار عن الكمال.

ومن كان في الرابع فهو محجوب بالكمال عن الوصال.

ومن كان في الخامس فهو محجوب بالوصال عن تجليات
الأفعال.

ومن كان في السادس فهو محجوب بتجليات الأفعال عن
تجليات الأسماء والصفات.

(1) نهاية الورقة (95/ظ).

وَمَنْ كَانَ فِي السَّابِعِ فَهُوَ مُحْجُوبٌ بِتَجَلِّيَّاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
عَنْ تَجَلِّيَّاتِ الذَّاتِ.

وَتَجَلِّي الذَّاتِ مَمْتَنِعٌ، لِأَنَّهُ يُعْطَى ظِلْمَةٌ كَالنَّظَرِ إِلَى الشَّمْسِ فَإِنَّ
النَّازِلَ إِلَيْهَا لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، وَلِذَلِكَ قَالُوا: إِنَّ الْحَقَّ لَا يَتَجَلَّى مِنْ حَيْثُ
ذَاتُهُ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ مِنْ حِجْبِ الْأَسْمَاءِ، فَحِينَئِذٍ
أَعْلَى الْمَقَامَاتِ تَجَلِّي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَمَّا تَجَلِّي الذَّاتِ فَهُوَ شَيْءٌ
لَا يُمْكِنُ، مَعَ أَنَّ الْقَوْمَ يَذْكُرُونَهُ وَيَعْرِفُونَهُ».

تتمة [في معنى التجلي].

التَّجَلِّيُّ عِنْدَ الْقَوْمِ عِبَارَةٌ عَمَّا يَنْكَشِفُ لِقَلْبِ السَّالِكِ مِنْ أَنْوَارِ
الْغُيُوبِ، فَإِنْ كَانَ مَبْدُؤُهُ الذَّاتُ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ سُمِّيَ
عِنْدَهُمْ تَجَلِّي الذَّاتِ، وَأَكْثَرُ الْأَوْلِيَاءِ يَنْكُرُونَهُ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا
بِوَسَاطَةِ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، فَيَكُونُ هَذَا مِنْ تَجَلِّي الْأَسْمَاءِ الَّذِي هُوَ
قَرِيبٌ مِنْ تَجَلِّي الصِّفَاتِ.

فَتَجَلِّي الْأَسْمَاءِ هُوَ مَا يَنْكَشِفُ لِقَلْبِ السَّالِكِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى،
فَإِذَا تَجَلَّى عَلَى السَّالِكِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى اصْطَلَمَ ذَلِكَ السَّالِكُ
تَحْتَ أَنْوَارِ ذَلِكَ الْاسْمِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ إِذَا نُودِيَ الْحَقُّ تَعَالَى بِذَلِكَ
الْاسْمِ أَجَابَ ذَلِكَ السَّالِكُ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ.

وَتَجَلِّي الصِّفَاتِ هُوَ مَا يَنْكَشِفُ لِقَلْبِ السَّالِكِ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى،
فَإِذَا تَجَلَّى عَلَى السَّالِكِ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ فَنَاءِ صِفَةٍ

السَّالِك، ظهر على السَّالِك بعض آثار تلك⁽¹⁾ الصِّفة بفضل الله تعالى، مثلاً إذا تجلَّى الحقُّ سبحانه بصفة السَّمع صار السَّالِك يسمع نطق الجماد وغيره، وقُس على ذلك سائر الصِّفات.

وتجلَّى الأفعال هو ما ينكشف لقلب السَّالِك من أفعاله تعالى، فإذا تجلَّى الحقُّ تعالى على السَّالِك بفعل من أفعاله انكشف للسَّالِك جريان قدرة الله تعالى في الأشياء، فيرى أنَّه تعالى هو المحرِّك والمسكِّن، شهوداً حالياً لا يعرفه إلاَّ أهله.

ثمَّ إنَّ التجلِّي للأفعال⁽²⁾ سابق على تجلِّي الأسماء والصِّفات، وتجلِّي الأفعال مزلةً أقدام، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾⁽³⁾.

[معنى النفس]

واعلم أنَّ النفس تطلق على البُخَارِ اللَّطِيفِ الحامل للحياة والحِسِّ والحركة الإراديَّة، وهي التي يُسمِّيها الحكماء الرُّوح الحيواني، وهو جوهر مُشْرِقٌ، فإنَّ أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة، وإنَّ أشرق على باطن البدن فقط حصل النُّوم، وإنَّ انقطع إشراقه عن البدن بالكلِّية حصل الموت، فسبحان الصَّانع الحكيم.

(1) نهاية الورقة (96/و).

(2) في (ط) تجلِّي الأفعال.

(3) سورة إبراهيم: 27.

ولا تختصّ بماهية الإنسان، وتُسمّى أيضاً بالنفس الشهوانية، وإنّما المختصّ به النفس الناطقة، وهي جوهر مجرد عن المادة في ذاته مفارق لها في أفعاله، وهذه النفس هي التي تُسمّى بالأسماء السبعة المتقدّم ذكرها، فكلّما اتّصفت بصفة سُميت لأجل اتّصافها بها باسم من هذه الأسماء.

وبيان ذلك أنّ النفس الناطقة المُعبّر عنها بالورقاء إن وافقت العين اللطيفة المُسمّاة⁽¹⁾ بالنفس الشهوانية كما مرّ، التي هي معدن الأخلاق الدّميمة، وصارت تحت حكمها، وتدّنس بالميل إلى الشّهوات، وصارت على صورة جهنم مشتملة على سبع دركات، كلّ دركة منها صفة لها وهي باب من أبواب جهنم يدخل من كلّ صفة منها إلى دركة من دركاتها السّبع، وهي الكِبَرُ، والحِرْصُ، والشّهوة، والحسد، والغضب، والبُخلُ، والحِقْدُ⁽²⁾، سُميت أُمارة، فَمَنْ طهّرها من هذه الصّفات فقد عبّر عن هذه الدّركات السّفلية، ووصل إلى درجات الجنان العُلوية، وَمَنْ لا فلا، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠ ﴿⁽³⁾﴾.

وإن سكنت تحت الأمر التّكليفيّ وأذعنت لاتباع الحقّ مع بقاء ميل للشّهوات سُميت لَوامة.

(1) في (ج) و (ط) المسمى.

(2) نهاية الورقة (96/ظ).

(3) سورة الشمس: 9 - 10.

فإن زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وزاد ميلها إلى عالم القدس وتلقت الإلهامات سُميت مُلْهَمَة.

فإن سكن اضطرابها ولم يبق للنفس الشهوانية حكم، بل نسيتهَا، سُميت مطمئنة.

فإن ترقّت عن هذا وسقطت المقامات من عينها وفيت عن جميع مراداتها سُميت راضية.

فإن زاد هذا الحال عليها سُميت مرضية عند الحق والخلق. فإن أُمِرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم سُميت كاملة.

وفي كلّ طور من هذه السبعة أطوار عشرة آلاف حجاب، كلّ حجاب أكثف ممّا بعده وهكذا إلى آخرها، فأكثفها أولها، وألطفها آخرها، فإذا ضربت عشرة آلاف في سبعة كانت سبعين ألفاً، وهي المتقدّم ذكرها.

واعلم أنّ هذا الجوهر المجرد المُسمّى بالنفس الناطقة له أسماء عديدة، منها القلب، ومنها اللّطيفة الإنسانيّة، وحقيقة الإنسان، وهو المُدرِكُ العالِمُ المُخاطَبُ بالأوامر الشرعيّة والمُطالَبُ بها.

[صفات النفوس ومقاماتها]

ولمّا فرغ من الكلام على تقسيم النفوس وعدد الحُجُب، ذكر ما يتعلّق بصفاتِها ومقاماتها وعالمها وغير ذلك فقال:

[النفس الأمارّة]

501 - أَوَّلُهَا الْأُمَارَا جِهَادُهَا أَكْبَرَا

502 - وَضَفُهَا بِلَا مِرَا حَقْدُ بُخْلِ وَرِيَا

لا خفاء في أنّ أدنى درجات السّالك الطّالب للكمال درجة الإنسان الحيواني، لانخراطه وقتئذ في سلك الحيوانات، للاشتراك في الميل إلى الشهوات ولا يميّز عنهم إلّا بالصّورة، ولا تكون نفسه إذ ذاك إلّا أمارّة، وهي التي قال ﷺ فيها: «أَعْدَى أَعَادِيكَ نَفْسُكَ»⁽¹⁾ التي بَيْنَ جَنِينِكَ»⁽²⁾، وهي أوّل النفوس السّبعة على سبيل التّرقى كما أفاده قوله: (أَوَّلُهَا الْأُمَارَةُ).

وأشار بقوله: (جِهَادُهَا أَكْبَرَا) إلى قوله ﷺ حين توجّه إلى المدينة المنورة من بعض غزواته «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»⁽³⁾، فسَمّي ﷺ الضرب بالسيف جهاداً أصغر وجهاد

(1) نهاية الورقة (97/و).

(2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

النَّفس⁽¹⁾ جهادا أكبر، وذلك لأنَّها في ظلمة الطَّبيعة، فلا تفرِّق بين الحقِّ الباطل، ولا تميِّز بين الخير والشرِّ، ولا يقدر الشَّيطان على الدَّخول على الإنسان إلَّا بواسطتها.

وقوله: (أَكْبَرًا) صفة للمفعول المطلق المحذوف، والتَّقدير جهادها جهادا أكبرا.

ومن أوصافها ما صرَّح به المصنِّف رحمه الله تعالى، وهي الحقد، والبخل، والرياء، وغيرها من الصِّفات الذِّميمة المتقدِّم ذكرها، وما يتولَّد منها ممَّا يعرفه الإنسان من نفسه.

[مقام النفس الأمارَة]

وأشار بقوله:

503 - مَقَامُهَا يَا مُخْتَارُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَغْيَارِ

504 - عَشْرَةُ آلَافِ أَسْتَارُ تَقَطُّعُهَا الْكُلِّيَا

إلى أنَّ⁽²⁾ مقام الأمارَة ظلمات الأغيار، وأنَّ أصحاب هذا المقام أرباب النفوس الأمارَة محجوبون بالأغيار عن مشاهدة الأنوار، وجملَة الحُجُب المحجوبين بها عشرة آلاف حجاب من ظلمة ساترة لهم عن مشاهدة أنوار الحقِّ، ولذلك غرقوا في بحر الباطل والمخالفات، وهذه الحُجُب أكثف الحُجُب وأغلظها.

(1) في (ج) النفوس.

(2) [إلى أن] ساقط من (ه).

إذا علمت ذلك عرفت أنّ أوّل النَّفوس، كما صرّح به المصنّف،
 النَّفس الأمّارة، ومقامها ظلُّمات الأغيار، ووصفها الصّفات المتقدّم
 ذكرها، وحالها الميل إلى الشّهوات، وعالمها عالم الشّهادة، ومحلّها
 الصّدر بين الجنين كما أخبر بذلك سيّد المرسلين صلّى الله وسلّم
 عليهم أجمعين، وواردها الشّريعة، ومسيرها إلى الله تعالى، قال عزّ
 وجلّ: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾⁽¹⁾.

[قطع الحجب بكلمة التوحيد]

قوله:

505 - تَقْطَعُهَا بِالتَّوْحِيدِ كَلِمَةُ أَهْلِ التَّمْجِيدِ

506 - كَثُرَ⁽²⁾ مِنْهَا يَا مُرِيدَ سِرًّا وَعَلَانِيًا

الضمير في قوله: (تَقْطَعُهَا) عائد على الحجب، يعني أنّ الحجب
 المذكورة يمزّقها السّالك ويقطعها بالرياضة وذكر كلمة التّوحيد، وهي
 لا إله إلّا الله، بمدّ لا وتخفيف همزة إله وفتح هاءه، وتسكين آخر
 لفظ الجلالة، وعدم فصل بين الهاء وإلّا الله، ذكرًا كثيرًا، سرًّا وعلانية،
 بقوة عامّة للسّرّ والجهر، وهمّة تامّة ولا سيّما حالة الذّكر.

قال سيّدي مصطفى البكريّ: «وليكن قولك لا إله إلّا الله بقوة
 وشدّة، كأنّك تضرب به الجانب الأيسر من صدرك، بحضور وخشوع

(1) سورة المائدة: 48.

(2) نهاية الورقة (97/ظ).

وقوّة،⁽¹⁾ وغمّض عينيك، وألق سمعك إلى ذكرك، ولازم الطّهارة،
وجانب أكل الحرام».

[المدائمة على الذكر ولو مع عدم حضور القلب]

قوله:

507 - إِيَّاكَ تَتْرُكُ ذِكْرَكَ إِذَا لَمْ يَحْضُرْ قَلْبُكَ

508 - دَاوِمَ وَجَاهِدْ نَفْسَكَ وَادْكُزْ بِالْقَلْبِ يَا

نهى عن ترك الذكر لعدم حضور القلب، وهو معنى قول ابن
عطاء الله: «لَا تَتْرُكُ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضُورِكَ مَعَ اللَّهِ فِيهِ»⁽²⁾.

نبّه بذلك على أنّه لا ينبغي أن تهمل الجوارح وإن انفردت، لأنّ
لها نسبة في العبوديّة وهو الحضور بالصّورة، وفي المثل «إِنْ لَمْ تَكُنْ
إِبِلٌ فَمِعْزَى»⁽³⁾، فلا ترهّد في الذّكر إذا كان بهذه الصّفة، ولا تصغر في
عينيك فائدته وثمرته، فإنّ ذلك من تسويل الشّيطان لتزغّب عنه وتتركه
وذلك أقصى مراد الشّيطان.

(1) في (هـ) وقوله.

(2) انظر الحكّم (ص: 114)، وشرح الحكّم للشرنوبى (ص: 110).

(3) هذا المثل لامرئ القيس في ديوانه (ص: 13) يذكر معزى كانت له فيقول:

إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصْيَى

فَتَمَلَأُ بَيْتَنَا أَقْطًا وَسَمْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعٍ وَرِيٍّ

الأقطة: يَتَّخِذُ مِنَ اللَّبَنِ الْمَخِيضِ، يُطْبَخُ ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَمْضِلَ، وَالْقِطْعَةُ مِنْهُ أَقْطَةٌ.

قال الشيخ زروق⁽¹⁾: «أذكر مولاك كيف أمكنك وعلى أي وجه تيسر لك، لقوله تعالى: ﴿كَذِكْرُكُمْ أَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾⁽²⁾، فإن هذه الآية صريحة في عدم الاشتراط، إذ من الواضح أن ذلك لا يتغير⁽³⁾ بحضور ولا غيبة».

وقال رجل: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَثُرَتْ عَلَيَّ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ، فَأَوْصِنِي بِأَمْرٍ أُدْرِكُ بِهِ مَا فَاتَنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ ﷺ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ»⁽⁴⁾، فلم يدلّه إلّا على ذكر اللسان.

(1) أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، الولي الصالح الزاهد القطب، كان فقيها فاضلا عارفا متقنا في الحديث والعربية والتصوف، دينا ناسكا لينا متواضعا، درس على شيوخ عصره حتى فاق أقرانه، من تأليفه شرح صحيح البخاري، وشرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وشرح الوغليسية، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، وغيرها، ولد يوم الخميس 28 محرم سنة 846هـ - 1442م، وتوفي رحمه الله في صفر سنة 899هـ - 1494م.

له ترجمة في: البستان (ص: 45 - 50)، ونيل الابتهاج (ص: 130 - 134)، وكفاية المحتاج (ص: 71 - 72)، وتوشيح الديباج (ص: 60 - 61).

(2) سورة البقرة: 200.

(3) في (هـ) يتقيد.

(4) رواه أحمد (4/188 رقم: 17716)، والترمذي (5/458 رقم: 3375) وقال: حسن غريب، وابن أبي شيبه (6/58 رقم: 29453)، وابن ماجه (2/1246 رقم: 3793)، وابن حبان (3/96 رقم: 814)، والحاكم (1/672 رقم: 1822) وصححه، عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه.

قال الشيخ زروق: «إن تيسر الحضور في الذكر فهو الكمال، وإلا فلا اشتغال بمقدور العبد مقدّم على ما يدخل⁽¹⁾ تحت اختياره».

وأشار بقوله: (دَاوِمٌ وَجَاهِدٌ) إلخ إلى أن المطلوب الدوام على ذكر الله، قائما وقاعدا وعلى جنبك، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾⁽²⁾.

وجاهد نفسك بالرياضة والمخالفة لها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽³⁾.

وليكن ذكرك بقلبك وقالبك، أي جسمك وهيكلك، فإن التأثير المطلوب من الذكر لا يحصل إلا بالدوام والاستهتار آناء الليل وأطراف النهار، ولا سيّما مع الاستحضار، فإن لازمت ذلك ملأ الله تعالى قلبك بالأنوار، وأودع فيه الأسرار، وإلى هذا أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله:

509 - يُشْعِلُ فِي قَلْبِكَ مِصْبَاحَ مَلَكُوتِي قَدْ لَاحَ

510 - تَنْظُرُ عُيُوبَكَ يَا صَاحَ تَشْتَغِلُ بِالتَّنْقِيَا

(1) نهاية الورقة (98/و).

(2) سورة آل عمران: 191.

(3) سورة العنكبوت: 69.

يعني إن دمت على ملازمة الذكر ومجاهدة النفس بالقلب والقلب⁽¹⁾، أوقد الله تعالى نور بصيرتك التي هي كالمصباح، فتميّز حينئذ بين الحقّ والباطل وبين الخير والشرّ، وتعرف المحمود والمذموم⁽²⁾، فتجتهد في التخلّي عن الأوصاف الذميمة والتحلّي بأضدادها، وتبدل الأخلاق السيئة بالأخلاق الحسنة، مثلاً يبدّل الله ما فيك من الكذب بالصّدق، وما فيك من الكبر بالتواضع، والبغضاء بالمحبّة، والرّياء بالإخلاص، والشّهرة بالخمول، حتّى إذا كان لك صيت بين النّاس فالبس ثياب الخمول حتّى لا يبقى أحد يذكرك بدم أو مدح.

وقوله: (مَلَكُوتِي) أي من عالم الغيب.

قال سيّدي مصطفى البكريّ قَدَّسَ اللهُ سرّه⁽³⁾: «فالسّالك إذا كان في المقام الأوّل وتلقّى الاسم الأوّل من المُسلِّك، وداوم على تلاوته مع الإكثار أثناء اللّيل وأطراف النّهار، جهراً وسراً، قياماً وقعوداً، مراعيّاً آداب الذّكر المتقدّم ذكرها، أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً ملكوتياً، فيرى بعين قلبه القبائح الّتي هو منطو عليها، كارهاً لها، مستنكراً اتّصافه بها، متحسّراً عمّا فاتته من الأوقات⁽⁴⁾ فيما لا يعني بعد ما كان في غفلة لا يعرف القبيح من الحسن إلّا باللسان، فيشَمِّرُ

(1) [والقلب] ساقط من (ه).

(2) في (ه) من المذموم.

(3) في (ط) قدس سره.

(4) نهاية الورقة (98/ظ).

ويسعى حينئذ بالجد والإخلاص لما فيه من القبائح الظاهرة كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وأكل الحرام ونحو ذلك، ويجتهد في إخراج ما فيه من القبائح الباطنة كالكبر والحسد والشحناء وأمثال ذلك، وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهيته لأفعاله القبيحة وزاد سعيه في الخلاص منها».

قال: «وهذا أمر محقق لا ينكره إلا مَنْ لم يجربه، وهذه أول كرامة يكرم الله تعالى بها هذا السالك، ليستعين⁽¹⁾ على قطع الطريق، وله في كل مقام كرامات، والمصباح المذكور هو أول الجذبة الرحمانية، وكلما دام السالك على الذكر مع المجاهدة قوي الجذب، حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال، فيقوى على حمل الأمانة وعلى التجليات.

قال ابن الفارض⁽²⁾ رحمه الله تعالى:

وَنَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِمَنِ اهْتَدَى وَلَكِنَّهَا الْأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ، اهـ.

(1) في (ط) يستعين.

(2) هو شرف الدين أبو حفص وأبو القاس عمر بن علي بن مرشد الحموي، ثم المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، والفاضل الذي يكتب الفروض، العارف المحب، المنعوت بالشرف صاحب الديوان المعروف بالفائق، والشعر الرائع، منه قصيدته في السلوك، توفي رحمه الله في جمادى الأولى سنة 632هـ - 1235م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (368/22)، وفيات الأعيان (454/3 - 458)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (465/1).

[الترقى من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة]

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي⁽¹⁾ قُدِّسَ سِرُّهُ: «لا يزال المريد يذكر لا إله إلا الله بلسانه حتّى ينتقل معناها إلى جنانه، وتنكشف عن قلبه الحُجب الظلمانيّة الحاصلة من الذنوب الماضية، فيشاهد بعَيْن البصيرة عيوب نفسه وقبائحها، شهود ذوق وحال لا شهود اعتقاد».

وقال: «وهذا أمر لا يعرفه إلا مَنْ ذاقه واشتعل مصباح قلبه، فذُم على هذا الذّكر مادام فيك شيء من أوصاف النّفس الأمارة، حتّى تنصلّ مرآة قلبك ويزول عنها الرّيب المانع من إدراك حقائق الأشياء وفهم دقائق العلوم، لأنّ مرآة القلب إذا علاها صدأ⁽²⁾ الأخلاق الذّميّة وجب الجدّ والاجتهاد في التخلّص منها والسّعي في جلائها، فإذا خلّصت نفسك بما ذُكر من عيوبها المتقدّم ذكر بعضها، شاهدت بعض العجائب المكنونة⁽³⁾ والأسرار المخزونة، وترقيت من مقام النّفس الأمارة إلى مقام النّفس اللّوامة».

(1) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، نسبة إلى شاذلة قرية من أفريقية، الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، صحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني، وعبد السلام بن مشيش، وغيرهما، وعنه أخذ الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري، توفي رحمه الله سنة 656هـ - 1258م.
له ترجمة في: الطبقات الكبرى للشعراني (4/2 - 11)، وطبقات الأولياء (ص: 458)، والوافي بالوفيات (141/21 - 143).

(2) في (ط) صدى.

(3) نهاية الورقة (99/و).

ولذلك أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله:

511 - تَزْجِعُ نَفْسُكَ لَوَّامَةً تَذْهَبُ عَنْكَ الْغَمَامَةُ

512 - تَخْرُجُ مِنْ ذِي الظُّلْمَةِ مَقَامُكَ نُورَانِيَا

يعني إذا مرّقت حجب ظلمة الأغيار بالمجاهدة وملازمة الذكر أناء الليل وأطراف النهار، انسلخت عنك صفات النفس الأمّارة وتخلّيت منها بأسرها، واتّصفت بصفات النفس اللّوامة، وعرجت من مقام ظلمات الأغيار إلى مقام حجب الأنوار، فقوله: (تَخْرُجُ مِنْ ذِي الظُّلْمَةِ) أي حجب ظلمة الأغيار.

وقوله: (تَذْهَبُ عَنْكَ الْغَمَامَةُ)، أي تضمحلّ، والغمامة السّحابة مطلقا، أو السّحابة البيضاء، وأراد بها الحجب المذكورة.

وقوله: (مَقَامُكَ) اسم (يَصِيرُ⁽¹⁾) المحذوفة، والتّقدير يصير مقامك نورانيّا.

[مقام النفس اللّوامة وصفاتها]

وأشار بذلك رحمه الله تعالى⁽²⁾ إلى أن النّوع الثّاني من أنواع النفوس السّبعة النفس اللّوامة.

ومقامها مقام الأنوار كما صرّح به المصنّف رحمه الله تعالى، وعالمها البرزخ، ومحلّها القلب، وحالها المحبّة، وواردها الطّريقة،

(1) في (هـ) صار.

(2) [تعالى] ساقط من (ج) و (هـ).

وصفاتها: اللّوم، والفكر، والعجب، والاعتراض على الخلق، والرّياء الخفيّ، وحبّ الشهرة والرّياسة.

وقد يبقى معها بعض أوصاف الأثمارة، إلّا أنّها مع هذه الأوصاف ترى الحقّ حقّاً والباطل باطلاً، وتعلم أنّ هذه الصّفات مذمومة، ولها رغبة في الطّاعة والمجاهدة وموافقة الشّرع، وسيرها إلى الله تعالى، ثمّ إنّ صاحب هذه النّفس يحبّ أن يطلع النّاس على أعماله الصّالحة مع أنّه يخفيها ولا يعمل لهم بل عمله لله، إلّا أنّه يحبّ أن يثنى عليه ويُمَدح من جهة أعماله، ومع ذلك يكره تلك الخصلة ولا يمكنه إزالتها، ولو أمكنه لكان من المخلصين، والمخلصون على خطر، وفي الحديث: «كُلُّ النَّاسِ هَلَكِي إِلَّا الْعَامِلُونَ، وَالْعَامِلُونَ هَلَكِي إِلَّا الْمُخْلِصُونَ، وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى⁽¹⁾ خَطَرٍ⁽²⁾ عَظِيمٍ»⁽³⁾، وذلك لأنّ المخلص يحبّ أن يكون معروفاً بالإخلاص وهذا هو الرّياء الخفيّ، فمن كان بهذه الصّفة فهو في المقام الثّاني، وتسمّى نفسه لؤامة كما مرّ.

[ملازمة صاحب النفس اللؤامة ذكر الله]

قوله:

513 - تَذْكُرُ اسْمَ الْجَلَالَةِ فِي الْخَلَا وَفِي الْمَلَا

(1) [وفي الحديث على خطر] ساقط من (ه).

(2) نهاية الورقة (99/ظ).

(3) أورده الصّغاني في الموضوعات (ص: 39) وقال: «وهذا الحديث مفتري وملحون، والصّواب في الإغراب: إِلَّا الْعَالَمِينَ، والعاملين والمخلصين».

514 - يَشْرَعُ فِي قَلْبِكَ جَلًّا لَطِيفَةُ النَّفْسِيَا

515 - كَثُرَ مِنْهُ بِالْكَمَالِ وَاطْلُبْ مَقَامَ الرِّجَالِ

516 - تَدْخُلُ عَالَمَ الْمِثَالِ لَطِيفَةُ الْقَلْبِيَا

يريد رحمه الله تعالى أن صاحب هذا المقام الثاني يجب عليه ملازمة ذكر الجلالة، الله، الله، بسكون الهاء آخر كل اسم، مستقبل القبله إن أمكنه، مغمضا عينيه، بشدة وقوة، على الكيفية المتقدم ذكرها في آداب الذكر.

ويحقق همزة الله ويمد الألف التي قبل الهاء، وليحذر أن تفضي به العجلة إلى أن يقول: هَلَا، هَلَا، أو أَلَا، أَلَا.

وليس في الأذكار أوسع مددا ولا أقرب تأثيرا منه، فليكثر منه صاحب المقام أناء الليل وأطراف النهار، منفردا في خلوته أو مع جماعة ذاكرين الله تعالى، لأنه الاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى.

وصاحب هذا المقام كثير الخواطر ونار هذا الاسم تحرقها، فكن مكثرا منه ولا تبالي، فإذا فعلت ذلك انجلت الحجب التورانية عن نفسك الناطقة المعبر عنها في كلام المصنّف بـ (اللَطِيفَةُ النَّفْسِيَّةُ) بسرعة.

وقوله: (كَثُرَ مِنْهُ بِالْكَمَالِ) أمر بالإكثار من ذكر الجلالة، فإنه أجل الأسماء، ومحط رحال العلماء، الذي اختاره متأخرو الأولياء، وتحلى

به العارفون الأصفياء، طالبا بلوغ مقام رجال الله السالكين، وهذا المقام أول مقامات المقرّبين.

وقوله: (تَدْخُلُ عَالَمَ الْمِثَالِ).

قال سيدي مصطفى البكري قُدّس سِرُّهُ: «فجاهد نفسك في هذا المقام، واستخرج ما فيك من الكنوز، فالمشاهدة لا تحصل إلاّ بالمجاهدة، وامتنح نفسك فإنّك إن صدقت في الطلب والمجاهدة انكشفت لك عجائب القلب وأفعاله وأسراره ودخلت عالم المِثال، وهو عالم غير هذا العالم الذي أنت فيه، ولا يعرفه إلاّ مَنْ⁽¹⁾ كان في مقام القلب، وهو نهاية المقام الثاني من المقامات السبعة التي ليس للأبرار فيها نصيب إلاّ إذا سلكوا طريق المقرّبين، وفيه يرى السالك الأمور التي لا تُدرَك بالحواس الخمس، لأنّ قلب المؤمن عرش الله تعالى وبيته، بمعنى أنّه محلّ لأن توضع فيه أسرارته تعالى، فكنّ تابعا للشرعية وهي أقواله ﷺ، متخلّقا بالطريقة وهي أفعاله ﷺ من الجوع الكثير والنوم القليل والصّمت، كان ﷺ لا يتكلّم إلاّ بما فيه نفع، وكان ﷺ كثير الصّمت.

روى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة أنّه قال: «كَانَ ﷺ طَوِيلَ الصُّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ»⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (100/و).

(2) رواه أحمد (405/34 رقم: 20810)، والترمذي (140/5 رقم: 2850) وقال: حسن صحيح، وأبو داود الطيالسي (129/2 رقم: 808)، وابن الجعد في المسند (ص: 307 رقم: 2070)، والطبراني في الأوسط (120/7 رقم: 7030)، والبيهقي (406/10 رقم: 21118).

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: «كَانَ ﷺ لَا يَتَحَدَّثُ حَدِيثًا إِلَّا تَبَسَّمَ»⁽¹⁾.

فَتَبَسَّعَ أَخْلَاقَهُ وَأَحْوَالَهُ وَاعْمَلَ بِهَا، فَإِنْ فَعَلْتَ تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِكَ عَلَى لِسَانِكَ وَكُنْتَ سَالِكًا سَبِيلَ الْمُقَرَّبِينَ، وَبِهَذَا تَزِيدُ عَلَى الْأَبْرَارِ، وَمِنْ هُنَا تَفَارِقُهُمْ إِلَى حَضْرَةِ الْجَبَّارِ، فَأَوَّلُ مَنَازِلِكَ فِي سَفَرِكَ هَذَا عَالَمُ الْمَثَالِ، وَفِيهِ تَجْتَمِعُ بِالْأَشْبَاحِ الَّتِي هِيَ صُورٌ بَيْنَ كَثَافَةِ الْأَجْسَامِ وَلَطَافَةِ الْأَرْوَاحِ، وَتَرَى مَا يَسْرُكُ وَمَا يَقْوِي هَمَّتِكَ عَلَى السَّلُوكِ وَيَزِيدُ شَوْقَكَ، وَتَشْتَعِلُ نَارُ الْمَحَبَّةِ فِي قَلْبِكَ وَتَنْقُطِعُ عَنْكَ جَمِيعُ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَةِ وَالْأَهْوَاءِ الشَّيْطَانِيَةِ، وَإِنْ بَقِيَ عَلَيْكَ شَهَوَاتُ رُوحِيَّةٍ فَلَا تَضْرُكُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْكَ حِينَئِذٍ قَطْعُ الشَّهَوَاتِ النَّفْسِيَةِ الَّتِي هِيَ ظُلْمَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بَعْدَهَا».

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّخُولَ فِي عَالَمِ الْمَثَالِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلسَّالِكِ، وَهُوَ حَالَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ، تُعْرَضُ لِلسَّالِكِ وَهُوَ جَالِسٌ غَالِبًا وَيُسَمَّوْنَهَا بِالْوَاقِعَةِ، وَيَرَى فِيهَا مَا يَرَى، بِشَرَطِ أَنْ يَعْلَمَ الْمَكَانَ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَالْوَقْتَ الَّذِي هُوَ فِيهِ أَيْضًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ بَيْنَ النَّوْمِ⁽²⁾ وَالْيَقَظَةِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ فِي مَقَامٍ لَا يَعْتَدُّ بِهِ وَلَا يَعْبُرُ عَنْهُ.

(1) رواه أحمد (61/36 رقم: 21732)، والدولابي في السماء والكنى (208/1 رقم: 386)، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص: 319 رقم: 21) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/131): «وفيه حبيب بن عمرو، قال الدارقطني: مجهول».

(2) نهاية الورقة (100/ظ).

وإنما كانت هذه الحالة بين النوم واليقظة لأنَّ السَّالِكَ في البداية يغلب عليه جانب النَّوم على جانب اليقظة، ثمَّ يترقَّى حتَّى يصير جانب اليقظة أغلب فيرى حينئذ بعض الروحانيين فيظن أنَّه رآهم يقظة والحقُّ أنَّه رآهم في هذه الحالة، إلَّا أنَّ هِمَّتَهُ لَمَّا كانت عالية كانت هذه الحالة أقرب إلى اليقظة من النَّوم فظنَّ أنَّه مستيقظ، وفي هذه الحالة تُرى روحانية النبي ﷺ فتُسمَّى مشافهة، فيقال: إنَّ فلانا رأى النَّبِيَّ ﷺ مشافهة، ولا بدَّ من ذهول يعتري السَّالِكَ حتَّى ينكشف له عن ذلك.

قال قُدَسَ سِرُّهُ: «ولقد اجتمعت مع رجل من السَّالِكِينَ فحلف لي أنَّه رأى النَّبِيَّ ﷺ بعين رأسه ولم يكن نائماً أصلاً، فقلت له: كيف رأيته؟ قال: كنت في المكان الفلاني وكان معي أخي فلان فأقبل علينا النبي ﷺ وكَلَّمَنِي وكَلَّمَتَهُ ورأيته بعين رأسي، فقلت: فهل رآه ﷺ أخوك فلان؟ فقال لا، فقلت: لو كانت الرُّؤْيَا بعين رأسك لرآه كلٌّ مَنْ في مجلسك، فقال: جزاك الله عني خيراً، كنت تأثها فدللتني على الطَّرِيق، وأوضح لي المسألة فبيّنت له الأمر.

إذا علمت هذا عرفت أنَّ اليقظة الصَّرفة لا يُرى فيها إلَّا ما هو في عالم المُلْك، وأمَّا ما هو في عالم الملكوت، الذي عالم المثال شعبة منه، فلا يُرى إلَّا بعين البصيرة وإن كانت العينان مفتوحتين، وفي هذا العالم تكون الفهوانية»، اهـ.

وهي عندهم عبارة عن خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثل كما قال، وقد يُلَبِّسُ الشَّيْطَانُ عَلَى السَّالِكِ هَذَا الْأَمْرَ فَيُظَنُّ أَنَّهُ رَأَى الْحَقَّ وَالْحَالُ أَنَّهُ رَأَى الشَّيْطَانَ، وَلَكِنْ إِنْ أَعْقَبْتَ هَذِهِ الرَّوْيَا عُلُومًا وَمَعَارِفَ وَاتِّبَاعًا لِلشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ فَهِيَ إِكْرَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ وَهِيَ الْفُهْوَانِيَّةُ الصَّحِيحَةُ، وَإِنْ أَعْقَبْتَ زَنْدَقَةً وَاتِّبَاعَ هَوًى ⁽¹⁾ فَهُوَ شَيْطَانٌ لِيَقْطَعَ السَّالِكَ عَنِ الطَّرِيقِ.

قال النبي ﷺ «رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى يَا مُحَمَّدُ؟ فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ أَيُّ رَبِّ، مَرَّتَيْنِ ⁽²⁾، قَالَ: فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفِي فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ⁽³⁾، ثُمَّ قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى يَا مُحَمَّدُ؟ قُلْتُ: فِي الْكُفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: الْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ خَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وَإِبْلَاغُ الْوُضُوءِ أَمَاكِنَهُ فِي الْمَكَارِهِ، مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَعْشُ بِخَيْرٍ، وَيَمُتُ بِخَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَمَنْ الدَّرَجَاتِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَأَنْ يَقُومَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ، سَلْ ⁽⁴⁾ وَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَعَلَ

(1) نهاية الورقة (101/و).

(2) في رواية أحمد «قَالَ: ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا».

(3) سورة الأنعام: 75.

(4) [يا محمد سل] ساقط من (ط) و (ه).

الْخَيْرَاتِ، وَتَزَكَّ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَتَتُوبَ عَلَيَّ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ»⁽¹⁾، انتهى.

وقوله: «فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» يحتمل أن يكون بيان حال الرائي وهو النبي ﷺ، فيكون معناه أنا في تلك الحال في أحسن صورة⁽²⁾.

ويحتمل أن يكون بيان حال المرئي وهو الربّ تعالى⁽³⁾.

والتحقيق أن صورة الشيء ما يتميز به الشيء عن غيره فتطلق على الذوات والمعاني وغيرهما، فصورته تعالى ذاته المنزهة عن مماثلة ما عداه من الأشياء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽⁴⁾.

(1) رواه أحمد (422/36) رقم: (22109)، والترمذي (368/5) رقم: (3235) وقال: حسن صحيح، ونقل عن البخاري تصحيحه، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (48/5) رقم: (2585)، والطبراني في الدعاء (ص: 420) رقم: (1418) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(2) [يحتمل أن يكون..... في أحسن صورة] ساقط من (ه).

(3) اختلفت ظواهر الأحاديث هل رأى النبي ﷺ ربه أو لم يره أو رأى نورا؟ وحصا الاختلاف بين السلف، والقائلون بالرؤية اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟ وجمع ابن حجر بين الأقوال في فتح الباري (608/8) فقال: «يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم، لأنه ﷺ كان عالما بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين».

(4) سورة الشورى: 11.

قال قدّس سره: «فهذه هي الفهوائيّة الصّحيحة، لأنّها أعقبت هذه العلوم، وأمّا غيرها فأمور شيطانيّة.

وقال ﷺ: «إِذَا نَزَلَ النُّيُوزُ فِي الْقَلْبِ انْفَتَحَ وَانْشَرَحَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِيْذِكَ مِنْ عَلَامَةٍ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ، التَّجَافِي عَنِ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ⁽¹⁾»⁽²⁾.

واعلم أن القلب له جهة إلى عالم الشّهادة وهي الحواسّ الخمس، لأنّ القلب لا يدرك شيئاً من عالم الشّهادة إلا بواسطة الحواسّ، وله جهة إلى عالم الغيب وهو عالم الملكوت، فمتى توجه إلى عالم الشّهادة بالحواسّ أعرض عن عالم الغيب، ومتى أعرض عن مدركات الحواسّ الخمس توجه إلى عالم الغيب، ولا يمكنه التّوجه إلى العالمين معا في حال بدايته.

قوله: (لَطِيفَةُ الْقَلْبِيَّاءِ)، يريد أنّ محلّ النّفس اللوامة اللطيفة القلبية. والّلّطيفة عند أهل الله عبارة عن كلّ إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم، لا تسعها العبارة، كعلوم الأذواق.

(1) نهاية الورقة (101/ظ).

(2) رواه ابن المبارك في الزهد (106/1 رقم: 315)، والحاكم (4/346 رقم: 7863) وتعقبه الذهبي في التلخيص قائلا: عدي بن الفضل ساقط، والبيهقي في شعب الإيمان (7/352 رقم: 10552) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وضعفه الدارقطني وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (2/318).

والمراد بها هنا النَّفْس الإنسانية لا الحيوانية وهي النفس الناطقة،
وَيُعَبَّرُ عنها باعتبار بعض صفاتها بالقلب، وهي في الحقيقة تَنْزُلُ الرُّوح
إلى رتبة قريبة من النَّفْس مناسبة لها بوجه ومناسبة للقلب بوجه،
ويُسَمَّى الوجه الأول الصُّدر والثاني القلب، وذلك لأنَّ النفس الناطقة
لها أطوار تُلقَّبُ في كلِّ طور باسم مناسب لحالها ومحلّها.

[النفس الملهمّة]

قوله:

517 - تَزَجُّعُ نَفْسِكَ مُلْهِمًا لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْعَمَى

518 - فِي الدُّنْيَا وَالْقِيَامَا كَمَا جَاءَ فِي الْآيَا

يعني أنّك أيّها المريد السّالك طريق أهل التّجريد إذا أَكْثَرْتَ من
ذِكْرِ الجلالة على حسب ما مرّ، ومزّقت بالرياضة والمجاهدة على
القانون الشرعيّ حجب مقام الأنوار، وهي كما مرّ عشرة آلاف حجاب
من نور، صارت نفسك منتظمة في سلك نوع النفوس المُلْهِمَة، وهو
النوع الثّالث من أنواع النفوس، كما أفاده قوله: (تَزَجُّعُ نَفْسِكَ مُلْهِمَةٌ).

يعني أنّ النَّفْس حينئذ تُسَمَّى مُلْهِمَة، ومقامها يُسَمَّى بمقام
الأسرار، ومحلّها الرُّوح، وَوَارِدُهَا المعرفة، وحالها العشق، وسيرها
إلى الله، بمعنى أنّ السّالك في هذا المقام لا يقع نظر بصيرته إلّا على
الله تعالى، لفناء ما سوى الله في شهوده، وعالمها عالم الأرواح، وإنّما
كان عالمها عالم الأرواح⁽¹⁾ لتروحن النَّفْس في هذا المقام وتعلّقها
بالروحانيات للمناسبة المذكورة، وفنائها عن عالم الشّهادة.

(1) نهاية الورقة (102/و).

[صفات النفس الملهمة]

وصفاتها السَّخاء، والقناعة، والعلم، والتَّواضع، والصَّبر، والتَّحَلُّم، وتحَمُّل الأذى، والعفو عن النَّاس وحملهم على الصَّلاح وقبول عذرهم، وشهود أنَّ الله تعالى آخذ بناصية كلِّ دابة، فلم يبق له اعتراض على مخلوق.

ومن صفاتها الشَّوق، والهيمنان، والبكاء، والقلق، والاشتغال بالحقِّ، والتَّلوين، وتعاقب القبض والبسط، والخوف والرَّجاء، وحبِّ الأصوات الحسنة، وزيادة الهيمنان عند سماعها، وحبِّ الذِّكر، وبشاشة الوجه، والفرح بالله، والمعارف، والمشاهدة.

وسُمِّيت ملهَمة لأنَّ الله تعالى ألهمها فجورها وتقواها.

وقوله: (لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْعَمَى) إلخ، يعني إذا صارت نفسك ملهَمة واضمحلت حجب الأنوار عنها وتمزَّقت زال عنك العمى، وأدركت الأسرار الربانية، وتجلت لك المعارف الإلهية، وحصلت لك المشاهدة في العاجلة والآجلة وفزت بها.

والألف واللام في (الآيا) للعهد، والمعهود قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾⁽¹⁾.

قال العلامة البيضاوي: «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى الْقَلْب لَا يَبْصُرُ رَشْدَهُ كَانَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى لَا يَرَى طَرِيقَ النِّجَاةِ، لَزَوَالِ الْإِسْتِعْدَادِ وَفَقْدَانِ الْآلَةِ»⁽²⁾.

(1) سورة الإسراء: 72.

(2) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (262/3).

[ذكر الاسم (هو) بشدة وقوة]

قوله:

- 519 - تَذْكُرُ اسْمَهُ هُوَ بِالْهُوَيْنَةِ وَالْقُوَا
520 - فِي الْجَلْوَةِ وَالْخُلْوَا مَقَامَكَ أَشْرَارِيَا
521 - تَبْدُلُكَ الْهُوِيَا وَحَقِيقَةُ الْأَنْبِيَا
522 - وَالْأَسْرَارُ الْقُدْسِيَا تُجْفِيكَ عَنِ الدُّنْيَا

يريد رحمه الله تعالى أن صاحب هذا المقام الثالث يتعين عليه ملازمة ذكر اسمه عز وجل (هو)، بشدة وقوة، على الكيفية السابقة، مستقبل القبلة إن أمكنه، جالسا على ركبتيه أو قائما أو على جنبه، خالي البال، ملقيا سمعه إلى نطقه، مع طهارة الظاهر والباطن، مداوما على ذلك، ملازما للإكثار آناء الليل وأطراف النهار، لا يمل ولا يضجر، متلبسا بالاستقامة، متمسكا⁽¹⁾ بالشرعية والطريقة، وليكن ذكره في بعض الأوقات (لَا هُوَ إِلَّا هُوَ)، بدلا من (هو هو)، وفي حالة الذكر يكون صاحب هذا المقام كأنه يخاطب أعضائه بأن ليس في الوجود إلا هويّة الحق تعالى.

وقوله: (بِالْهُوَيْنَةِ) أي بالسكينة والوقار، و (الْقُوَّة) الشدة ضد الضعف.

وقوله: (فِي الْجَلْوَةِ وَفِي الْخُلْوَةِ) الجلوة خارج الخلوة، والمراد الدوام على ذكر اسمه عز وجل (هو) في الحالين، في حال خلوتك وحال جلوتك.

(1) نهاية الورقة (102/ظ).

وأشار بقوله: (مَقَامُكَ أَسْرَارِيَا)، يعني أَنَّ صاحب النَّفس المُلهَمة يُسَمَّى مقامه بمقام الأسرار كما تقدّم.

وقوله: (تُبَدُّ) مجزوم في جواب الأمر، أي أن تذكر اسمه تعالى (هُوَ) على الوجه السَّابق (تُبَدُّ) إلخ، وذلك لأنَّ صاحب هذا المقام يتعيَّن عليه في حال ذكره الاسم المذكور أن يخاطب أعضائه بأنَّ ليس في الوجود إلَّا هوية الحقِّ تعالى كما مرَّ، وأنَّ كلَّ ما سواه تعالى فهو صفاته عزَّ وجلَّ وأفعاله.

وهذا مشهد عظيم، فإنَّ كَلْف السَّالك نفسه بهذا الشَّهود ولازمه صار ذلك له حالا، وهو الغاية القصوى والأمنية التي ما فوقها ما يتمي.

والهُويَّةُ عند القوم عبارة عن الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النَّواة على الشَّجرة في الغيب المطلق.

وَألف (الهُويَّة) بدل من تاء التَّأنيث.

و (الأنبياء)، قال الرَّاغب⁽¹⁾ سامحه الله تعالى: «يقال أنبياء الشَّيء كما يقال ذاته إشارة إلى وجوده».

(1) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب الأصفهاني، كان كثير العلم واسع الاطلاع، وكان يؤثر التواضع والخمول، ويكره الشهرة والذِّويع، ألف كتباً كثيرة نافعة منها تفسير القرآن الكريم، والمفردات في غريب القرآن، ومحاضرات الأدباء، وغيرها، توفي رحمه الله سنة 502 هـ - 1108 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (120/18)، وبغية الوعاة (297/2)، والوافي بالوفيات (29/13)، ومعجم الأدباء (1156/3).

ثم قال: «وهو لفظ محدث ليس من كلامهم»⁽¹⁾.

وَأَلْفُهَا فِي كَلَامِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَدَلَ مَنْ تَاءَ التَّأْنِيثِ
أَيْضًا لِلْقَافِيَةِ، اهـ.

وقال الإمام محي الدين بن عربي الحاتمي قدس سره: «الهُويَّة
هي الحقيقة في عالم الغيب، والآنِيَّة هي الحقيقة بطريق الإضافة»، اهـ.
وقوله: (وَالْأَسْرَارُ الْقُدْسِيَّةُ) عطف على سابقة، وإذا تجلّت لك
الأسرار القدسيّة حصل لك التجافي عن الدّنيا دار الغرور بفنائك عن
مشاهدتها، لأنّك حينئذ لا تشهد إلّا الحقّ عزّ وجلّ.
قوله:

523 - تَرَى عَيْنَ وَحْدَتِكَ⁽²⁾ فِي قَالِبِ كَثْرَتِكَ

524 - وَكَذَاكَ كَثْرَتُكَ فِي عَيْنِ الْوَحْدَانِيَا

يعني أنّ صاحب هذا المقام لا يُخَجَّبُ بالخلق عن الحقّ ولا
بالحقّ عن الخلق، ولا بالكثرة عن الوحدة ولا بالوحدة عن الكثرة، بل
يشهد الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة، ويشهد الحقّ
تعالى ظاهراً في عين المظاهر، كما قال الإمام ابن عطاء الله «مَنْ رَأَى
الْكُؤْنَ وَلَمْ يَشْهَدْ فِيهِ أَوْ عِنْدَهُ أَوْ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ فَقَدْ أَعْوَزَهُ وَجُودُ
الْأَنْوَارِ، وَحُجِبَتْ عَنْهُ شُمُوسُ الْمَعَارِفِ بِسُحُبِ الْأَنْوَارِ»⁽³⁾.

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 95).

(2) نهاية الورقة (103/و).

(3) الحِكم (ص: 106)، وشرح الحكم للشرنوبلي (ص: 79) .

قال الشيخ زروق «مَنْ رَأَى الْكَوْنَ وَشَهِدَهُ فِيهِ أَوْ عِنْدَهُ أَوْ قَبْلَهُ أَوْ
بَعْدَهُ فَقَدْ تَوَفَّرَتْ أَنْوَارُهُ، وَظَهَرَتْ مَعَارِفُهُ وَأَسْرَارُهُ».

ولله درّ القائل:

أَلَا حِظُّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ وَأَدْعُوهُ سِرًّا بِالْمُنَى فَيَجِيبُ
مَلَأَتْ بِهِ قَلْبِي وَسَمْعِي وَنَاطِرِي وَكُلِّي وَأَجْزَائِي فَأَيْنَ يَغِيبُ

و (القالب) بفتح اللام كثيرا وقد تكسر، المثال الذي تفرغ فيه
الجواهر، والمراد به هنا أشباح المكوّنات.

تنبيه [في الوحدة والكثرة والاختلاف فيها بين المتكلمين والمتصوفة]⁽¹⁾

الوحدة والكثرة عند علماء الظاهر اختلف في وجودهما في
الأعيان، فأثبتته الحكماء وأنكره المتكلمون.

قال في المقاصد: «والحقّ أنّهما من الاعتبار العقلية لا وجود
لهما في الأعيان»⁽²⁾.

وفي شرح المواقف للسيد: «الوحدة كون الشيء بحيث لا
ينقسم، والكثرة كونه بحيث ينقسم»⁽³⁾.

(1) هذه من المسائل التي خاض فيها متخروا الصوفية، وأتوا فيها بأشياء غريبة، وعبروا
عنها بمصطلحات غير مألوفة، أنكرها عليهم المتكلمون والفقهاء.

وأرى من الأحسن للقارئ أن يطالع ما كتبه ابن خلدون في مقدمة تاريخه (1/611) عن
هذا الموضوع، فقد أحسن وأجاد، وأبان عن حقائق قلما توجد عند غيره.

(2) شرح المقاصد في علم العقائد (1/136).

(3) المواقف للإيجي (1/387).

قال سيدي مصطفى البكري قدس سره: «وخاصية الاسم الثالث ظهور المعارف القدسية والهوية المطلقة السارية في جميع الموجودات، وليكن ذكره له أولاً بيباء النداء ثم بدونها، في جميع الأوقات، في القيام والقعود والاضطجاع، آناء الليل وأطراف النهار، ليحصل انقطاع التفات النفس إلى المقام الأول، لأن الطبع يغلب التطلع، لأن خواص الأسماء لا تظهر إلا بكثرة الذكر الجلي القوي والخفي مع الدوام.

والأدب بأن يكون الذاكر مستقبل القبلة، جالسا على ركبته أو قائما، خالي البال، ملقيا سمعه إلى نطقه صاغيا لما يقوله، مع⁽¹⁾ نظافة الظاهر والباطن ودوام الطهارة، متمسكا بالسرعة، فإذا تخلق المريد بذلك وتطبع به صار الاسم الثالث هجيرا، ومزق حجب الأسرار وحصل له الفناء في الحق، فيحتجب بالجمال عن الصور العينية وأحوالها وتعيناتها، لأن الشاهد والمشهود في هذه المرتبة ليس إلا الحق وحده، ويحتجب بالوحدة عن الكثرة فلا يرى إلا الحق متجليا في صور الأكوان كما صرح به الإمام ابن عطاء الله بقوله: «مَنْ رَأَى الْكَوْنَ وَلَمْ يَشْهَدْ فِيهِ» إلخ.

قال شارحه: «والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول إلى أربابه، فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه، وتمسك بقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽²⁾، فهذا هنا زلت أقدام كثير من الناس»، اهـ.

(1) نهاية الورقة (103/ظ).

(2) سورة الشورى: 11.

ولقد سَعِدَ سَعْدُ الدِّين⁽¹⁾ في مقاصده حيث قال: «وها هنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد ليسا منه في شيء».

الأول: أَنَّ السالك إذا انتهى في سلوكه إلى الله وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه، ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد، وإليه يشير الحديث الإلهي: «إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»⁽²⁾، وحينئذ ربما تصدر منه عبارات تُشعر بحسب الظاهر بحلول أو إتّحاد، لقصور العبارة عن بيان تلك الحال، وتعدّر الكشف عنها بالمقال، ونحن على ساحل التّمنيّ نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأنّ طريق الفناء فيه العيان دون البرهان، والله الموفق.

(1) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الحنفي، وتفتازان قرية بنواحي نسا بخرسان، كان عالما باللغة والأصليين والمنطق، وله مؤلفات كثيرة منها مفتاح الفقه، وشرح العقائد في أصول الدين، وحاشية على الكشاف، وغيرها، توفي رحمه الله بسمرقند سنة 793هـ - 1390م.

له ترجمة في: الدرر الكامنة (4/350)، وأنباء الغمر بأبناء العمر (2/377 - 379)، وبغية الوعاة في طبقات النحاة (2/285)، وشذرات الذهب (6/319 - 322).

(2) رواه البخاري (3/247 رقم: 6502)، وابن حبان (2/58 رقم: 347)، والبزار (15/270 رقم: 8750)، والبيهقي (3/482 رقم: 6395) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الثاني: أنّ الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً، وإنّما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب⁽¹⁾، إذ الكلّ في الحقيقة واحد يتكرّر على المظاهر لا بطريقة المخالطة، ويتكرّر في التواظر لا بطريق الانقسام، فلا حلول هاهنا ولا إتّحاد لعدم الاثنيّة والغيريّة، وكلامهم في ذلك طويل خارج عن طريق العقل والشرع⁽²⁾، اهـ كلامه.

ولقد كتب عليه العلامة المحقق السيد إبراهيم الشهرزوري⁽³⁾ قدّس سرّه، ولفظه: «ما ذكره من أنّهما يوهمان الحلول والاتّحاد وليساً منه في شيء هو صحيح، ولكن زعمه أنّ الثاني خارج من طريق العقل والشرع باطل عن طريق العقل والشرع، كما هو باطل عن طريق الكشف، ولو فهم الأوّل حقّ الفهم لعلم أنّ الثاني تحقيقه، ولو فهم⁽⁴⁾ الثاني حقّ الفهم لعلم أنّ

(1) نهاية الورقة (104/و).

(2) شرح المقاصد في علم الكلام (70/2).

(3) هو برهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري الشيرازي الكردي، مسند المدينة المنورة، برع في جميع الفنون وأقرأ باللغة العربية والفارسية والتركية، وله مصنفات كثيرة قيل إنها تزيد على ثمانين، منها إتّحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف، وجلاء الانظار بتحرير الجبر والاختيار، وإمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد، توفي رحمه الله سنة 1101هـ - 1690م.

له ترجمة في البدر الطالع (11/1 - 12)، وفهرس الفهارس (1/494 - 496)، والأعلام (35/1)، معجم المؤلفين (21/1).

(4) [فهم] ساقط من (هـ).

الأوّل لا يتمّ إلّا به⁽¹⁾، ولو اكتفى فيهما بالاغتراف والاعتراف لكان أسلم وأولى، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾⁽²⁾.

ثمّ أطال في ذلك وقال: «منشأ جميع الشّبّهات إنّما هو عدم تصوّر معنى الوجود المطلق على ما يريده المحقّقون من أهل الله، فإنّ كلامه واضح الدلالة على أنّه فهم من المطلق المعنى العامّ الذي لا يوجد إلّا في ضمن الخاصّ، أيّ الكلّي الذي لا يتحقّق إلّا في ضمن جزئياته، وهم لم يريدوا بالمطلق ذلك وحاشاهم، وإنّما أرادوا كما صرّحوا به في كتبهم بالوجود المطلق الموصوف المعرّي عن كلّ قيد زائد على ذاته، القائم بنفسه المتعيّن بذاته، أوسع التعيّنات، فهو الفرد الواحد الذي لا ثاني له، وما أورده من أنّ الوجود المطلق مفهوم كلّّي لا تحقّق له في الخارج وله أفراد كثيرة لا تكاد تتناهى والواجب موجود واحد لا تكثّر فيه غير وارد، لأنّ الوجود المطلق عند أهل الله ليس مفهوما كلّيا بل شخص واحد موجود بذاته، إذا تجلّى بظاهر اسمه النور فأشرق على حقائق الكائنات ظهرت أحكامها وتحقّقت تعيّناتها، فالوجود المطلق عند القوم هو الشّخص الموجود بذاته الذي لولا ظهوره في المكوّنات ما وقع عليها وجود أبصار،

(1) إذا لم يفهم سعد الدين كلامهم، ولم يدرك مرادهم وهو من هو، فمن يفهمه إذن؟ ومن تنكشف له سحائب غموضه وتتجلّى له حقائق تعقيداته؟

(2) سورة البقرة: 255.

والظهور المشهود⁽¹⁾ في المكوّنات هو أدلة الصّفات، أعني أدلة العلم والإرادة والقدرة والوجود والوحدانيّة والحياة وغيرها، أمّا الصّفات نفسها فلا تحلّ في الأكوان ولا تحكيها الأكوان، إذ لا مثل ولا صورة»، اه كلامه بتصرّف فيه، بمزجه بمعنى قول الإمام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: «الْكُونُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ» لِثُبُوتِ عَدَمِيَّتِهِ فِي الْمَاضِي بِحَقِيقَتِهِ، وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ عَلَى حَكْمِ ذَلِكَ، وَفِي الْحَالِ لِعَدَمِ اسْتِقْلَالِهِ، فَهُوَ عَدَمٌ مَظْلَمٌ، «وَإِنَّمَا أَنْارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ»، فنورانيّة الأكوان عارضة لا ذاتيّة، أوجبها تجلّي نور الحقّ عليها وظهوره فيها، فالكون بالتّظر إلى ذاته عدم، وهو معنى ما أدْرَجَ في حديث: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، (وَالْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ)»⁽²⁾، فَمَنْ فَنِي بِالْحَقِّ غَابَ عَنِ الْخَلْقِ فَلَا يَشْهَدُ إِلَّا الْوَاحِدَ الْأَحَدَ، وَهُوَ مَعْنَى الْوَاحِدَةِ فِي الْكَثْرَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ، الْمَشَارِإِلَيْهَا بِقَوْلِ أَرْبَابِ هَذَا الْمَقَامِ وَالْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ».

(1) نهاية الورقة (104/ظ).

(2) الشطر الأول منه رواه أحمد (107/33 رقم: 19876)، والبخاري (4/105 رقم: 3191)، والنسائي في الكبرى (126/10 رقم: 11176)، وابن حبان (7/14 رقم: 6140)، والحاكم (371/2 رقم: 3307) عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ».

أما الشطر الثاني من الحديث وهو قوله: «وَالْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ» فلا وجود لها في روايات الحديث، لا في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ولا في غيره، وقد نبه الشارح إلى أنه مُدْرَجٌ وليس من الحديث.

ثم قال قدس سره: «فكلامه - يعني كلام التفتازاني رحمه الله تعالى - منحرف عن صوب الصواب انحرافاً تاماً، حقيق بقول القائل:

سَارَتْ مُشْرِقَةً وَسِرَتْ مُغْرِبًا شَتَّانَ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرِبٍ

وسبحان الله، وكيف يتوهم من قول مَنْ نَصَّ أَنَّ الواجب شخص واحد، والممكنات لا توجد إلا بإضافتها إليه لإشراق نوره على حقائقها ليس بموجود، مع أَنَّ الأشياء لم يحصل لها الوجود بمعنى الوجودية والانتساب إلى الوجود إلا بإشراق نوره على حقائقها، ولولاه ما وجدت، فتشيعه مبني على توهم أَنَّ الوجود المطلق هو الكلّي لا غير، ولهذا قال: وإلا فتكثر الموجودات، وكون الوجود المطلق مفهوماً كلياً لا تحقّق له إلا في الذهن ضروري، وهو توهم باطل، إذا تبين عقلاً ونقلاً أَنَّ الوجود المطلق موجود في الخارج شخص واحد متعين بذاته، فالتكثر إنما هو في الموجودات التي هي محلّ ظهور إشراق الوجود الحقيقي، أعني الماهيات باعتبار ظهور أحكامها وآثارها في الوجود.

ثم قال: والحاصل أَنّه ليس المراد بالمطلق⁽¹⁾ العام بالمعنى الكلّي حتّى يرد أَنّه لا تحقّق للعام إلا في ضمن الخاص، بل المراد المعرّي عن كلّ قيد زائد على ذاته المتعين بذاته ولا شك أَنَّ ما هو كذلك فهو غنيّ عمّا سواه، وكلّ قيد فهو محتاج إليه، لأنّه قيوم

(1) نهاية الورقة (105/و).

المقيدات كلها، فالأمر كما قالوا لا ما توهمه، والذي قالوه إنه شخص واحد موجود بذاته متعين بذاته، دلّ على ذلك العقل والنقل والكشف»، اه باختصار.

وقد اعتنى بالردّ عليه جماعة من المحققين كشمس الدّين الفناري⁽¹⁾ في كتابه مصباح الأنس، وبدر الدين سيدي عبد الرحمن الجامي⁽²⁾ في كتابه الدّرة الفاخرة، وعلاء الدّين في رسالته، وقد أقاموا براهين عديدة على وجود الوجود المطلق ووجوبه.

(1) هو شمس الدين محمد بن حمزه بن محمد الرومي الفناري، نسبة إلى صنعة الفنار، كان عارفا بالعربية والمعاني والقراءات، كثير المشاركة في الفنون، له مصباح الأنس بين المعقول والمشهود في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود، توفي رحمه الله سنة 834هـ - 1431م.

له ترجمة في: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (ص: 17-21)، بغية الوعاة (1/97-98)، والأعلام (6/110).

(2) وردت في النسخ الحافي، والصحيح الجامي، نسبة جام من قَصَبَة خُرَاسَان.

وهو بدر الدين عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، شيخ الاسلام الهروي الأديب الصوفي، اشتغل بالعلوم حتى برع في جميع المعارف، ثم صحب مشايخ الصوفية فنال من ذلك حظا وافرا، وكان له شهرة بالعلم في خراسان وغيرها من الديار، صنف باللغتين العربية والفارسية، من مؤلفاته الدرة الفاخرة، وهي رسالة في تحقيق مذهب الصوفيين والحكماء والمتكلمين في وجود الواجب وحقائق أسمائه وصفاته، توفي رحمه الله سنة 898هـ - 1492م.

له ترجمة في: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (ص: 159)، والبدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (1/327)، والأعلام (3/296).

قال السيّد الشريف الجرجاني⁽¹⁾ في حواشي التجريد: «كلّ مفهوم مغاير للوجود فهو ممكن، ولا شيء من الممكن بواجب، فلا شيء من المفهومات المغايرة للوجود بواجب.

وقد ثبت بالبرهان أنّ الواجب موجود، فهو لا يكون إلّا عين الوجود الذي هو موجود بذاته لا بأمر مغاير لذاته، ولمّا وجب أن يكون الواجب جزئيّاً حقيقيّاً قائماً بذاته لا بأمر زائد على ذاته، وجب أن يكون الوجود أيضاً كذلك إذ هو عينه، فلا يكون الوجود مفهوماً كليّاً يمكن أن تكون له أفراد، بل هو في حدّ ذاته جزئيّ حقيقيّ ليس فيه إمكان تعدّد ولا انقسام، وقائم بذاته منزّه عن كونه عارضاً لغيره، فيكون الواجب هو الوجود المطلق المعرّى عن التقييد بغيره والانضمام إليه، وعلى هذا لا يتصوّر عروض الوجود للماهيّات الممكنة، فليس معنى كونها موجودة، إلّا أنّ لها نسبة مخصوصة إلى حضرة الوجود القائم بذاته، وتلك النسبة على وجوه مختلفة وأنحاء شتى يتعذّر الاطّلاع على ماهيتها، ولا يعلمه إلّا الرّاسخون».

(1) هو علي بن محمد بن علي الزين الشريف الحسيني الجرجاني، كان علامة زمانه، وله تصانيف مفيدة زادت على خمسين، منها كتاب التعريفات، وشرح المواقف للعضد، وشرح التجريد للنصير الطوسي، وحاشية الكشف، توفي رحمه الله سنة 816هـ . 1413م.

له ترجمة في: وبغية الوعاة (2/196)، والضوء اللامع (5/328 - 330)، والبدر الطالع (1/488 - 490).

وقال الإمام الغزالي في كتابه مشكاة الأنوار ما نصّه: «ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى روح⁽¹⁾ الحقيقة، واستكملوا معارجهم فرأوا بالمشاهدة والمعينة أنّ لا شيء في الوجود إلّا الله تعالى، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه، لا أنّه يصير هالكا في وقت من الأوقات بل هو هالك أزلا وأبدا، لا يتصوّر إلّا كذلك، فإنّ كلّ شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإن اعتبرت من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأوّل الحسيّ رئي موجودا لا في ذاته بل من الوجه الذي يلي مُوجده فلكلّ شيء وجهان، وجه إلى نفسه ووجهه إلى ربّه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم محض، وباعتبار وجه الله تعالى موجود، فإذا لا موجود إلّا الله تعالى ووجهه عزّ وجلّ، فإنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه أزلا وأبدا، ولم يفتقر هؤلاء إلى يوم القيامة ليسمعوا نداء المنادي ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽²⁾، بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدا، ولم يفهموا من معنى قوله: الله أكبر، أي أكبر من غيره حاش لله، إذ ليس في الوجود معه غيره، بل ليس لغيره رتبة المَعِيّة، بل ليس لغيره وجود إلّا من الوجه الذي يليه، فالموجود وجهه فقط، ومُحال أن يقال: إنّ أكبر من وجهه، بل معناه أكبر ممّن يقال له أكبر، بمعنى الإضافة والمقايسة، وأكبر من أن يدرك غيره كنهه كبريائه، نبيّا كان أو ملكا، بل لا يعرف الله كنه

(1) نهاية الورقة (105/ظ).

(2) سورة غافر: 16.

معرفته إلا الله، إذ كل معروف داخل تحت سلطنة العارف واستيلائه دخولا ما، وذلك ينافي الجلال والكبرياء»⁽¹⁾، اهـ.

وقال السيد الشريف الجرجاني في حواشي التجريد⁽²⁾: «فإن قلت: ماذا تقول فيمن يرى أنّ الوجود مع كونه عين الواجب وغير قابل للتجزئ والانقسام قد انبسط على هياكل الموجودات وظهر فيها، فلا يخلو عنه شيء من الأشياء بل هو حقيقتها وعينها، وإنما امتازت وتعددت بتقييدات وتعيينات اعتبارية، ونمّثل ذلك بالبحر وظهوره في صور الأمواج المتكاثرة مع أنّه ليس هناك إلا حقيقة البحر فقط؟

قلت: قد سلف منا كلام من أنّ هذا⁽³⁾ طور وراء طور العقل لا يتوصّل إليه إلا بالمشاهدات الكشفية دون المناظرات العقلية، وكلّ مُيسّر لما خلّق له، والله المستعان وعليه التكلان».

(1) مشكاة الأنوار (ص: 55 - 56) .

(2) كتاب تجريد العقائد للعلامة المحقق نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي، المتوفى سنة 672هـ - 1274م، وهو كتاب مشهور، له شروح كثيرة، وعليها حواش عديدة، منها شرح لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني المتوفى سنة 749هـ - 1349م، وسماه تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد، وعليه حاشية عظيمة للعلامة المحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة 816هـ - 1413م، وقد اشتهر هذا الكتاب بحاشية التجريد؛ انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/346).

(ص: 55 - 56) .

(3) نهاية الورقة (106/ظ).

وقال الإمام الغزالي في الإحياء: «ومعنى الربوبية التَّوَحُّد بالكمال والتَّفَرُّد بالوجود على سبيل الاستقلال، فإنَّ المشاركة في الوجود نقص، فكمال الشَّمس في أنَّها موجودة وحدها، فلو كان معها شمس غيرها كان نقصاً في حقِّها، والمنفرد بالوجود هو الله تعالى، إذ ليس معه موجود سواه، فإنَّ ما سواه أثر من آثار قدرته، لا قوام له بذاته بل هو قائم به، فلم يكن موجوداً معه، لأنَّ المعية توجب المساواة في الرتبة، والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال.

وكما أنَّ إشراق نور الشَّمس في أقطار الأفاق ليس نقصاناً في الشَّمس⁽¹⁾ بل هو من جملة كمالها، وإنَّما نقصانها بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها، فكذلك وجود كلِّ ما في العالم يرجع إلى إشراق نور القدرة، فيكون تابعاً ولا يكون معاً، فإذا معنى الربوبية التَّفَرُّد بالوجود».

ثمَّ قال بعد ذلك: «فإنَّ أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك»⁽²⁾.

وقال في كتاب الصَّبر والشَّكر من الإحياء: «النَّظر بعين التَّوحيد المحض يعرِّفك أنَّه ليس في الوجود غيره تعالى، لأنَّ الغير هو الذي يتصوَّر أن يكون له بنفسه قوام، ومثل هذا الغير فلا وجود له

(1) [في أقطار الأفاق ليس نقصاناً في الشمس] ساقط من (ه).

(2) إحياء علوم الدين (281/3).

بل هو محال، وما ليس بنفسه له قوام⁽¹⁾ فليس له بنفسه وجود، بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره، وإنّما الموجود هو القائم بنفسه، فإذا قام به وجود غيره فهو قيوم، ولا قيوم إلا واحد، فإذا ليس في الوجود إلا الحي القيوم⁽²⁾، انتهى.

وحاصله، أنّ ذلك كلّه راجع إلى قولهم زيادة على حديث «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، وَالْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ»⁽³⁾، لأنّ جميع المكوّنات عدم محض باعتبار ما كانت عليه وما تؤول إليه، وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرِنِي أَغْصِرُ خَمْرًا﴾⁽⁴⁾.

وقوله تعالى⁽⁵⁾: ﴿وَأَتَوَاتُوا أَيْدِيَهُمْ﴾⁽⁶⁾.

فمن لاحظ هذا شاهد الوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة من غير خروج عن القواعد الشرعيّة والقوانين العقليّة.

قال الشيخ محي الدين بن عربي في الباب الثاني والعشرين وأربعمئة من الفتوحات:

عَلَى السَّمْعِ عَوَّلْنَا فَكُنَّا أُولَى النَّهْيِ وَلَا عِلْمَ فِيمَا لَا يَكُونُ عَنِ السَّمْعِ

(1) [ومثل هذا الغير..... بنفسه له قوام] ساقط من (ه).

(2) إحياء علوم الدين (86/4).

(3) سبق تخريجه.

(4) سورة يوسف: 36.

(5) نهاية الورقة (106/ظ).

(6) سورة النساء: 2.

وقال سيدي أحمد بن هلال⁽¹⁾: «وكشف الغطاء عن رؤية الوحدة عين الكثرة، والكثرة عين الوحدة، يكون من تجلي أحدية الجمع، وهو

(1) هو شهاب الدين أحمد بن هلال الحسباني ثم الحلبي الصوفي، ويعرف بابن هلال، المتوفى سنة 824هـ - 1421م.

قال عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (320/1): «أحد زنادقة الوقت، ولد بعد السبعين، ونشأ بدمشق وقدم حلب على رأس القرن، فقرأ على القاضي شرف الدين الأنصاري في مختصر بن الحاجب الأصلي، ودرس في المنتقى لابن تيمية، وقرأ في أصول الدين، فلما كانت كائنة الططر في حلب أسر للنكبة وشج رأسه ثم خلص منهم بعد مدة، وخرج إلى القاهرة فأقام بها وأخذ عن بعض شيوخها، وصحب البلالي مدة، ثم رجع إلى حلب فصحب الأطناعي، ثم انقطع فتردد إليه بعض الناس، وعقد الناموس وصار يدعي دعاوي عريضة، منها أنه مجتهد مطلق، ويطلق لسانه في كبار الأئمة، وأنه مطالع على الكائنات، ولا يعتني بعبادة ولا مواظبة على الجماعة، وكان يدعي أنه يأخذ من الحضرة، وأنه نقطة الدائرة، ونقل عنه أتباعه كفريات صريحة، وسمع شخصا ينشد قصيدة نبوية نقصتم منزلتي، وزعم أنه يجتمع بالأنبياء كلهم في اليقظة، وإن الملائكة تخاطبه في اليقظة، وأنه عرج به إلى السماوات، وكان يقول أعطي موسى مقام التكليم وأعطي محمد مقام التكميل وأنه هو أعطي المقامين معا، إلى غير ذلك ما ذاع واشتهر، واشتدت الفتنة به، وقام عليه جماعة، وتعصب له بعض الأكابر، وكثر أتباعه وعظم بهم الخطب إلى أن مات».

وقال أيضا في إنباء الغمر (255/3): «أخذ التصوف عن شمس الدين البلالي، ثم توغل في مذهب أهل الوحدة، ودعا وصال كثير الشطح وجرت له وقائع، وكان أتباعه يبالغون في إطرائه ويقولون: هو نقطة الدائرة، إلى غير ذلك من مقالاتهم المستبشرة».

له ترجمة في: لسان الميزان (320/1)، وإنباء الغمر بأبناء العمر (255/3)، والضوء اللامع (241/2)، وشذرات الذهب (164/7).

شهود الذات الأحديّة متجلّية في الصّور المختلفة المُسمّاة بهياكل التّوحيد، فالكثرة ظاهرة في الشّهود، والوحدة باطنة في عين الكثرة والوجود، فالكثرة على ظاهر الوحدة، والوحدة في باطن الكثرة، فشهود الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة مع اندراج النّسب والتّعيّنات في الذات الأحديّة، وشهود الكثرة في الوحدة مع الهويّة في الإطلاق والتّقييد والتّعيّنات والمراتب، فيرى الحقّ في ذلك كلّ، فلا ينافي حينئذ الإطلاق التّقييد ولا الوحدة الكثرة ولا بالعكس، فالهويّة في هذه الحضرة الجامعة للتّجلّيات تكون وحدة بالذات وكثرة بالأسماء والتّعيّنات، ففي التّعيّنات تظهر الهويّة الخلقية فيكون المشهود هو الخلق والحقّ باطنا، لاحتجاب مرآة الهويّة⁽¹⁾ بالتّعيّنات الظّاهرة فيها احتجاب المطلق بالمقيّد، ويظهر في هذا المشهود أيضا الحقّ تجلّيا ظاهرا مبينا للتّعيّنات بأسرها في مرآة العوالم والحقائق والأعيان، فيكون المشهود هو الحقّ ليس إلّا، ويظهر أيضا فيه الحقّ والخلق في الحقّ، فلا يحصل الحجاب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الهويّة حقّا من وجه ومرتبة وحضرة، وخلقًا من وجه وحضرة ومرتبة، ولا تحجب الكثرة الوحدة ولا العكس، ولا يزاحم شهود كثرة المظاهر أحديّة الذات، ولا يزاحم شهود أحديّة الذات⁽²⁾ الكثرة الخلقية، فالحقّ تعالى باطن من وجه، ظاهر من

(1) [الخلقية فيكون المشهود..... مرآة الهويّة] ساقط من (ه).

(2) نهاية الورقة (107/و).

وجه، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾⁽¹⁾، فلا يقدر ظهوره في بطونه، ولا يقدر بطونه في ظهوره، فهو تعالى باطن من حيث هو ظاهر وظاهر من حيث هو باطن».

قال⁽²⁾ في شرح الفصوص: «العارفون على ثلاثة أقسام، الأول من يرى الوحدة في الكثرة، الثاني عكسه، الثالث من يرى الكثرة في الوحدة عينها ويرى الوحدة في الكثرة عينها شهوداً جمعياً أحدياً، وذلك لأن الهوية تقبل الأضداد والأمثال، لأنها وسعت كل شيء وأحاطت بالكل وشملت الجميع حاصرة غير محصورة».

سُئل أبو سعيد الخراز⁽³⁾ «بم عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الأضداد، ألم تر إلى ربك كيف وصف هويته الأحديّة الجمعيّة بالأوليّة والآخريّة والباطنيّة والظاهريّة، مع ما بين هذه النسب من التّضاد والتّنافي بقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾⁽⁴⁾، فجعل

(1) سورة الحديد: 3.

(2) بياض في النسخ.

(3) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي الصوفي، أخذ عن ذي الثّون وسري السقطي وبشر الحافي وغيرهم، وكان من كبار شيوخ الصوفية، وأحد المذكورين بالورع والمراقبة، وحسن الرعاية والمجاهدة، توفي رحمه الله سنة 286هـ - 899م. له ترجمة في تاريخ بغداد (31/5)، وتاريخ دمشق (129/5 - 143)، وسير أعلام النبلاء (419/13 - 422)، والوافي بالوفيات (180/7) الطبقات الكبرى للشعراني (78/1).

(4) سورة الحديد: 3.

هُوَ يَتَّهِمُ الْأَحَدِيَّةَ مَوْضُوعَةً، وَحَمَلَ عَلَيْهَا هَذَا التَّسَبُّبُ بِلا تَقْيِيدٍ،
فَالْمَوْصُوفُ بِالظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالْأُولِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ هُوِيَّةٌ وَاحِدَةٌ لَا
اِخْتِلَافَ فِيهَا وَلَا تَضَادَّ، وَهِيَ قَابِلَةٌ لِأَوْصَافٍ مُتَنَافِيَةٍ وَنَعُوتٍ وَأَسْمَاءٍ
مُتَبَايِنَةٍ وَمُتَشَاكِلَةٍ وَمُتَشَابِهَةٍ، إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ عَرَفْتَ أَنَّ الْوَحْدَةَ فِي
الْحَقِيقَةِ وَالكَثْرَةِ فِي الظُّهُورِ وَالطَّرِيقَةِ».

وَقَالَ شَارِحُ الْفُصُوصِ: «إِذَا كَانَتِ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ ظَاهِرَةً بِوُجُوهٍ
كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مُفْتَرَقَةٍ وَمُؤْتَلَفَةٍ مُتَّفَقَةٍ، وَحَيْثِيَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُتَبَايِنَةٍ وَمُتَنَافِيَةٍ،
فَلَا اِخْتِلَافَ إِذْنٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْعَيْنِ، بَلْ فِي
الْحَيْثِيَّاتِ⁽¹⁾ التَّعْيِينِيَّةِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ التَّعْقِلِيَّةِ، فَإِذَا اعْتَبَرْنَا الْحَقِيقَةَ وَالْعَيْنَ
قَلْنَا بِالْوَحْدَةِ الصَّرْفَةِ، وَإِذَا اعْتَبَرْنَا الْكَثْرَةَ بِالْفِرْقِ وَالْجَمْعِ قَلْنَا بِالكَثْرَةِ».

هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الْفَنَاءِ فِي التَّوْحِيدِ الْحَاصِلِ لِأَصْحَابِ
الْإِسْمِ⁽²⁾ الثَّالِثِ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ.

تَتِمَّةٌ

النَّاسُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَنِيَ فِي الْمَكُونِ عَنِ الْأَكْوَانِ،
وَهُمْ أَرْبَابُ مَقَامِ الْإِحْسَانِ، وَإِلَى هَذَا الْقِسْمِ يُشِيرُ الْإِمَامُ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: «مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ شَهِدَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ فَنِيَ
بِهِ غَابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ أَحْبَبَهُ لَمْ يُؤْثِرْ عَلَيْهِ شَيْئًا»⁽³⁾.

(1) [متعددة متباينة..... بل في الحيات] ساقط من (ه).

(2) نهاية الورقة (107/ظ).

(3) الحَكَم (ص: 132)، وشرح الحكم للشرنوبى (ص: 181).

وفي ذلك قيل:

قَدْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرَى غَيْرًا وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعٌ

ومثله قوله:

فَالْعَارِفُونَ فَنُوا وَلَمَّا يَشْهَدُوا شَيْئًا سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِي

ومنهم من عكس ذلك، وهم من حجبتهُم الأكوان عن المكوّن، فكان فانيا بها غريقا في بحر الضلال والغفلة، فالفاني عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل، والفاني فيها عبد محجوب عن الحقّ جاهل غافل.

ومنهم من يشهد الحقّ قبلها أو بعدها أو فيها أو عندها، وهو عبد مخصّص كامل.

وفي هذا القدر كفاية، والله سبحانه وتعالى⁽¹⁾ وليّ التّوفيق والهداية.

(1) [وتعالى] ساقط من (ط).

قوله:

525 - تَسْتَرِّخُ مِنَ التَّلْوِينِ تَدْخُلُ مَقَامَ التَّمَكِينِ

526 - دَرَجَاتُ الْكَامِلِينَ نَفْسُكَ اطمئنانيا

يعني إذا دمت على ذكر اسمه تعالى (هو) بالاستهتار، أناء الليل وأطراف النهار، على الوجه السابق، ومزقت بالمجاهدة حجب مقام الأسرار وهي عشرة آلاف، استرحت من مقام التلوين، وهو عند القوم مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة.

وقال ابن عربي الحاتمي: «هو تنقل العبد في أطواره، وحال العبد فيه حال كل يوم هو في شأن».

ودخلت مقام التمكن، وهو عند أهل الله تعالى مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وهو مرتبة السالكين الكاملين، وصارت نفسك منتظمة في سلك النفوس المطمئنة، وهو النوع الرابع من أنواع النفوس.

فمقام النفس المطمئنة يُسمى بمقام الكمال، لأنها كانت محجوبة عنه بمقام الأسرار، ومحلها السر، وعالمها الحقيقة المحمدية، وسيرها على الله تعالى، وحالها الطمأنينة الصادقة⁽¹⁾، وواردها بعض أسرار الشريعة، وصفاتها الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا والصبر على البلاء.

(1) نهاية الورقة (108/و).

وعلامه الدّخول في هذا المقام عدم مفارقة الأمر التّكليفي والتّلدّذ بالتّخلّق بأخلاق النّبي ﷺ والعكوف على اتّباع أقواله، لأنّ هذا المقام مقام التّمكن وعين اليقين.

[الاشتغال باسم الله تعالى (حقّ)]

قوله:

527 - تَشْتَغِلْ بِاسْمِهِ حَقًّا بِالْهُوَيْنَةِ وَالْقَلْبِ

528 - وَأَعْرِضْ عَنْ نَظَرِ الْخَلْقِ تَبْدُ لَكَ الْحَقِّيَّا

يعني أنّ المريد في هذا المقام يشتغل بذكر الاسم الرّابع، وهو اسمه تعالى (حقّ)، مجرّدا عن حرف النّداء أو مقرونا به، بالسّكينة والوقار والقوّة والانزعاج، فأكثر من ذكره ولا تلتفت إلى غيره، فإنّ السّالك في هذا المقام قد يكرمه الله بظهور الكرمات، ولا يسوغ له الالتفات إليها، بل يطلب من الحقّ تعالى أن لا يظهر له ما يكون سببا لانقطاعه عن خدمته وعن الوقوف ببابه، فالكُمّل إذا أظهر الله تعالى على أيديهم شيئا من الخوارق لا يحسّون به ولا يشعرون؛ ولعدم الالتفات إلى غيره أشار بقوله: (أَعْرِضْ عَنْ نَظَرِ الْخَلْقِ).

وقوله: (تَبْدُ لَكَ الْحَقِّيَّا) أي تتجلّى لك ثمرة ذكر اسم الحقّ تعالى، التي منها الميل إلى الأدعية والأوراد، ومحبة النبي ﷺ محبة مغايرة للمحبة التي كانت قبل هذا المقام، والتّبدّأ السّامعين بكلامه، حتّى لو تكلم طول الدّهر لا يُملّ كلامه، لصيرورة لسانه يترجم عمّا

ألقاه الله في قلبه من حقائق الأشياء وأسرار الشريعة، فلا يتكلم بكلمة إلا وهي مطابقة لما قاله الله تعالى أو الرسول ﷺ، من غير مطالعة كتاب ولا سماع من أحد، لأنه قد يسمع بغير السمع ما ألقاه الله تعالى في روعه، وخلع عليه الوقار والقبول، وينبغي للسالك في هذا المقام الاجتماع مع الخلق في بعض الأوقات ليعرض عليهم ما أنعم الله عليه ويترجم عما في قلبه من الحكم.

[طلب كمال النفس المطمئنة بدوام ذكر اسم الله حق]

وأشار بقوله:

529 - لَا تَغْفُلْ عَنْهُ بِحَالٍ⁽¹⁾ تَبْلُغْ مَقَامَ الرِّجَالِ

530 - وَابْغِ دَوَامَ الْكَمَالِ فِي اللَّطِيفَةِ الرُّوحِيَا

إلى أنه يتعين على صاحب هذا المقام دوام ذكر هذا الاسم بالقلب إذا كان مع الخلق، وباللسان والقلب في غير ذلك، ويكون هجيره ذكر الحق تعالى، وبذلك يبلغ مقام الرجال الكاملين ولا يُحَرِّمُ التَّرقِي إلى المقامات الباقية.

وقوله: (وَابْغِ دَوَامَ الْكَمَالِ) إلخ، أي أطلب دوام كمال نفسك المطمئنة، التي هي الجوهر النوراني المسمى بالأسماء المتعددة، المعبر عنه مرة بالنفس وآونة بالقلب وتارة بالروح وأخرى بالسِّر وبالخفي، بحسب ظهوراته ومراتبه.

(1) نهاية الورقة (108/ظ).

[النفس الراضية]

ثم أشار إلى المقام الخامس الذي تُسمّى النفس فيه راضية بقوله:

531 - إِذَا اطْمَأْنَنْتَ نَفْسُكَ وَمَا زَلَّ قَدَمُكَ

532 - مَزَجَ الشَّرْعُ لَحْمَكَ وَدَمَكَ وَنُودِيَا

533 - بِلِسَانٍ سِرِّ السِّرِّ عَلَيْكَ فِي حَالِ السِّرِّ

534 - ارْجِعِي يَا نَفْسُ الْبِرِّ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَا

يعني إذا أتممت أيّها السّالك المقام الرّابع، ومزّقت حجبهِ المتقدّم ذكرها، واطمأنت نفسك طمأنينة رحمانية، أي سكنت بعد اضطراب وانزعاج سكونا رحمانيا، ولم يزلّ قدمك عن اتّباع الكتاب والسّنة ولو قدر شعرة أو شعيرة، وامتزج الاتّباع للشّريعة والطّريقة مع لحمك ودمك، وجذبتك يد الألطاف وجذبة الكمال، وهي غير الجذبة الأولى الحاصلة أوّل السّلوک، ونودي بلسان سرّ السرّ عليك أي على نفسك ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ (1).

واعلم أنّ السرّ عند أهل الله هو لطيفة إنسانية مُودّعة في القلب، كالرّوح في البدن، وهو ألطف من الرّوح، وأصولهم تقتضي أنّه محلّ المشاهدة، كما أنّ الرّوح محلّ المحبّة والقلب محلّ المعرفة.

(1) سورة الفجر: 27 - 28.

وقالوا: «السِّرُّ مَا لَكَ عَلَيْهِ إِشْرَافٌ، وَسِرُّ السِّرِّ مَا لَا أَطْلَاعَ عَلَيْهِ لِغَيْرِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ».

وقالوا: «السِّرُّ أَلْطَفُ مِنَ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ أَشْرَفُ مِنَ الْقَلْبِ».

ويقولون: «الْأَسْرَارُ مُعْتَقَةٌ عَنْ رِقِّ الْأَغْيَارِ مِنَ الْأَطْلَالِ وَالْآثَارِ».

وجواب: (إِذَا اطْمَأْنَنْتَ نَفْسَكَ) قوله رحمه الله تعالى⁽¹⁾:

535 - فَيَغْتَرِيكَ نِسْيَانٌ فَلَا تَذْزِي وَمَا كَانَ

536 - غَبَتْ عَنْهُ بِإِحْسَانٍ جَمَالٌ جَلَالِيَا

أي يغشاك النسيان، أي عدم الحفظ لشيء، فلا تدري ولا تدرك شيئاً من أمور الدنيا والآخرة إلا إذا كان حاضراً عندك، ومتى غاب عنك غبت عنه بترقيك لمقام الإحسان، المشار له في الحديث الصحيح كما مرّ، وذلك لأنّ قلبك حينئذ لا يفتر عن مشاهدة جمال الحق وجلاله عزّ وجلّ.

و (الْجَلَالُ) عندهم عبارة عن نعوت القهر من الحضرة الإلهية.

وقيل: هو احتجاب الحقّ تعالى عنا بعزّته من أن نعرفه بحقيقته وهويّته كما يعرف هو ذاته، فإنّ ذاته سبحانه لا يدركها أحد على ما هو عليه إلا هو تعالى.

و (الْجَمَالُ) عبارة عن نعوت الرّحمة والألطف من الحضرة الإلهية.

(1) نهاية الورقة (109/و).

وقيل: «هو تجليّه بوجهه لذاته»، فلجماله المطلق جلال هو قهاريته للكلّ عند تجليّه بوجهه، فلم يبق أحد حين يراه وهو على حال⁽¹⁾ الجمال، وله قرب يدنو به منّا وهو ظهوره في الكلّ، كما قيل:

جَمَالُكَ فِي كُلِّ الْحَقَائِقِ سَائِرٌ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا جَلَالُكَ سَائِرٌ

قوله:

537 - تَزَجُّعُ نَفْسِكَ رَاضِيَةً بِالْوُجُودِ رَاضِيًا

538 - فَاِنِّيَا لَا بَاقِيَا وَصَفُهَا وَرَاعِيَا

يعني إذا اتّصفت نفسك بما مرّ ذكره، ونودي عليها بلسان سرّ السرّ كما قرّره⁽²⁾، صارت نفسك حينئذ منتظمة في نوع النفوس الرّاضية، وهو النوع الخامس من أنواع النفوس.

ومقامها يُسمّى مقام الوصال، لأنّها كانت محجوبة بمقام الكمال، وعالمها اللاّهوت، وسيرها في الله، ومحلّها سرّ السرّ، وحالها الفناء، لكن لا بمعنى ذهول الحواس عن المحسوسات بل بمعنى محو الصّفات البشريّة والتّهيّئ للبقاء من غير أن يعقبه البقاء في الحال، لأنّ ذلك البقاء هو حقّ اليقين وهو بعد هذا الفناء، ويحصل في المقام السّابع الآتي إن شاء الله تعالى.

(1) [حال] ساقط من (ج) و (ه).

(2) في (ه) قدره.

وليس للنفس الرّاضية وارد، لأنّ الوارد إنّما يكون مع بقاء الأوصاف وقد زالت في هذا المقام، حتّى إنه لم يبق لها أثر، ولذلك كان السّالك في هذا المقام فانيا لا باقيا بنفسه كما كان قبل⁽¹⁾ هذا المقام، ولا باقيا بالله كما سيكون في المقام السّابع، وهذه حالة لا تُدركُ إلا ذوقا.

وصفات هذا النّفس الزّهد فيما سوى الله تعالى، والإخلاص، والورع، وهذا معنى قوله: (فَانِيَا لَا بَاقِيَا وَضَفْهََا وَرَاعِيَا).

ومن أوصافها أيضا النّسيان والرّضا بكلّ ما يقع في الوجود، من غير اختلاج قلب ولا توجّه لدفع مكروه ولا اعتراض أصلا، وإلى ذلك أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (بِالْوُجُودِ رَاضِيَا).

وإنّما اتّصفت بذلك لاستغراقها في شهود الجمال المطلق، ومع ذلك لا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنّصيحة للخلق، ولا يسمع أحد كلامه إلا ويتنفع منه، كلّ ذلك وقلبه مشغول بعالم اللاّهوت وسرّ السرّ.

وصاحب هذا المقام غريق في بحر الأدب، ودعوته لا تردّ، وعلامة الوصول إلى هذا المقام عدم الرّكون إلى ما سوى الله تعالى، فمتى رأيت نفسك تركز لغيره فاعلم أنّك لست من أصحاب هذا المقام، لأنّ صاحبه أشرف على سلطنة الباطن التي جميع الظواهر تحت قهرها.

(1) نهاية الورقة (109/ظ).

تنبيه [في معنى الفناء].

يطلق الفناء عندهم على سقوط الأوصاف المذمومة، ويطلق مقابله وهو البقاء على قيام الأوصاف المحمودة، فإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان الآخر، فمن فني عن الأوصاف المذمومة ظهر عليه الخصال المحمودة، ومن غلب عليه الخصال المذمومة استترت عليه الصفات المحمودة، فمن زهد في دنياه بقلبه يقال: فني عن رغبته، فإذا فني عن رغبته بقي بصدق إنابته وهكذا.

ومن فني عن سيئ الأخلاق بقي بحميدها.

ومن فني عن توهم الآثار من الخلق بقي بصفات الحق.

ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا اسما ولا طللا يقال: إنه فني عن الخلق وبقي بالحق تعالى.

وإذا قيل: فني عن نفسه وعن الخلق، فنفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهما، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَاهُ فَطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾⁽¹⁾، أي لم يجدن عند لقاء يوسف⁽²⁾ عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس، وقلن ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾⁽³⁾ ولقد كان بشرا، وقلن ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾⁽⁴⁾ ولم

(1) سورة يوسف: 31.

(2) نهاية الورقة (110/و).

(3) سورة يوسف: 31.

(4) سورة يوسف: 31.

يكن مَلَكًا، وهذا تغافل المخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق مثله فما ظَنُّكَ بِمَنْ يُكَاشِفُ بشهود الحقِّ سبحانه وتعالى، فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وبأبناء جنسه فأَيُّ أعجوبة فيه، وفي ذلك قيل⁽¹⁾:

وَقَوْمٌ تَاهَ فِي أَرْضٍ بِقَفْرِهِ وَقَوْمٌ تَاهَ فِي مَيْدَانِ حُبِّهِ
فَأَفْنُوا ثُمَّ أَفْنُوا ثُمَّ أَفْنُوا وَأَبْقُوا بِالْبَقَا بِقُرْبِ رَبِّهِ

فالأَوَّلُ فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحقِّ، ثم فناءه عن صفات الحقِّ بشهود الحقِّ، ثم فناءه عن شهود فناءه باستهلاكه في وجود الحقِّ.

قال الإمام القشيري: «فَمَنْ فَنِيَ عَنْ جَهْلِهِ بَقِيَ بِعِلْمِهِ، وَمَنْ فَنِيَ عَنْ أُمْنِيَّتِهِ بَقِيَ بِإِرَادَتِهِ، وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ سَائِرَ الصِّفَاتِ»⁽²⁾.

[ذكر اسم الله حي]

ثم أشار إلى بيان الاسم الذي يشتغل بذكره صاحب هذا المقام فقال:

539 - ذِكْرُكَ يَا حَيُّ بِالسِّرِّ وَبِالشِّدَّةِ وَالْجَهْرِ

540 - لَطِيفَةُ سِرِّ السِّرِّ مَقَامُكَ وَصَالِيَا

(1) أورده القشيري في الرسالة (1/172).

(2) الرسالة القشيرية (1/171) ونصه فيها: «فمن فني عن جهله بقي بعلمه، ومن فني عن شهوته بقي بإنابته، ومن فني عن رغبته بقي بزهادته، ومن فني عن منيته بقي بإرادته، وكذلك القول في جميع صفاته».

يعني أَنَّ السَّالِكَ يتعيَّن عليه في هذا المقام ذكر الاسم الخامس وهو اسمه جَلَّ وعلا (حَيَّ)، مجردا من حرف النداء أو مقرونا به، بالسَّر وبالقوَّة والجهر، كما صرَّح به المصنِّف رحمه الله تعالى.

وأشار بقوله: (لَطِيفَةُ سِرِّ السِّرِّ)، إلى محلِّ النَّفْس الرَّاضِيَةِ⁽¹⁾ كما مرَّ، كما أشار إلى مقامها بقوله: (مَقَامُكَ وَصَالِيَا)، يعني أَنَّ مقام النَّفْس الرَّاضِيَةِ يُسمَّى مقام الوصال كما سبق.

قوله:

- 541 - كَثُرَ مِنْهُ بِالْعَنَّا يَذْهَبُ عَنْكَ ذَا الْفَنَّا
542 - يَسْطَعُ فِي قَلْبِكَ سَنَا تَحْيَا بِهِ بَاقِيَا
543 - تَدْخُلُ بِهِ عَلَى الْبَابِ لِمَنْ أُنْزِلَ الْأَخْبَابِ
544 - دَعَاؤُكَ يُسْتَجَابُ⁽²⁾ وَضُفُّكَ كَمَا لِيَا

أي كَثُرَ من ذكر اسمه تعالى حَيَّ، واستهتر بذكره آناء اللَّيْلِ وأطراف النَّهَارِ، مستغرقا أوقاتك به، قائما أو قاعدا أو على جنبك، سرا أو جهرا، بالقوة والمجاهدة والتَّعب، يحصل الامتزاج وتستغني⁽³⁾ عن العلاج، ويذهب أي يضمحلّ ويزول عنك الفناء الحاصل لك في هذا المقام، وإلى هذا أشار بقوله: (يَذْهَبُ عَنْكَ ذَا الْفَنَّا).

(1) [كما مر مقام النفس الراضية] ساقط من (ه).

(2) في (ج) مستجاب.

(3) في (ه) مستغني.

وقوله: (يَسْطَعُ فِي قَلْبِكَ سَنَا)، أي يرتفع في قلبك شعاع أنوار التَّجَلِّيات، ويحصل لك البقاء بالحَيِّ والاتِّصاف بالصفات الجميلة، وتدخل⁽¹⁾ بالإكثار من ذكر اسمه تعالى حَيِّ على الباب إلى منازل حضرة الأحباب، وصار دعاؤك مستجابا.

قال سيدي مصطفى البكريّ قدس سرّه: «وكَلِّمَّا اشْتَغَلْتَ بِهَذَا الْاسْمِ زَالَ فَنَاءُكَ وَبَقِيَتْ بِالْحَيِّ وَاتَّصَفْتَ بِالصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»⁽²⁾، المعبر عنه بقرب النّوافل».

وإليه أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (وَضَفُوكَ كَمَالِيَا).
ثم قال رحمه الله تعالى:

545 - زِدْ مَعَهُ أَسْمَا الْفُرُوعِ يَسْرِعْ فِيكَ ذَا الْوُقُوعِ

546 - لَيْلًا تَكُنْ مَرْجُوعًا عَنْ مَقَامِ الْمَرْضِيَا

يعني أَنَّ السَّالِكَ إِذَا⁽³⁾ وصل إلى مقام ذكر الاسم الخامس وهو حَيِّ كما مرّ، فلا يقتصر على ذكره فقط كما في غيره من الأسماء

(1) نهاية الورقة (110/ظ).

(2) رواه البخاري (247/3 رقم: 6502)، وابن حبان (58/2 رقم: 347)، والبخاري (270/15 رقم: 8750)، والبيهقي (482/3 رقم: 6395) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) في (هـ) إلى.

السَّبعة، بل يزيد عليه ذكر أسماء أُخر من أسماء الله تعالى يقال لها
أسماء الفروع، وهي اسمه تعالى الوهَّاب، الفتَّاح، الواحد، الأحد،
الصَّمد، فعلى السَّالك في هذا المقام أن يشتغل باسمه تعالى الفتَّاح، أو
باسمه تعالى الوهَّاب، مع الاسم الخامس وهو الحَيَّ عَزَّ وَجَلَّ، يسهل
عليه الانتقال إلى المقام السَّادس، وهو مراد الشَّيخ رحمه الله تعالى
بقوله: (يُسْرِعُ فِيكَ ذَا الْوُقُوعِ).

وقوله: (لَيْلًا تَكُنْ مَرْجُوعٌ) علَّة لزيادة أسماء الفروع مع اسمه
تعالى الحقَّ، والمرجوع المصَّروف، و (عَنْ مَقَامِ الْمَرْضِيَّةِ) يتعلَّق به.

قوله:

547 - تَزَجُّعُ نَفْسِكَ مَرْضِيَّةٌ عِنْدَ الْخَلْقِ أَوْ حَقِيًّا

548 - بِالْفَضَائِلِ مَخْضِيًّا فِي اللَّطِيفَةِ الْخَفِيَّا

يعني إذا اشتغلت بالاسم الخامس مع أسماء الفروع كما مرّ، وزال فناؤك واضمحلت حجب مقام الوصال وحصل لك البقاء، صارت نفسك حينئذ منتظمة في نوع النفوس المرضية، وهو النوع السادس من أنواع النفوس، فلقبها حينئذ النفس المرضية، أي عند الحقّ تعالى وعند الخلق، المحضية بالفضائل كما صرّح به المصنّف رحمه الله تعالى.

وسيرها على الله تعالى، وعالمها عالم الشّهادة، وحالها الحيرة، وواردها الشريعة، ومحلّها لطيفة الخفاء، وإليه أشار المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (فِي اللَّطِيفَةِ الْخَفِيَّا).

[صفات النفس المرضية]

وصفاتها الصّفح عن ذنوب الخلق، وحملهم على الصّلاح، وحبّهم، وحسن الخلق⁽¹⁾ واللّطف بالخلق، كما قال المصنّف رحمه الله تعالى:

(1) نهاية الورقة (111/و).

549 - وَضَفُّهَا اللَّطْفُ بِالْخَلْقِ وَتَرْكُ مَا سِوَى الْحَقِّ

550 - تَجْمَعُ بَيْنَ حُبِّ الْخَلْقِ وَحُبِّ الْحَقِّ مَوْلَايَا

ووجه تلقيبها بالمرضية هو أنّ الله تعالى رَضِيَ عنها.

ومعنى كون سيرها عن الله، أنّها أخذت ما تحتاجه من العلوم من حضرة الله الحيّ القيّوم، ورجعت من عالم الغيب إلى عالم الشّهادة، لتفيد الخلق ممّا أنعم الله تعالى به عليها.

[معنى الحيرة عند الصوفية]

والمراد بالحيرة في قولهم: «محلّها الحيرة» الحيرة المقبولة، المشار إليها بقوله: «رَبِّي زِدْنِي فِيكَ تَحِيْرًا»⁽¹⁾، لا الحيرة المذمومة التي تكون في أوّل السلوك.

ومن شأن صاحب هذا المقام الوفاء بالوعد، ووضع كلّ شيء موضعه، فينفق الكثير حتّى يُظَنّ أنّه أسرف، ويبخل بالقليل حتّى يُظَنّ أنّه بخيل، أبخل من كلّ بخيل.

[ذكر اسم الله قيوم]

ثمّ أشار إلى الاسم الذي يشتغل بذكره صاحب هذا المقام فقال:

(1) روى القشيري في الرسالة (480/2) عن سهل بن عبد الله أنه قال: «الْمَعْرِفَةُ غَايَتُهَا شَيْئَانِ: الدَّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ».

وروى أيضا (480/2) عن ذي النون المصري أنه قال: «أَعْرِفُ النَّاسَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَشَدُّهُمْ تَحِيْرًا فِيهِ».

551 - تَذْكُرُ اسْمَهُ قِيَوْمٌ يَذْهَبُ عَنْ قَلْبِكَ النَّوْمُ

552 - تُفِيضُ عَنْكَ الْعُلُومَ عُلُومٌ إِلَّا هِيَ

يعني أَنَّ السَّالِكَ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْإِشْتَغَالُ بِذِكْرِ الْأَسْمَاءِ
السَّادِسَ وَهُوَ اسْمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قِيَوْمٌ⁽¹⁾ ، بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَالْجَهْرِ
وَالْإِسْرَارِ، آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ⁽²⁾ النَّهَارِ.

وقوله: (يَذْهَبُ عَنْ قَلْبِكَ النَّوْمُ)، يريد أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَقَامِ لَا
يَتَلَبَّسُ بِالْغَفْلَةِ عَلَى الدَّوَامِ، وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَيُفِيضُ عَلَيْهِ
الْعُلُومَ اللَّدْنِيَّةَ وَالْمَعَارِفَ الْإِلَهِيَّةَ.

[مِيلُ صَاحِبِ النَّفْسِ الْمَرْضِيَّةِ إِلَى الْخَلْقِ لِإِرْشَادِهِمْ]

قوله:

553 - وَتَمِيلُ إِلَى الْخَلْقِ لِإِرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ

554 - إِلَّا مَنْ فِيهِ سَبَقٌ قَوْلُ اللَّهِ مَوْلَايَا

قال سيدي مصطفى البكري قُدَّسَ سِرُّهُ: «ومن صفات السَّالِكِ فِي
هَذَا الْمَقَامِ - يعني مقام النفس المرضيَّة - الميل إِلَى الْخَلْقِ لِإِرْشَادِهِمْ
وإِخْرَاجِهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ طِبَائِعِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى أَنْوَارِ أَرْوَاحِهِمْ».

(1) ورد اسم القيوم في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، الأول في الآية 255 من البقرة:
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، والثاني في الآية 2 من
سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، والثالث في الآية 111 من سورة
طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾.

(2) [أطراف] ساقط من (هـ) .

وفي الحديث «إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الْمُحِبُّونَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، الْمُحِبُّونَ اللَّهِ إِلَى عِبَادِهِ، الْمَاشُونَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ»⁽¹⁾.

(1) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في التوبيخ والتنبيه (23/1)، وقوام السنة في الترغيب والترهيب (247/3 رقم: 2454) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَجْلِسُونَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِقُرْبِ مَجَالِسِهِمْ مِنَ اللَّهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَوْلَئِكَ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ لِلَّهِ بِالنَّصِيحَةِ، يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى النَّاسِ، وَيُحِبُّونَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ، فَقُلْنَا: هَذَا هُمْ قَدْ حَبَّبُوا اللَّهَ إِلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ يُحِبُّونَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: يَأْمُرُ وَيَنْصَحُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَإِذَا أَطَاعُوا اللَّهَ أَحَبَّهُمْ».

وهو ضعيف، لإرساله فإن زيد بن أسلم تابعي لم يلق النبي ﷺ، ولضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (ص: 20 رقم: 36) عن الحسن البصري قال: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ بِاللَّهِ، أَنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ».

ورواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (ص: 18 رقم: 28) عن ابن أبي أوفى قال: «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، وَالَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ، الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَظْلَةَ وَالنُّجُومَ لِذِكْرِ اللَّهِ».

ورواه أحمد في الزهد (ص: 118 رقم: 770) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «إِنْ شِئْتُمْ لِأَحَدِثْتُكُمْ مَنْ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ نَصْحًا، وَإِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ لِرِغَاءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ».

ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في التوبيخ والتنبيه واللفظ له (22/1)، وأحمد في الزهد (ص: 232 رقم: 1648) عن الحسن البصري قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ، لَئِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ، إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَيُحِبُّونَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ».

وأشار بقوله: (إِلَّا مَنْ فِيهِ سَبَقَ) إلخ، إلى أنّ من صفات صاحب هذا المقام أنه لا يرشد أحداً بوعظه ولا يُذَكِّرُهُ بحديث أو آية من كلام الله تعالى أو حكمة إلّا ويُنْتَفَعُ بما سَمِعَ منه، إلّا مَنْ حَقَّ عليه القول وسبق في علمه تعالى شقاؤه فإنّه لا ينتفع بإرشاده، وهذا⁽¹⁾ الميل⁽²⁾ الذي يتّصف به صاحب هذا المقام ليس كالميل الذي في النفس الأمّارة لأنّه مذموم.

[تجليات صاحب النفس المرضية]

قوله:

555 - تَتَجَلَّى لَكَ الْأَفْعَالُ مَقَامَاتُ أَهْلِ الْكَمَالِ

556 - تَفْنَى عَنْ سُوءِ الْخِصَالِ مَقَامُ الْخِلَافِيَا

يعني أنّ صاحب النَّفْسِ المرضيّة مقامه مقام تجلّيات الأفعال، وهو مقام أهل الكمال.

وأشار بقوله: (تَفْنَى عَنْ سُوءِ الْخِصَالِ) إلى أنّ صاحب هذا المقام جميعُ شؤونه في الحالة الوسطى، وهي بين الإفراط والتّفريط، فمرجع كلّ خصلة سَيِّئَةٍ إليهما، فالإفراط مذموم والتّفريط مثله، بدليل قوله ﷺ: «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا»⁽³⁾.

(1) في (هـ) وهو.

(2) نهاية الورقة (111/ظ).

(3) سبق تخريجه.

قال سيدي مصطفى البكري: «وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا مَنْ كان في هذا المقام، وهي خفيفة على اللسان ثقيلة عند الامتحان، وكلّ أحد يحبّ هذه الخصلة ويحبّ أن يتّصف بها، إلاّ أنّها صعبة لا يقدر عليها كلّ أحد».

وقوله: (مَقَامُ الْخِلَافِيَا) يعني أنّ السالك في أوّل هذا المقام تلوح له بشائر الخلافة الكبرى، وفي آخره تخلع عليه خلعتها، وهي خلعة «كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي»⁽¹⁾، وهذه نتيجة قرب النوافل.

وتحقيق هذا المقام أنّ السالك إذا وصل إلى⁽²⁾ مقام الفناء تتمحي صفاته الذميمة البشريّة التي هي محلّ الانفعال والشقاوة، وذلك بسبب تقربه إلى الله تعالى بالنوافل والرياضات⁽³⁾ ومجاهدة النفس الجهاد الأكبر.

وقد جرت عادة الله تعالى أنّه يهبه كرما منه صفات مناقضة لتلك الصّفات، وهذا هو حقّ اليقين.

وهذه المعاني لا تُدرك إلاّ بتأييد إلهي، لأنّ الفناء ليس له في الخارج نظير حتّى يُقاس عليه ويُمثّل به، وكذلك البقاء بالله، وكذلك قرب النوافل وقرب الفرائض.

(1) رواه البخاري (247/3 رقم: 6502)، وابن حبان (58/2 رقم: 347)، والبزار (270/15 رقم: 8750)، والبيهقي (482/3 رقم: 6395) عن أبي هريرة رضي الله عنه من غير زيادة «فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي»، وهي في نواذر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي (265/1).

(2) [إلى] ساقط من (ه).

(3) في (ه) بالنوافل التي الرياضات.

قوله:

557 - تَزَجُّ نَفْسُكَ كَامِلَةً لِلْفَضَائِلِ شَامِلَةً

558 - عَنْ سِوَاهُ خَامِلَةً تَطْلُبُ رِضًا مَوْلَايَا

يعني إذا اشتغلت بذكر الاسم السادس وهو قيوم، مستغرقا أوقاتك به، قائما أو قاعدا أو على جنبك، ولازمت تلاوته كما مر في ذكر الأسماء السابقة، صارت حسنات الأبرار سيئاتك، فلا تزال مؤدِّبا بأداب الشريعة⁽¹⁾ والطريقة والحقيقة، لا يشغلك بعضها عن بعض إلى أن تنتقل إلى المقام السابع، طالبا التحقق بالصورة الآدمية التي كانت قبلة للملائكة، التي حقيقتها الحقيقة المحمدية، وهي سرّ الله الأعظم، وهذا غاية القرب من حضرة الرّب، وانتظمت نفسك في نوع النفوس الكاملة، وهو النوع السابع، نهاية أنواع النفوس، وحينئذ يتحقق السالك بالعبودية المحضة والعجز والذلّ والفناء، ويعرف نفسه بهذا الوصف ويعرف ربّه بأوصاف الربوبية، لأنّه إذا عرف نفسه بالفقر والذلّ والفناء عرف ربّه بالعزّ والبقاء والغنى، وذلك بسبب مقابلة مرآة العبودية لمرآة الربوبية، وهو معنى قوله تعالى: «مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي،

(1) نهاية الورقة (112/و).

وَوَسَّعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ»⁽¹⁾، ومتى عرف ربّه، علم بالعلم الإلهي
السّر المودع في حقائق الأشياء، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽²⁾.

- (1) رواه الديلمي في الفردوس (174/3 رقم: 4466) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه أحمد في الزهد (ص: 69 رقم: 423) عن وهب بن مُنبّه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ فَتَحَ السَّمَاوَاتِ لِجَزْقِيلَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَقَالَ جَزْقِيلُ:
سُبْحَانَكَ، مَا أَعْظَمَكَ، يَا رَبِّ، فَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَمْ تُطْقَ أَنْ
تَحْمِلَنِي، وَضِئْنَ مِنْ أَنْ تَسْعَنِي، وَسَعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْوَاعِ اللَّيِّنِ»، والخبر هذا
من الإسرائيليات.
قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (890/1): «لم أر له أصلاً»، وكذلك
قال السيوطي في الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة (175/1): «لا أصل له».
وقال الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (310/1):
«ومعناه وسع قلبه الإيمان بي وبمحبتي، وإلا فالقول بالحلول كفر».
وسئل عنه ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (206/1) فأجاب بقوله: «لا
أصل له عن النبي ﷺ، وإنما هو مذكور في الإسرائيليات، وقال الزركشي هو
حديث باطل من وضع الملاحدة، انتهى؛ وذكر جماعة له من الصوفية لا يريدون
به حقيقة ظاهرة من الاتحاد أو الحلول لأن كلا منهما كفر، وصالحو الصوفية
أعرف الناس بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وإنما يريدون بذلك أن قلب
المؤمن يسع الإيمان بالله تعالى ومحبته ومعرفة».
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (590/1): «ورأيت بخط ابن الزركشي:
سمعت بعض أهل العلم يقول: هذا - يعني حديث الترجمة - حديث باطل، وهو
من وضع الملاحدة، وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا
لمقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص: طوفوا بيت ربكم».
(2) سورة البقرة: 31.

وقوله: (لِلْفَضَائِلِ) يتعلق بـ (شَامِلَةً) بعده، وهو صفة لـ (كَامِلَةً)، وكذلك ما بعده.

ولعلّه أراد بالخمول الذّهول، والمعنى صارت نفسك كاملة شاملة للخيرات ذاهلة عن⁽¹⁾ المكوّنات طالبة رضا الله تعالى، ليس لها مطلب سوى رضوان الله سبحانه⁽²⁾، حركاته حسنات وأنفاسه قدوة وحكمة وعبادة.

وجملة (تَطْلُبُ رِضًا مَوْلَايَا) في محل نصب تحتمل الحالية من المفعول والوصفية.

وإلى بيان اسم هذه النفس أشار بقوله: (تَرْجِعُ نَفْسُكَ كَامِلَةً).

وأما سيرها فبالله تعالى، وأما عالمها فكثرة في وحدة ووحدية في كثرة، وأما حالها فهو البقاء، وأما وَارِدُهَا فجميع ما ذُكِرَ من واردات النفوس السابقة، وأما صفاتها فجميع ما ذكر من الأوصاف الحسنة للنفوس المتقدّمة.

[مفتاح النفس الكاملة ذكر اسم الله قَهَّار]

وأما مفتاحها فالاسم السّابع الذي أشار إليه المصنّف رحمه الله تعالى بقوله:

559 - تَذْكُرُ اسْمَهُ قَهَّاز بِالسِّرِّ وَبِالْإِجْهَازِ

560 - تَفْنَى عَنْ كُلِّ الْأَغْيَازِ وَالْأَكْوَانِ الْكُلِّيَا

(1) في (هـ) على.

(2) في (هـ) عز وجل.

يعني أن الاسم الذي يشتغل السالك بتلاوته في هذا المقام هو اسمه عز وجل قهار، وهو الاسم السابع.

قال سيدي مصطفى البكري قدس سره: «واعلم أن اسمه تعالى القهار من أسماء القطب، قال⁽¹⁾ المشايخ: ومنه يمد القطب المريدين الطالبين بالأنوار والهدايات والبشارات، وقالوا: إن كل ما حصل في قلوب المريدين من البسط والفرح والسرور والجذبات الكائنة بغير سبب فهو من مدد القطب عوضا عن أذكارهم وتوجهاتهم لربهم»، اهـ. وقوله: (بِالسِّرِّ وَالْإِجْهَارِ) صلة (تَذَكُّرُ)، ونبه بذلك على أن تلاوة هذا الاسم كتلاوة الأسماء السابقة سواء.

وقوله: (تَفْنَى عَنْ كُلِّ الْأَغْيَارِ) يريد رحمه الله تعالى أن السالك في هذا المقام يستولي عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا ذاتا ولا صفة، بل يفنى عن الخلق ويبقى بالحق. وعطف الأكوان على الأغيار تفسيري، يعني أنه يفنى عن المكوّنات بأسرها، غُلُوِّيَّهَا وَسُفْلِيَّيَّهَا، جَوْهَرَهَا وَعَرْضَهَا. قوله:

561 - تَجَلَّى لَكَ الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ السَّنِيَّاتُ

562 - تَسْتَغْرِقُ فِي الْعِبَادَاتِ جَوَارِحُ وَقُلُوبِيَا

يريد رحمه الله تعالى أن مقام صاحب النفس الكاملة هو مقام تجليات الأسماء والصفات.

(1) نهاية الورقة (112/ظ).

وقوله: (السَّيِّئَاتِ) أصله السَّيِّئَةُ أي المرتفعة، زاد فيه الألف للوزن، وهو صفة للأسماء.

وأشار بقوله: (تَسْتَغْرِقُ فِي الْعِبَادَاتِ) إلخ، إلى أنّ صاحب هذا المقام يكون مستغرقاً في العبادات لا يفتر عنها بجوارحه الظاهرة والباطنة، أعني إمّا بجميع بدنه أو بلسانه أو بيده أو برجله أو بقلبه، ويكون كثير الاستغفار، كثير التواضع، سروره ورضاه في توجّه الخلق إلى الحقّ، وحزنه وغضبه في إدبارهم عن الحقّ، يحبّ طالب الحقّ أكثر من محبّة ولده من صلبه، ويكون كثير الأوجاع قليل القوى قليل الحركة، ليس في قلبه كراهة مخلوق من المخلوقات مع أنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويظهر الكراهية لمُستَحِقِّهَا ويظهر المحبّة لمن هو أهل لها، لا تأخذه في الله لومة لائم، يرضى في عين الغضب ويغضب في عين الرضا، لكنّه يضع كلّ شيء في محله.

وقوله: (جَوَارِحُ) معمول (تَسْتَغْرِقُ)، و (قَلْبِيًّا) معطوف عليه، و (فِي الْعِبَادَاتِ) صلة (تَسْتَغْرِقُ)، بمعنى تستغرق في العبادات جوارحك وقلبك يا سالك.

قوله:

563 - تَصِرُ مَحَلَّ الشِّفَا لَطِيفُكَ الْإِخْفَا

564 - تَلْبُسُ وَضْفِ الْمُضْطَقَى خُلُقًا وَخَلْقِيَا

يعني أنّ صاحب هذا المقام لما تحقّق بالصّورة الأدميّة، وعلمّه الله تعالى السرّ المودع في حقائق الأشياء الكونيّة التي من جملتها علم أمراض القلوب وأدويتها، صار بذلك أهلاً لتبيين أدوية تلك الأمراض والعلل التي بها يحصل الشفاء بإذن الله تعالى وتوفيقه.

وأشار بقوله: (لَطِيفَتُكَ الْإِخْفَا) إلى أَنَّ صاحب هذا المقام محلّ نفسه الكاملة لطيفة الإخفاء، التي نسبتها إلى الخفاء كنسبة الرُّوح إلى الجسد.

وقوله: (تَلَبَّسَ وَضَفَ الْمُصْطَفَى ﷺ) إلخ، يعني أَنَّ صاحب هذا المقام يُحَلِّيهِ الله عزَّ وجلَّ بِحِلْيَةِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ، ويُفِيضُ عَلَيْهِ من أنوار خلقه ﷺ وحسنه بحيث يستحسنه كلٌّ مَنْ وقع بصره عليه بتحقيقه بالحقيقة المحمّديّة ولو كان ذميم المنظر.

[ما خصَّ الله به صاحب النفس الكاملة]

وصاحب هذا المقام يخصّه الله تعالى بخواصّ منها ما مرّ، ومنها ما أفاده قوله:

565 - سَمِثُكَ يَا أَوْاهَ مَنْ رَأَكَ ذَكَرَ اللهَ

566 - مُرَادُكَ مُرَادُ اللهَ فِي طَيْكَ كُلِّ الْأَشْيَا

لَمَّا كَانَ هذا المقام هو أعظم المقامات، لأنّه كملت فيه سلطنة الباطن وتمّت به المكابدة والمجاهدة، وَسَمَهُ الله بِسِمَاتٍ حميدة لا توجد في غيره، منها أَنَّ كلَّ مَنْ رآه من الخلق تلبّس بذكر الحقّ سبحانه وتعالى.

قال سيّدي مصطفى البكريّ قُدّس سرُّه: «وكيف لا يكون ذلك وهو وليّ الله تعالى، بل كان وليّاً وهو في المقام الرَّابِع، لأنَّ المقام الرَّابِع مقام الأولياء العوام، والمقام الخامس مقام الأولياء الخواص، والمقام السّادس مقام خواص الخواص، فسبحان مَنْ لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع»، اهـ.

و (الْأَوَّاهُ) الرَّحِيمُ، والموقِّي⁽¹⁾، والرَّفِيقُ.

ومنها ما أشار إليه بقوله: (مُرَادُكَ مُرَادُ اللَّهِ) إلخ، يريد أن صاحب هذا المقام ما وجَّه⁽²⁾ همَّته إلى كون من الأكوان إلاَّ أوجده الله تعالى على وفق مراده، وذلك لأنَّ مراده مراد الله تعالى، فإذا أراد شيئًا وطلبه لا يخيِّبه تعالى غالبًا.

وقوله: (فِي طَيْكَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ) يعني أن جميع صفات العالم العلويِّ والسفليِّ مودعة فيك، ولذلك يُسمَّى الإنسان⁽³⁾ بالعالم الأصغر لاشتماله على جميع ما أوجده الله في العالم الأكبر، كما بُيِّنَ في محلِّه مفصَّلًا.

[تأهل صاحب النفس الكاملة للبس لبخرقة]

قوله:

567 - أَلْبَسْتَ الْخِرْقَةَ فِي الْحَيْنِ عَنْ أَيَّادِي الصَّالِحِينَ

568 - صَزَتْ مِنْ الْمُرْشِدِينَ فِي دِيْوَانِ الْأَوْلِيَا

يعني إذا وصلت إلى هذه المرتبة تأهلت للباس الخِرْقَةِ على يد أستاذك ومرشدك.

(1) في (هـ) والموقن.

(2) في (هـ) متى وجهه.

(3) نهاية الورقة (113/ظ).

واعلم أنّ الأصل في لباس الخرقة ما روي «أنّه ﷺ ألْبَسَ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الْعِمَامَةَ وَأَزَحَى لَهُ طَرَفَهَا»، كما أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن⁽¹⁾.

(1) الذي في الطبراني في معجمه الأوسط (369/8 رقم: 8901) عن عائشة رضي الله عنها قالت: عَمَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَزَحَى لَهُ أَرْبَعَ أَصَابِعَ، وَقَالَ: «إِنِّي لَمَّا صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ أَكْثَرَ الْمَلَائِكَةِ مُعْتَمِينَ»، والحديث ضعيف، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (120/5): «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه مقدم بن داود وهو ضعيف».

ورواه ابن أبي حاتم في العلل من حديث ابن عمر رضي الله عنه ثم قال: «والحديث باطل».

أما حديث تعميم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما كما اشار إلى ذلك المتقي الهندي في كنز العمال (483/15 رقم: 41912)، وهو في نسخة الفردوس المطبوعة بحذف الأسانيد (87/3 رقم 4246)، ولفظه كما في الكنز عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا عَمَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً بِالسَّحَابِ قَالَ لَهُ: «يَا عَلِيُّ، الْعَمَائِمُ تَبْجَانُ الْعَرَبِ، وَالْإِخْتِبَاءُ حِطْأُنْهَا، وَجُلُوسُ الْمُؤْمِنِ فِي الْمَسْجِدِ رِبَاطَةٌ».

ورواه ابن عدي في الكامل (164/8) من طريق مُبَشَّرُ بْنُ عُبَيْدٍ عن الْحَكَمِ بْنِ عُثَيْبَةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَدِي: «وهذا بهذا الإسناد عن الحكم على اختلاف الأسانيد لا يرويهما عن الحكم غير مبشر بن عُبَيْدٍ»، وقد قال عنه قبل ذلك: «أحاديثه بواطيل»، ونقل عن البخاري أنه قال: «مبشر بن عُبَيْدٍ كان منكر الحديث».

ورواه أيضا القضاعي في مسند الشهاب (75/1 رقم: 68) بسنده إلى موسى بن إبراهيم الْمَرْوَزِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ: «كذاب»، وقال الدارقطني وغيره: «متروك»، وقال ابن حبان: «كان مُعَفَّلاً، يلقن فيتلقن فاستحق الترك».

ورواه ابن شاذان في مشيخته الصغرى (ص: 27 رقم: 26) عن عبد الباقي بن قانع نا محمد بن عبد الله بن مهران نا عبد العزيز الأوسي نا علي بن أبي علي عن

وَرُوي «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ⁽¹⁾ صَنْدُوقًا مِنَ الْجَنَّةِ فَفَتَحَهُ فَإِذَا فِيهِ خِرْقٌ حُمْرٌ وَسُودٌ، فَقَالَ ﷺ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ خِرْقٌ سَتَكُونُ لِحَوَاصِ أُمَّتِكَ»⁽²⁾.

وهي عند أهل الله تعالى أنهم يخلعون على من لبسها بإخلاص وكمال اعتقاد جميع الأخلاق المحمودة حين لبسها، ويتنزعون منه حال أمرهم له بنزع قلنسوته أو ثوبه أو غيره جميع الأخلاق المذمومة، وأما غير العارفين فيستعملونها على سبيل التبرك والتشبه بالقوم، وفي الحديث «يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُفَرِّزُوا»⁽³⁾.

جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّمَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَدَيْهِ وَرَتَّبَ الْعِمَامَةَ مِنْ وَرَائِهِ وَمِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَذْبِرْ، فَأَذْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَكَذَا تَكُونُ تِيْجَانُ الْمَلَائِكَةِ».

وهو حديث واه، علي بن أبي علي اللهي ضعيف جدا، قال البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم الرازي: «منكر الحديث»، وقال النسائي: «متروك الحديث»، وقال ابن حبان: «يروي عن الثقات الموضوعات وعن الثقات المقلوبات لا يجوز الاحتجاج به».

(1) في (هـ) صلى الله عليه وسلم.

(2) لا أصل لهذا الحديث، ولا وجود له في كتب الرواية المشهورة ولا في الأجزاء المنشورة، وألفاظه تدل على بطلانه، انظر ما قيل في أحاديث الخرق في المقاصد الحسنة (ص: 527)، وكشف الخفاء (2/162).

(3) متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (1/28 رقم: 69)، ومسلم (3/1359 رقم: 1734).

و «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»⁽¹⁾.

و (الْمُرْشِدُونَ) جمع مرشد، وهو الدال على الله تعالى بقوله وفعله وحاله لا بأحدها.

و (الدِّيَّانُ) بكسر الدال وفتحها جريدة الحساب، والكتاب يكتب فيه أهل العطية، وأوّل مَنْ وضعه سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه، والمراد به كتاب يكتب فيه أهل الخير حسبي أو معنوي.

و (الأُولِيَا) بالمدّ، قصره هنا للوزن، جمع وليّ، فعيل بمعنى فاعل، التّاصر والمحبّ والقائم بأمر مَنْ وَلِيَهُ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽²⁾.

قال ابن فارس⁽³⁾: «كَلَّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ أَحَدٍ فَهُوَ وَلِيُّهُ لُغَةً»⁽⁴⁾.

(1) رواه ابن أبي شيبة (212/4 رقم 19401)، وأحمد (123/9 رقم: 5114)، وأبو داود (44/4 رقم: 4031)، وعبد بن حميد (ص: 267 رقم: 848)، والبيهقي في شعب الإيمان (417/2 رقم 1154)، وصححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (318/1)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (271/10).

(2) سورة البقرة: 257.

(3) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي اللغوي، كان إماما في علوم شتى، وخصوصا اللغة فإنه أتقنها، صنف كتباً كثيرة منها الصاحبي، والمجمل في اللغة، وجامع التأويل في تفسير القرآن، وأصول الفقه، وغيرها، توفي رحمه الله سنة 395 هـ - 1004 م.

له ترجمة في: وفيات الأعيان (118/1)، ترتيب المدارك (84/7)، ومعجم الأدباء (412/1)، وسير أعلام النبلاء (103/17 - 106).

(4) مجمل اللغة (ص: 936)، معجم مقاييس اللغة (141/6) مادة: ولي.

وأما في العُرف فهو فعيل بمعنى فاعل⁽¹⁾، مَنْ تَوَالَتْ طَاعَتُهُ مِنْ
غَيْرِ تَخَلَّلٍ عَصِيَانٍ، أَوْ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مَنْ يَتَوَالَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ اللَّهِ تَعَالَى
وَأَفْضَالُهُ⁽²⁾.

قوله:

569 - دَخَلَتْ حَضْرَةَ الْقُدُسِ بَيْنَ الْهَيْبَةِ وَالْأُنْسِ

570 - فَارْقَتْ هَوَى النَّفْسِ أَنْتَ مِنَ الْأَصْفِيَا⁽³⁾

يعني أَنَّ السَّالِكَ إِذَا مَزَّقَ حِجْبَ الْمَقَامِ السَّابِعِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ
الْمَقَامَاتِ، صَارَ مِنْ أَهْلِ الْإِرْشَادِ، وَفَنِي⁽⁴⁾ عَنْ
جَمِيعِ الرَّعُونَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَانْتَضَمَ حِينَئِذٍ فِي سَلَكِ الْعَارِفِينَ الْأَصْفِيَاءِ.

وَأَصْلُهُ بِالْمَدِّ، وَالْقَصْرُ لِلْوِزْنِ، وَهُوَ جَمْعُ صَفِيٍّ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى
فَاعِلٍ، أَيِ خَالِصٍ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ، أَوْ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيِ مُخْتَارٍ.

وَدَخَلَ حَضْرَةَ الْقُدُسِ وَهِيَ إِحْدَى الْحَضَرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْخَمْسَةِ.

وَحَضْرَةُ الْقُدُسِ عِنْدَهُمْ هِيَ دَائِرَةُ الْقُدُسِ وَالْكَمَالِ، إِذَا وَصَلَ
السَّالِكُ إِلَيْهَا سُمِّيَ عَارِفًا وَوَاصِلًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي صَدْرِ
هَذَا التَّعْلِيقِ.

(1) [فاعل] ساقط من (ج) و (هـ).

(2) هذا التعريف ذكره الجرجاني في كتاب التعريفات (ص: 254).

(3) في (ج) و (هـ) الأوليا.

(4) نهاية الورقة (114/و).

والظرف من قوله: (بَيْنَ الْهَيْبَةِ وَالْأُنْسِ) حال من فاعل (دَخَلَتْ).

و (الْهَيْبَةُ) عندهم عبارة عن أثر مشاهدة جلال الله تعالى في القلب، وقد تكون عن الجمال الذي جماله الجلال.

و (الْأُنْسِ) بِالضَّم عبارة عن أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال.

والهيبه والأنس حالتان فوق القبض والبسط، كما أنَّ القبض والبسط فوق الخوف والرَّجاء، فالهيبه مقتضاها الغيبة، والأنس مقتضاه الصَّحو والإفاقة.

تنبيه [في مُرَكَّبِ اللطائف السبع].

اللطائف السَّبع التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى في مقامات النَّفوس السَّبعة مُرَكَّبُهَا النَّفسُ الشَّهوانية، وهي البخار اللَّطيف المنبعث من تجويف القلب الجسمانيِّ الصَّنوبريِّ، ويتشرب بواسطة العروق الصُّوارب إلى سائر أجزاء البدن، وهو الحامل للحياة والحسَّ والحركة الإرادية، وتُسَمَّى عند الحكماء بالروح الحيوانيِّ.

وأما اللَّطائف السَّبع:

فأولها: النَّفسُ النَّاطقة، المُسمَّاة بالأسماء السَّبعة المتقدِّمة، وحقيقتها عند السَّلف يعلمها الله تعالى، وعند غيرهم الجوهر المجرَّد عن المادَّة في ذاته، المقارن لها في أفعاله.

وثانيها: القلب، وهو لطيفة ربَّانيَّة لها تعلُّق بالقلب الجسمانيِّ الصَّنوبريِّ الشَّكل المودع في الجانب الأيسر من الصَّدر.

وثالثها: الرّوح الإنسانيّ، وهو لطيفة إلهية نورانية، مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم، ولا يروم وصلها رائم، ويُسمّيها الحكيم بالعقل الأوّل، ولها أسماء عديدة معروفة عندهم.

ورابعها: السرّ، وهو عندهم لطيفة إنسانية مودعة في القلب كالرّوح في البدن، وهو ألطف من الرّوح ومحلّ المشاهدة كما مرّ.

وخامسها: سرّ السرّ، وحقيقته حقيقة السرّ⁽¹⁾ إلّا أنّه ألطف منه، ورسموه بأنّه اللطيفة المذكورة التي لا اطلاع عليها لغير الحقّ عزّ وجلّ، والسرّ ما لك عليه إطلاع وإشراف.

وسادسها: الخفاء، وهو لطيفة ربّانية مودعة في الرّوح بالقوّة، فلا تحصل بالفعل إلّا بعد ورود الواردات الربّانية لتكون واسطة بين الحضرة والرّوح في قبول تجلّي صفات الربوبية وإفاضة الفيض الإلهيّ على الرّوح.

وسابعها: الإخفاء، وحقيقته حقيقة الخفاء إلّا أنّه ألطف بدرجة، والفرق⁽²⁾ بينهما أنّ الخفاء له علامة يُهتدَى إليه بها والإخفاء ليس له علامة يُهتدَى إليه من جهتها، ولذلك قالوا: «مَعَارِفُنَا بِكُرٍّ لَمْ يَفْتَضَّهَا فِكْرٌ».

وتقريب ذلك⁽³⁾ أنّ هذا الأمر الواحد الرّبانيّ حال كونه في غاية اللّطافة والخفاء يُسمّى بالإخفاء.

(1) نهاية الورقة (114/ظ).

(2) في (هـ) من الفرق.

(3) [ذلك] ساقط من (هـ).

و حال تنزّله درجة واحدة وتكاثفه يُسمّى بالخفاء.

و حال تنزّله درجة ثانية⁽¹⁾ وتكاثفه تكاثفا أقوى من الأوّل يُسمّى
بسرّ السرّ.

و حال تنزّله درجة ثالثة وتكاثفه أكثر ممّا قبله يُسمّى بالسّرّ.

و حال تنزّله درجة رابعة وتكاثفه أكثر ممّا قبله يُسمّى بالروح.

و حال تنزّله درجة خامسة وتكاثفه أكثر⁽²⁾ ممّا قبله يُسمّى
بالقلب.

و حال تنزّله درجة سادسة وتكاثفه أكثر ممّا قبله يُسمّى بالنفس
الناطقة.

إذا علمت هذا عرفت أنّ هذا الأمر الرباني واحد بالذّات متعدد
بالصّفات، وما وراء هذا يضيق عنه نطاق الكلام، وقد كشفنا لك بعض
ما رمزوه، وفتحنا لك بعض ما أغلقوه، لتدخل من الباب وتتنعم في
رياض منازل الأحباب، فإنّك لا تجده سهل التناول في كتاب.
ثم قال:

571 - هَذَا تَذْرِيجُ الْأَسْمَاءِ ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ

572 - أَهْلُ الْجَنَابِ الْأَخْمَى سَادَتْهُنَا الصُّوفِيَا

(1) [يسمى بالخفاء..... درجة ثانية] ساقط من (هـ).

(2) [أكثر] ساقط من (هـ).

الإشارة راجعة لما قدّمه رحمه الله تعالى، والمشار إليه النفوس أو مدلولاتها أو غير ذلك، حرّره السيّد الجرجاني رحمه الله تعالى⁽¹⁾.

وأراد بتدرّيج الأسماء كيفيّة التّنقّل في الأطوار علي سبيل التّقريب والاختصار، فمّن لازم الأذكار انكشفت له عن المغيّبات أستار، وللقوم في ذلك طرق وأسهلها هذه.

وأراد بـ (الْعُلَمَاء) العارفين بالله تعالى وبالنّفوس وعللها لا مطلقاً، لحديث «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»⁽²⁾.

وقوله: (أَهْلُ الْجَنَابِ الْأَخْمَى) صفة للعلماء.

و (الْأَخْمَى) الذي لا يحوم حوله ولا يجترئ عليه غيرهم.
و (سَادَتُنَا) بدل من العلماء.

(1) انظر كتاب التعريفات (ص: 243).

(2) أورده الصغاني في الموضوعات (ص: 35)، وقال الزركشي في التذكرة في الأحاديث المشتهرة (1/129): «قال النووي: ليس بثابت، وقال الإمام أبو المظفر بن السمعاني في القواطع في الكلام على التحسن والتقييح العقلي: هذا لا يثبت عن النبي ﷺ، وإنما هو لفظ محكي عن يحيى بن معاذ الرازي».

وقال الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (1/352): «وقال النووي إنه ليس بثابت، يعني عن النبي عليه الصلاة والسلام، وإلا فمعناه ثابت، فقد قيل: من عرف نفسه بالجهل فقد عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالفناء فقد عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالعجز والضعف فقد عرف ربه بالقدرة والقوة، وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130]، أي جهلها حيث لم يعرف ربها».

و (الصُّوفِيَا) لقب للجماعة التَّارِكِينَ كُلَّ حَظٍّ لِلنَّفْسِ.

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: «هذه التَّسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال للواحد صُوفِيٍّ وللجماعة الصُّوفِيَّة، وَمَنْ يَتَشَبَّهَ بِهِمْ مُتَصَوِّفٌ وللجماعة المتصوِّفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربيَّة قياس ولا استقراء، والأظهر فيه أَنَّهُ كَاللَّقَبِ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ مِنَ الصُّوفِ، فيقال: مُتَصَوِّفٌ لَمَنْ لَبَسَ الصُّوفَ، كما يقال: مُتَقَمِّصٌ لَمَنْ لَبَسَ الْقَمِيصَ، فلذلك وجه، ولكنَّ القوم لم يختصَّوا بلبس الصُّوفِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَى صُفَّةٍ مَسْجَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فالتَّسْبِيحُ إِلَى الصُّفَّةِ لَا تَجِيءُ عَلَى نَحْوِ الصُّوفِيٍّ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مِنَ الصِّفَاءِ، فالتَّسْبِيحُ لَا تَجِيءُ أَيْضًا، فاشتقاقه من الصِّفَاءِ بَعِيدٌ فِي مَقْتَضَى اللَّغَةِ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الصِّفِّ فَكَأَنَّهُمْ فِي الصِّفِّ الْأَوَّلِ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ حَيْثُ الْمَحَاضِرَةُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَالْمَعْنَى صَحِيحٌ وَلَكِنْ اللَّغَةُ تَأْبَاهُ، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ فِي تَعْيِينِهِمْ إِلَى قِيَاسٍ لَفْظٍ وَاسْتِحْقَاقٍ اشْتِقَاقٍ»⁽¹⁾.

وقال محي الدين بن عربي: «التَّصَوُّفُ الْوُقُوفُ مَعَ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا».

وقال الشاذلي: «التَّصَوُّفُ تَدْرِيبُ النَّفْسِ عَلَى الْعِبَادِيَّةِ، وَرَدُّهَا إِلَى أَحْكَامِ الرِّبَوِيَّةِ».

وقد تقدَّم طرف من هذا النَّمط.

(1) الرسالة القشيرية (2/440).

[آداب النقباء]

ولمّا فرغ من الكلام على كيفية تدريج الأسماء، ختم رحمه الله تعالى أرجوزته بآداب النقباء، فقال:

- 573 - خَاتِمَةٌ يَا أَحِبًّا عَلَيْكُمْ بِالنُّقَبَا
574 - أَرْبَعَةٌ وَاجِبَا تُعِينُ الْمُرَبِّيَا
575 - خَادِمِينَ الْفُقَرَا حَضَرًا وَسَفَرَا
576 - طَالِبِينَ الْأُجُورَا مِنْ اللَّهِ مَوْلَايَا

الخاتمة، نسأل الله تعالى حسنها، مشتقة من الختم.

قال الراغب: «الْخَتْمُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

الأول: تأثير الشيء بنقش الخاتم.

والثاني: الأثر الحاصل عن الشيء.

و يتجوز به في الاستيثاق على الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب، وتارة يعتبر فيه بلوغ الآخرة، ومنه ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره»⁽¹⁾.

وهو المراد هنا⁽²⁾.

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 274 . 275).

(2) نهاية الورقة (115/ظ).

وعند أهل الحقيقة: «الْخَتْمُ رجل واحد في كلِّ زمان في العالم، يختم الله به الولاية المحمّدية».

عندهم ختم آخر يختم الله به الولاية العامّة من آدم إلى آخر وليّ، وهو عيسى عليه السّلام، فله عليه السّلام حشران، يحشر في أمة محمّد ﷺ، ويحشر مع الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام.

و(الأجباء) جمع حبيب، والخطاب للمريدين.

و (النُّقَبَاءُ) جمع نقيب، من النّقابة بالكسر، يقال: نَقَبَ على القوم من باب قتل، فهو نَقِيبٌ أي عريف.

ويُلَقَّب به طائفة من الأولياء مخصوصة، وهم الذين تحقّقوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن النّاس فاستخرجوا خفايا الضّمائر لانكشاف السّرائر لهم.

وعدهم اثنا عشر في كلِّ زمان، لا يزدون ولا ينقصون، بعدد بروج الفلك، كلّ نقيب عالم بخاصّيّة برج وما أُودِعَ فيه من الأسرار وما يُعطى للنّزل فيه من الكواكب السيّارة والثّابتة⁽¹⁾.

ولهم علوم الشّرائع المنزّلة، واستخراج خبايا النّفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخدعها، ويعرفون من إبليس ما لا يعرفه من نفسه، وإذا رأى أحدهم وطأة شخص بالأرض علم أهو سعيد أم شقيّ.

(1) ما ذكره الشارح يحتاج إلى برهان من الشرع، ولم يثبت في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ شيء مما قاله.

والمراد بالتَّقْبَاء هنا عرفا: المريدون الذين تدعوا إليهم الحاجة، وهم أربعة، وهم أنصار الأستاذ وأعوانه على طاعة الله تعالى، وبهم يتم النَّظَام.

وخاصَّيتهم خدمة الفقراء سفرا وحضرا، كما صرَّح به المصنَّف رحمه الله تعالى، والقيام بشؤونهم، وحفظ أمورهم مع مضاعفة ثوابهم وأجورهم، وفي الحديث: «خَادِمُ الْقَوْمِ سَيِّدُهُمْ»⁽¹⁾.

تتمة

قوله: (عَلَيْكُمْ بِالتَّقْبَاءِ) إغراء للحاضر، وهو جائز بالاتِّفاق، والخلاف إنّما هو في إغراء الغائب، ف قيل إنّهُ شاذٌّ، والأصحّ أنّه لا شذوذ فيه بدليل قوله ﷺ: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ»، أخرجه البخاري وغيره⁽²⁾.

ومن الأوّل قوله ﷺ: «عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ»⁽³⁾.

(1) سبق تخريجه.

(2) متفق عليه. رواه البخاري (1/415 رقم: 1905)، ومسلم (2/1018 رقم: 1400) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ».

(3) رواه أحمد (22/140 رقم: 14237)، ومسلم (2/1087 رقم: 715)، والترمذي (388/3 رقم: 1086)، والنسائي (6/65 رقم: 3226) عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكِحُ عَلَى دِينِهَا، وَمَالِهَا، وَجَمَالِهَا، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ».

قال الدّماميني: «وقد تعدّى بالباء فيكون بمعنى فعل مناسب لتعدّيها».

وصرّح الرّضي بأنّ الباء في مثله زائدة.

قال: «وإنّها تزداد كثيرا في مفعول أسماء الأفعال لضعفها في العمل، فتعمل بحرف عاده إيصال اللازم إلى المفعول»⁽¹⁾.

واتّفقت كلمتهم على أنّ (عَلَيْكَ) بمعنى الزم، وكذلك (عَلَيْكُمْ)، وهو ظاهر على القول بزيادة الباء وعلى أن الباء للتّعدية، فتقدير الزم غير مستقيم، ولذلك قال الدّماميني «بمعنى فعل مناسب لتعدّيها».

ولم يُقدّر رحمه الله تعالى، ولعلّه يُقدّر (اُكْتَفَ)، ففي الحديث يكون المعنى اكتف بذات الدّين.

وفي كلام الشّيخ⁽²⁾ الإمام رحمه الله تعالى اكتفوا بالنّقباء، ولم أره الآن لعدم تنقيري عليه، مع استقامة ما ذكرناه في التّقدير.

وقوله: (مِنْ اللَّهِ) يتعلّق بـ (طَالِبِينَ)، و (مَوْلَايَا) بدل منه بإشباع ياء النفس للقافية.

وفي تهذيب النووي: «اسم المَوْلى يقع على معان كثيرة، منها الرّبّ، والمالك، والسّيد، والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب،

(1) انظر كلام الرضي والدماميني في حاشية الصبان على شرح الأشموني (296/3).

(2) نهاية الورقة (116/و).

والتابع، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمنعم
عليه، والمعتق⁽¹⁾»⁽²⁾.

وفي تنبيهات القاضي عياض: «أنّه يطلق على العاصب، والقائم
بالأمر، وناظر اليتيم»⁽³⁾.

وقال صاحب الوجوه والنظائر: «إنّه يطلق على الشريك
والتّديم».

(1) [والناصر، ووالمحب،، والمنعم عليه، والمعتق] ساقط من (ط).

(2) تهذيب اللغات والأسماء (196/4).

(3) قال القاضي عياض في التنبيهات (975/2): «المولى في كلام العرب لفظة متصرفة
في معان كثيرة، تكون للمعتق والمعتق ولأبنائهما، وللناصر، ولابن العم،
والقريب، والعاصب، وللحليف، والقائم بالأمر، وناظر اليتيم، والتابع المحب».

قوله:

577 - أَوْلَهَا يَا رَجَالُ نَقِيبُكُمْ لِلنِّعَالِ

578 - نَيْتُهُ فِي الْأَعْمَالِ خَالِصًا مِنَ الرِّيَا

579 - أَدْبُهُ يَا مُرِيدُ خُضُوعُهُ لِلْوَرِيدِ

580 - بِبِشَاشَةٍ تُفِيدُ كَمَرْحَبًا يَا حَيَا

الضمير من (أَوْلَهَا) عائد على ((النُّقَبَاءُ) المتقدم ذكرها، وسلك في ترتيبهم بطريقة التَّرْقِي، فأولُّ النُّقَبَاءِ الأربعة، أي أدناهم منزلة نقيب النعال، وهو مع ذلك أعلاهم معنًى وأقربهم فتحا وسلوكا إذا قام بأداب نقابته ووفى بحقوقها.

و (النِّعَالُ) جمع نَعْلٍ، كَسَهْمٍ وَسِهَامٍ، ويجمع على أَنْعَلٍ كَأَسْهَمٍ.

وفي القاموس: «النَّعْلُ مَا وُقِيَتْ بِهِ الْقَدَمُ مِنَ الْأَرْضِ»⁽¹⁾.

وفي المصباح: «النَّعْلُ الْحِذَاءُ، يعني بوزن كِتَاب، وهي مؤنثة، تطلق على النَّاسُومَةِ.

يقال: نَعَلَ الرَّجُلُ يَنْعَلُ بفتحين إذا لبس النَّعْلَ، وَتَنَعَلَ بِالتَّثْقِيلِ، وَانْتَعَلَ بِالْأَلْفِ، كما يقال: أَنْعَلْتُ الْحُفَّ وَنَعَلْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ نَعْلًا، وهي جلدة على أسفله تكون له كالنَّعْلِ لِلْقَدَمِ.

(1) القاموس المحيط (ص: 1063) مادة: نعل.

والتَّعَلُّ الْأَرْضَ الصَّلْبَةَ الغليظة، ومنه حديث «إِذَا ابْتَلَّتِ النَّعَالُ
فَالصَّلَاةُ فِي الرَّحَالِ»⁽¹⁾»⁽²⁾.

[الإخلاص في خدمة الإخوان]

وآداب نقيب النعال كثيرة، اقتصر الشيخ على أهمها.

فمنها وهو أجَلُّها الإخلاص في ذلك لوجه الله تعالى، لا يريد
جزاء ولا شكورا، «لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ» كما صرح به سيّد الكائنات
ﷺ⁽³⁾.

و «الْأَعْمَالُ صُورٌ قَائِمَةٌ، وَأَرْوَاحُهَا وَجُودٌ سِرٌّ الْإِخْلَاصُ فِيهَا»⁽⁴⁾.

لأنّ الرِّياء شرك خفيّ محبط للعمل، وإلى هذا أشار بقوله: (نَيْتُهُ
فِي الْأَعْمَالِ) إلخ.

(1) قال ابن حجر في تلخيص الحبير (80/2): «لم أره بهذا اللفظ».

وقال ابن الملقن في البدر المنير (419/4): «لم أجده بعد البحث عنه كذلك في
كتاب حديث».

(2) المصباح المنير (613/2) مادة: نعل.

(3) أشار إلى الحديث المتفق عليه في البخاري (9/1 رقم: 1)، ومسلم (1515/3) رقم:
1907) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ،
فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّجُهَا،
فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

(4) هذه من حِكَمِ ابن عطاء الله السكندري، انظر الحِكَم (ص: 106)، وشرح الحكم
للشرنوبلي (ص: 74).

[الخضوع للواردين من الإخوان]

ومنها خضوعه لكلّ وارد عليه من الإخوان، فالوريد فعيل بمعنى فاعل من الورود⁽¹⁾ بمعنى الحضور.

وفي المصباح: «وَوَرَدَ زيدٌ علينا وُرُودًا حضر، ومنه وَرَدَ الكتاب على الإستعارة»⁽²⁾، اهـ.

وفي التّحفة: «ومن آداب نقيب النّعال التّزام الخضوع ليشاكل رتبته، وينوي بهذه الخدمة الوقاية من المكروهات»، اهـ.

[البشاشة في وجه الإخوان والترحيب بهم]

ومنها بشاشته في وجه أخيه، وهي طلاقة الوجه والإقبال على أخيك والضّحك إليه، كما في القاموس⁽³⁾.

وفي التّحفة: «إذا قدم عليه، أي على نقيب النّعال، فقير بشّ في وجهه وتلقاه بالبشر والرحب والسّعة».

وذلك معنى قول المصنّف رحمه الله تعالى: (كَمَرَحَبًا) أهلا، أي صادفت رحبا وسعة، وأتيت قوما أهلا ومكانا واسعا، فابسط نفسك واستأنس ولا تستوحش.

(1) نهاية الورقة (116/ظ).

(2) المصباح المنير (655/2) مادة: ورد.

(3) انظر القاموس المحيط (ص: 585) مادة: بشّ.

وقوله: (يَا) حرف نداء، والمنادى محذوف يدل عليه السياق،
والتقدير يا أخانا.

[حفظ نعال الإخوان]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

581 - وَيَأْخُذُ نَعْلَهُ وَيَطْوِيهِ عَنْدَهُ

582 - يَعْرِفُ رُتْبَتَهُ يَكُنْ لَهُ وَاقِيَا

يعني من آدابه أنه بعدما يقول للوارد عليه من الفقراء: مرحبا
وأهلا بأخي⁽¹⁾ فلان، أو بسيدي فلان، أو بالشيخ فلان، شَكَرَ الله تعالى
سعيكم وتقبل منكم، وأعاني على القيام بواجب حقكم.

يأخذ نعله ويزيل ما عليه ويطويه، ويعرف رتبة الفقراء ليضع نعل
كل واحد مع أهل رتبته.

وقوله: (يَكُنْ لَهُ وَاقِيَا)، أمر بوقاية نعال الفقراء، وهو من أكد
آداب نقيب النُّعَال.

و (وَاقِيَا) اسم فاعل من الْوَقَايَةِ بالكسر، بمعنى الحفظ، يقال:
وَقَانَا الله السَّوءَ، يَقِينَا وَقَايَةً، أي حفظنا.

وَالْوَقَاءُ مثل كِتَابٍ، كُلُّ مَا وُقِيتَ بِهِ شَيْئًا⁽²⁾.

(1) في (ج) يا أخينا.

(2) انظر الصحاح للجوهري (6/2526)، ولسان العرب (15/401) مادة: وقى.

وروى أبو عبيدة والكسائي⁽¹⁾ الفتح في الوقاية والوقاء أيضا⁽²⁾.

ويتولّى حفظ النّعال وصونها بنفسه لتحصيل ثواب ذلك وأجره،
في حالة الاختيار.

وإن عرض له عارض أو دعت ضرورة إلى أمر من الأمور،
فليختر من يخلفه في مقامه من أولي العزم والحزم من الفقراء، ويحثّه
على⁽³⁾ صيانة النّعال وحفظها، ويلزمه بذلك الإلزام التّام، رعاية لكمال
القيام بما التزمه، وإلى هذا أشار الشّيخ رحمه الله تعالى بقوله:

583 - وَإِنْ عَرَضَتْ أَشْغَالٌ أَوْصَى بِحِفْظِ النَّعَالِ

584 - وَإِنْ أَرَادَ الْكَمَالَ اشْتَرَى سَكِينِيَا

585 - يَحْكُ بِهَا الْوَحَالَ مَا عَسَاهُ فِي النَّعَالِ

585 - وَخِرْقَةٌ لِاسْتِعْمَالِ مَسْحِ النَّعَالِ السَّبْتِيَا

و (الأشغال)⁽⁴⁾ جمع شغل.

(1) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي، المعروف بالكسائي، شيخ
أئمة النحو وأحد القراء السبعة، أخذ عن الخليل ويونس بن حبيب وغيرهما، وعنه
أخذ الفراء وخلف وغيرهما، وله عدّة مؤلفات، توفي رحمه الله سنة 189هـ - 805م.
له ترجمة في: تاريخ بغداد (403/11 - 414)، سير أعلام النبلاء (9/131 - 134)،
ووفيات الأعيان (3/295 - 297)، وبغية الوعاة (2/162 - 164).

(2) نظر المصباح المنير (2/669) مادة: وقى.

(3) [على] ساقط من (ج).

(4) [الأشغال] ساقط من (ج) و (ه).

وفي القاموس⁽¹⁾: «الشُّغْلُ بالضَّمِّ وبضمّتين، وبالفتح وبفتحتين⁽²⁾، ضدّ الفراغ، والجمع أَشْغَالٌ وشُغُولٌ»⁽³⁾، اهـ.

وباب فعله نفع، وشُغِلْتُ به بالبناء للمفعول تَلَهَّيْتُ به.

قال الأزهري: «واشْتَغَلَ بأمّره فهو مُشْتَغِلٌ، يعني بالبناء للفاعل»⁽⁴⁾.

وقال ابن فارس: «ولا يكادون يقولون: اشْتَغَلَ يعني بالبناء للفاعل وهو جائز»⁽⁵⁾.

ومن هنا قال بعضهم: اشتغل بالبناء للمفعول ولا يجوز بناؤه للفاعل، لأنّ الافتعال إن كان مطاوعاً فهو لازم لا غير، وتماه في المصباح⁽⁶⁾.

وقوله: (أَوْصَى بِحِفْظِ النَّعَالِ)، جواب الشرط، ومفعول (أَوْصَى) محذوف يدلّ عليه السّياق، أي أوصى غيره، والجارّ والمجرور صلة (أَوْصَى).

وقوله: (وَإِنْ أَرَادَ الْكَمَالَ) إلخ، يريد أنّ نقيب النّعال إذا أراد الكمال في خدمة الفقراء إخوانه، اشترى نحو سكّين يزيل به ما عساه يكون داخل النّعال من وحل ونحوه.

والسكّين آلة معروفة، سُمّي بذلك لأنّه يُسكّن حركة المذبوح.

(1) نهاية الورقة (117/و).

(2) [والفتح وبفتحتين] ساقط من (هـ).

(3) القاموس المحيط (ص: 1018) مادة: شغل.

(4) تهذيب اللغة (8/42) مادة: غشل.

(5) معجم مقاييس اللغة (3/195) مادة: شغل.

(6) انظر المصباح المنير (1/316) مادة: شغل.

وحكى ابن الأنباري⁽¹⁾ فيه التذكير والتأنيث.

وقال السجستاني⁽²⁾: «سألت أبا زيد الأنصاري⁽³⁾ والأصمعي⁽⁴⁾ وغيرهما ممن أدركنا فقالوا: هو مُذَكَّرٌ وأنكروا التأنيث»⁽⁵⁾.

(1) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، من كتبه الزاهر في اللغة، وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، والأمثال، والاضداد، وغريب الحديث وهو أجل كتبه، توفي رحمه الله ببغداد سنة 328هـ - 940م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (3/ 181 - 186)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: 71)، وبغية الوعاة (1/ 212 - 214).

(2) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ثم البصري، المقرئ النحوي اللغوي، كان كثير الرواية عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، عالماً باللغة والشعر والقراءات، تخرج به أئمة، منهم أبو العباس المبرد، له كتاب المذكر والمؤنث، وإعراب القرآن، وكتاب القراءات، توفي رحمه الله سنة 248هـ - 862م. له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (12/ 268 - 270)، ومعجم الأدباء (11/ 263 - 265)، ووفيات الأعيان (2/ 430 - 433)، والوفاء بالوفيات (16/ 10).

(3) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي البصري، النحوي اللغوي الإمام الأديب، غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك، صاحب الشافعي، ومن تلاميذ أبي عمرو بن العلاء والمفضل الكوفي، وشيخ أبي عبيد القاسم بن سلام، له كتاب النوادر في اللغة، توفي رحمه الله سنة 215هـ - 830م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (9/ 78 - 81)، وبغية الوعاة (254/ 254)، معجم الأدباء (3/ 1359 - 1363)، وتهذيب الأسماء واللغات (2/ 235)، ووفيات الأعيان (2/ 378 - 380).

(4) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي الباهلي البصري، الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب ولسان العرب، روى كثيراً من أخبار العرب وأشعارها، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، والشافعي، وله مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب، منها: كتاب الإبل، وخلق الإنسان، والنبات، والأصمعيات، وشرح بعض الدواوين، توفي رحمه الله سنة 216هـ - 831م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (10/ 410 - 420)، وسير أعلام النبلاء (10/ 175 - 181)، ووفيات الأعيان (3/ 170 - 176).

(5) انظر عمدة الكتاب (ص: 123)، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث (ص: 85).

وربّما أنث في الشعر على معنى الشفرة.

وأنشد⁽¹⁾ الفراء⁽²⁾:

بِسَكِينٍ مُؤَثِّقَةِ النَّصَابِ⁽³⁾

ولهذا قال الزّجاج⁽⁴⁾: «السّكّين مذكّر، وربّما أنث بالهاء لكنّه شاذّ غير مختار، ونوّنه أصليّة، فوزنه فعّيل من التّسكين»⁽⁵⁾.

(1) روى أبو الفرج النهرواني في المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي (143/1) بسنده إلى الفراء أنّه قال: «السكين ذكّر وقد أنثت، وأنشد في التّأنيث» قم ذكر البيت.

(2) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي الكوفي، المعروف بالفراء، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، حتى قال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو، أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي، توفي رحمه الله سنة 207هـ - 822م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (146/14) وفيات الأعيان (6/176 - 182)، وسير أعلام النبلاء (10/118 - 121)، ومعجم الأدباء (6/2812 - 2815).

(3) البيت نسبه الصولي في أدب الكتاب (ص: 116) لبعض بني ثعلب، وتماه:

فِي السَّنَامِ غَدَاةٌ قُرٌّ بِسَكِينٍ مُؤَثِّقَةِ النَّصَابِ

وانظر صبح الأعشى (2/496)، ولسان العرب (2/170).

(4) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل البصري، المعروف بالزجاج، لأنّه كان في صباه يخرط الزجاج، أحد أئمة النحو واللغة، أخذ عن المبرد وغيره، وكان بينه وبين ثعلب مناقشات كثيرة، من مؤلفاته: معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، وفعلت وأفعلت، وشرح أسماء الله الحسنى، وغيرها، توفي رحمه الله في بغداد سنة 311هـ - 923م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (6/80 - 93)، وسير أعلام النبلاء (14/360)، ووفيات الأعيان (1/49 - 50)، وبغية الوعاة (1/411 - 413).

(5) انظر صبح الأعشى (2/495)، والمصباح المنير (1/282) مادة: سكن.

وقيل: النون زائدة، فهو فعّلين مثل غسّلين، فيكون من المضاعف.

وقوله: (وَخِرْقَةً) مفعول بفعل محذوف معطوف على الفعلية السابقة، أي اشترى سكّينا وأخذ خِرْقَةً إلخ، بمعنى أنه إذا أراد الكمال جمع بين الأمرين السكّين والخِرْقَةَ، لكمال تنظيف نعال الفقراء.

[معنى النعال السبئية]

و(النَّعَالُ السَّبْيِيَّةُ) بكسر السين، التي لا شعر عليها، سُمّيت بذلك لأن شعرها سُبِتَ عنها أي حُلِقَ وأزِيل، إذ السَّبْتُ لغة القطع، أو سُمّيت بذلك لأنها سُبِتَتْ بالدِّبَاغ، أي لَانَتْ⁽¹⁾.
وقد كان للنبي ﷺ نعلان سبئيان⁽²⁾.

(1) انظر الصحاح للجوهري (250/1)، والقاموس المحيط (ص: 152)، والمصباح الكبير (262/1) مادة سبت.

(2) قال الحافظ العراقي في ألفيته في السيرة النبوة (ص: 88) يصف نعله ﷺ:

وَنَعْلُهُ الْكَرِيمَةُ الْمَضُونَةُ	طُوبَى لِمَنْ مَسَّ بِهَا جَبِينَهُ
لَهَا قَبَالَانِ بِسِيرٍ وَهُمَا	سَبْيِيَّتَانِ سَبَتَا شَعْرَهُمَا
وَطُولُهَا شَبْرٌ وَإِضْبَعَانِ	وَعَرْضُهَا مِمَّا يَلِي الْكَعْبَانِ
سَبْعُ أَصَابِعَ، وَبَطْنُ الْقَدَمِ	خَمْسٌ، وَفَوْقَ ذَا فِئْتٍ فَاعْلَمِ
وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ، وَعَرْضُ مَا	بَيْنَ الْقَبَالَيْنِ اضْبِعَانِ، اضْطَبَّاهُمَا
وَهَذِهِ تِمَثَالُ تِلْكَ النَّعْلِ	وَدَوْرَهَا، أَكْرَمَ بِهَا مِنْ نَعْلِ

قيل: إنها كانت صفراء⁽¹⁾.

وروى الترمذي وغيره عن سعيد المقبري⁽²⁾ أَنَّهُ قَالَ⁽³⁾ لِابْنِ عُمَرَ⁽⁴⁾ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: «رَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعَالَ السَّبْيِيَّةَ».

(1) لم أجد من قال بأنها كانت صفراء، والمروى عن ابن وهب أنه قال في تفسيرها: «هي النعال السود التي لا شعر لها»؛ انظر التمهيد لابن عبد البر (77/21).

(2) في (ج) و (ط) و (هـ) عن أبي سعيد المقبري وهو خطأ.

وسعيد المقبري هو الإمام المحدث الثقة، أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان الليثي مولاهم، المدني المقبري، كان يسكن بمقبرة البقيع، كان من أوعية الحديث، حدث عن أبيه، وعن عائشة، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وأم سلمة، وابن عمر، وأبي شريح الخزاعي، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، روى له الجماعة توفي رحمه الله سنة 125هـ - 743م.

له ترجمة في: تهذيب الكمال (466/10 - 472)، سير أعلام النبلاء (216/5)، وتهذيب الأسماء واللغات (219/1)، وتهذيب التهذيب (38/4 - 40).

(3) القائل ليس سعيد المقبري بل هو عُيَيْدُ بْنُ جُرَيْجٍ كما جاء التصريح بذلك في الحديث عن البخاري قال: «عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ عُيَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ: أَنَّهُ قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا، قَالَ: مَا هِيَ يَا ابْنَ جُرَيْجٍ؟ قَالَ: رَأَيْتُكَ».

(4) هو الصحابي الجليل أو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني، وُلِدَ قبل البعثة بسنة، وأسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر وهو ابن عشر وشهد الخندق وما بعدها، وكان من سادات الصحابة وفضلائهم، شديد الملازمة للسنة، واعتزل في الفتنة عن الناس، توفي رضي الله عنه بمكة سنة 73هـ - 691م، وقيل: سنة 74هـ - 692م.

له ترجمة في: الاستيعاب (950/3 - 953)، وأسد الغابة (236/3 - 241)، والإصابة (181/4 - 188)، والرياض المستطابة (ص: 194 - 196).

قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ⁽¹⁾ ﷺ يَلْبَسُ النَّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ، وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا ⁽²⁾.

والسَّبْتِيَّةُ المَتَّخَذَةُ مِنْ جِلْدِ بَقَرٍ مَدْبُوغٍ مِنَ الْيَمَنِ ⁽³⁾، شعره مُزَالٌ.
قوله:

587 - صِفَاتُهُ حَازِقًا وَفَطِنًا صَادِقًا

588 - إِذَا كَانَ طَارِقًا رُتِبَتْهُ خَلْفِيَا

589 - لِيَحْفَظَ سَفْطَهُمْ يَأْكُلُ فَضْلَتَهُمْ

590 - يَحْمِلُ نِعَالَهُمْ رَاكِبًا أَوْ مَاشِيًا

يعني أَنَّهُ يَنْبَغِي لِنَقِيبِ النَّعَالِ أَنْ يَكُونَ مَتَّصِفًا بِالْحَذَقِ، أَيِ
المَهَارَةِ فِي الْأَعْمَالِ.

يقال: حَذَقَ الرَّجُلُ فِي صِنْعَتِهِ مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَتَعَبَ حَذَقًا، مَهْرٌ
فِيهَا وَعَرَفَ غَوَامِضَهَا وَدَقَائِقَهَا ⁽⁴⁾.

و (حَازِقًا) اسم فاعل خبر لكان المحذوفة مع اسمها، أي صفته
أن يكون حاذقًا.

(1) نهاية الورقة (117/ظ).

(2) رواه الترمذي في كتاب الشمائل المحمدية (ص: 64 رقم: 74) ولم يروه في سننه.
والحديث متفق عليه. رواه البخاري (1/50 رقم: 166)، ومسلم (2/844 رقم: 1187).

(3) في (هـ) باليمن.

(4) انظر المصباح المنير (1/126) مادة: حذق.

و (فَطْنًا) صفة مشبَّهة عطف على سابقه، من الفِطْنَةِ بكسر الفاء،
بمعنى الحذق والعلم بوجه الشيء ودقائقه.

يقال: فَطَنَ للأمر يَفْطُنُ من باب تَعَبَ وَقَتَلَ، فِطْنًا وَفِطْنَةً وَفِطَانَةً
بالكسر في الكلِّ، فهو فَطِنٌ، والجمع فُطُنٌ بضمِّتين، وفَطْنٌ بالضمِّ إذا
صارت الفِطَانَةُ سَجِيَّةً، ويعتدَّى بالتَّضعيف فيقال: فَطَّنْتُهُ للأمر⁽¹⁾.

و (صَادِقًا) معطوف على سابقه بحذف العاطف للوزن.

والصِّدْقُ مطابقة الخبر للواقع في الأقوال، ومطابقة الباطن
للظاهر في الأعمال.

وهو عند أرباب الحقيقة عبارة عن أن لا يكون في أحوالك
شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب.

وثمره اتِّصافه بالحذق والفتانة أن يميِّز⁽²⁾ بين النِّعال ويعرف
أربابها معرفة كمال.

وأشار بقوله: (إِذَا كَانَ طَارِقًا) إلخ، إلى أن من آدابه أيضا أن
تكون رتبته خلف الفقراء إخوانه إذا مشوا، لا يتقدَّم عليهم ولا
يتوسَّطهم، بل يمشي خلفهم.

والمراد بالطَّارِقِ السَّالِكِ الطَّرِيقِ مطلقا ليلا أو نهارا.

يقال: طَرَقْتُ الطَّرِيقَ سلكته، وبابه قَتَلَ، اهـ، مصباح⁽³⁾، لا الآتي
ليلا.

(1) انظر المصباح المنير (477/2)، والقاموس المحيط (ص: 1222) مادة: فطن.

(2) في (ج) و (هـ) ليميز.

(3) المصباح المنير (371/2) مادة: طرق.

وثمره مشيه خلفهم حفظ ما عساه أن يقع منهم من ثوب ونحوه.
ومن آدابه أيضا أكل فضلتهم كما صرّح به المصنّف رحمه الله تعالى.

و (السَّقَطُ) بالكسر والتثنية لغة الساقط مطلقا، وخصّه العرف بالولد المستبين الخلق، وهو غير مراد في كلام المصنّف رحمه الله تعالى، بل المراد ما ذكرناه.

و (السَّقَطُ) بفتحين رديء المتاع⁽¹⁾، ويطلق على الخطيأ في القول والفعل.

وأشار بقوله: (يَحْمِلُ نِعَالَهُمْ) إلخ، إلى أنّ من آدابه أيضا حمل أنعل الفقراء على رقبته أو على الدابة، راكبا كان أو على رجله، مبالغة في الحفاظ ورغبة في تحصيل الأجر.

قال في التحفة: «وينبغي أن يكون له خُرْجٌ»⁽²⁾ ونحوه معدّ لحفظ النّعال إذا كانوا في غير زاويتهم كزيارة أو اجتماع عند أحد، وكم من عمل يحسبه صاحبه يسيرا وثوابه عند الله⁽³⁾ عظيم جليل.

وقوله: (رَاكِبًا) حال من فاعل (يَحْمِلُ)، و (أَوْ) من قوله: (أَوْ مَا شِئًا) بمعنى الواو.

(1) نهاية الورقة (118/و).

(2) الخُرْجُ: من الأوعية، والجمع أَخْرَاجٌ وخِرَاجَةٌ؛ انظر لسان العرب (252/2) مادة: خرج.

(3) في (هـ) عند الله تعالى.

[آداب ساقى الماء]

ولمّا فرغ من الكلام على آداب نقيب النّعال ذكر آداب ساقى الماء، فقال:

591 - وَثَانِيهَا سَاقِي الْمَاءِ آدَابُهُ فِي سَقْيِ الْمَاءِ

592 - تَنْظِيفُ أَوَانِي الْمَاءِ تَطْيِيبُهَا ذَكِيًّا

أي ثاني النّقباء الأربعة المتقدّم ذكرهم ساقى الماء للفقراء إخوانه.

[تنظيف أواني سقى الماء]

وآدابه أيضا كثيرة.

منها ما أفاده قوله: (آدَابُهُ فِي سَقْيِ الْمَاءِ تَنْظِيفُ أَوَانِي) السّقي، تنظيفا ذكيا، وتطيبها تطيبا كذلك ذكيا، ف (ذَكِيًّا) يطلبه كلّ من التّنظيف والتّطيب، فهو صفة لمصدر محذوف، ووزنه فعيل ومعناه تامّ.

قال ابن الجوزيّ في التّفسير: «الذّكاة في اللّغة تمام الشّيء، ومنه الذّكاء في الفهم إذا كان تامّ العقل»⁽¹⁾.

وفعله من باب تَعَبَ وَعَلَا، يقال: ذَكِيَ الشّخص فهو ذَكِيٌّ على فعيل، أي سريع الفهم، وأَمُرٌ ذَكِيٌّ أي تَامٌّ⁽²⁾.

(1) زاد المسير في علم التفسير (511/1).

(2) انظر الصحاح للجوهري (2346/6)، والمصباح المنير (209/1)، ولسان العرب

(103/3)، والقاموس المحيط (ص: 1285) مادة: ذكي.

والظَّاهِر أَنَّ المراد بتطيب الأواني استطابتها لا تضيئها
بالطِّيب، من طَيَّبْتُهُ إِذَا ضَمَّخْتُهُ بِالطِّيبِ.

والاستطابة لغة الاستنجا، يُقال استطاب وأطاب إطابة إذا
استنجد، لأنَّ المستنجد تطيب نفسه بإزالة الخبث عن نفسه، فيكون
في كلامه استعارة لطيفة، فالمراد بالتطيب حينئذ إزالة ما على الأواني
من الدَّرن والوسخ، وهذا الحمل أنسب بحال الفقراء، بخلاف المعنى
الآخر فإنه من شيم المترفَّهين وأبناء الدُّنيا.

وقد رُوي أَنَّ سيِّدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه سألَ
شَرَابًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ، فَجِيءَ لَهُ بِمَاءٍ بَارِدٍ مَمْزُوجٍ بِعَسَلٍ، وَقِيلَ: غَيْرُ
مَمْزُوجٍ بَلْ زُلَالٌ بَارِدٌ، فَلَمَّا جِيءَ بِهِ وَرَأَاهُ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ أَمَرَ بِرَدِّهِ مَعَ
شِدَّةِ عَطْشِهِ⁽¹⁾، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: تَذَكَّرْتُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَذْهَبْتُمْ
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾⁽²⁾»⁽³⁾.

والتَّنْظِيف مصدر المضَعَّف، يقال: نَظَّفَه تَنْظِيفًا فَتَنْظَفُ، إِذَا أزال
منه الوسخ والدَّنَس.

وفي التَّحْفَة: «ومن آداب ساقِي الماء تَنْظِيف الكيزان لشرب
القوم وتطيبها بالروائح الزَّكِيَّة».

(1) نهاية الورقة (118/ظ).

(2) سورة الأحقاف: 20.

(3) رواه أبو داود في الزهد (ص: 102 رقم: 88)، وابن شبة في تاريخ المدينة
(803/3) عن الحسن البصري قال: «أَتَيْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشَرْبَةٍ عَسَلٍ فَقَالَ: مَا
أَنَا بِمُحْتَمِلٍ فَضْلَهَا، إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾».

[نظافة يد الساقى وثيابه]

ومن آدابه ما أفاده قوله:

593 - وَتَنْظِيفُ يَدِهِ تَنْظِيفُ ثِيَابِهِ

594 - يُمَسِّكُ بِيَمِينِهِ قَاعِدًا بِالتَّسْمِيَا

روى الترمذي عن سعد رضي الله تعالى عنه وحسنه⁽¹⁾ قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ»⁽²⁾.

وروى ابن ماجه رحمه الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم: «تَنْظِفُوا، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ نَظِيفٌ»⁽³⁾.

قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ»⁽⁴⁾، أي منزّه عن سمات الحدوث تعالى في ذاته تعالى عن كلّ نقص.

(1) لم يحسنه بل قال: «هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يُضَعِّفُ».

(2) رواه الترمذي (111/5 رقم: 2799) وقال: غريب، والبخاري (320/3 رقم: 1114)، وأبو يعلى (121/2 رقم: 790)، وابن عدي في الكامل (5/3 ترجمة 571)، وابن حبان في الضعفاء (1/279 ترجمة 296)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (2/224 رقم: 1186) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال ابن الجوزي: «لا يصح» وضعفه ابن حجر في المطالب العالية (10/270)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (4/537).

(3) لم يره ابن ماجه في سنته، ورواه الطبراني في الأوسط (5/139 رقم: 8493) والخطيب في تاريخ بغداد (5/143)، عن عائشة رضي الله عنها، قال الهيثمي مجمع الزوائد (5/231): «وفيه نعيم بن مورع وهو ضعيف».

(4) في (هـ) «إِنَّ نَظِيفٌ».

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحِبُّ النَّظَافَةَ»، أي نظافة الباطن بخلوص العقيدة ونفي الشُّرك الجليِّ والخفيِّ، ومجانبة الهوى والأمراض القلبية نحو الغلِّ والحسد والكِبَر وما شاكلها ممَّا تقدّم ذكر بعضه، ونظافة الظاهر بإزالة الأدناس والأوساخ القائمة بالبدن أو الثياب أو الأمكنة كما هو صريح الحديث.

ومفهوم الحديث أنّه تعالى يبغض ضدّ ذلك، بل روى البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ الْوَسِخَ وَالشَّعَثَ»⁽¹⁾.

قال المناويُّ: «الْوَسِخُ الذي لا يتعهّد ثيابه ولا بدنه من الوسخ»⁽²⁾.

وفي المصباح: «الوسخ ما يعلو الثوب وغيره من قلة التّعهّد، وتوسّخت يده تلطّخت بالوسخ»⁽³⁾.

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (168/5 رقم 6226)، قال المناوي في فيض القدير (285/2): «فيه محمد بن الحسين الصوفي وقد سبق أنّه كان وضاعاً، وخالد بن حجاج قال الذهبي في الضعفاء: قال أبو حاتم: كذاب».

ولو استدلّ الشارح بالحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه لكان أحسن، رواه أحمد (142/23 رقم: 14850)، وأبو داود (51/4 رقم: 4062)، وابن حبان (294/12 رقم: 5483)، والبيهقي في الشعب (272/8 رقم: 5813) عن جابر رضي الله عنه قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: «أَمَّا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسْكِنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ أَمَّا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ».

(2) فيض القدير شرح الجامع الصغير (285/2).

(3) المصباح المنير (658/2) مادة: وسخ.

وقوله: (وَتَنْظِيفُ يَدِهِ) عطف على تنظيف أواني الماء، خبر (آدَابُهُ)،
و (تَنْظِيفُ يَدَيْهِ) معطوف أيضا عليه بحذف العاطف للوزن.

[معرفته بآداب الشرب وتعليمها للمريدين]

وأشار بقوله: (يُمْسِكُ بِيَمِينِهِ) إلخ، إلى أنّ من آدابه أن يكون
عارفا بآداب الشرب ليرشد الشارب من إخوانه أو غيرهم، فكما
يُستحبّ لساقي الماء أن يمسك إناء الماء بيمينه كذلك يُستحبّ
للشارب أن يمسكه بيمينه، فإذا أراد الشارب إمساك الإناء بالشمال
أرشده إلى المستحبّ وأمره بأخذه⁽¹⁾ بيمينه.

وبأنّ يشرب قاعدا، وأن يتناول الماء بثلاث جرعات، يتنفس عقب
كلّ جرعة خارج الإناء، مبسما في أوّل كلّ جرعة، ويأتي عقبها بالحمد.
ويُسَنّ بعد الشرب «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ
لَهُ مَخْرَجًا»⁽²⁾، لما رُوِيَ عن أنس رضي الله⁽³⁾ عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ
إِذَا شَرِبَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا»⁽⁴⁾.

(1) نهاية الورقة (119/و).

(2) رواه أبو داود (366/3 رقم: 3851)، والنسائي في الكبرى (308/6 رقم: 6867)،
وابن حبان (23/12 رقم: 5220) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه «كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَى وَسَوَّغَهُ
وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا»، وصححه النووي في الأذكار (ص: 236).

(3) في (هـ) الله تعالى.

(4) متفق عليه. رواه البخاري (62/3 رقم: 5631)، ومسلم (1602/3 رقم: 2028).

وأخرج مسلم من طريق أبي عاصم⁽¹⁾ «إِنَّهُ أَرَوَى وَأَمْرًا وَأَبْرَأُ»⁽²⁾، أي أكثر ريًا.

و (أَمْرًا) بالميم يصير مَرِيئًا، و (أَبْرَأُ) بالهمز أي يُبْرِئُ من الأذى والعطش، فهو أقمع للعطش وأقوى على الهضم وأقل أثرا في برد المعدة وضعف الأعصاب.

وفي حديث أبي هريرة المروي في الأوسط للطبراني بسند حسن «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ، إِذَا أَدْنَى الْإِنَاءَ إِلَى فِيهِ سَمَّى اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا أَخْرَهُ حَمَدَ اللَّهَ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا»⁽³⁾.

(1) في (ج) و (هـ) و (ط) عاصم، والصحيح أبو عصام كما في رواية الحديث.

وهو أبو عصام خالد بن عبيد العتكي البصري التابعي.

ترجم له معظم أهل الجرح والتعديل على أنه راو واحد، وذكروا فيه اختلاف الأئمة في تعديله وتجريحه.

وذهب الذهبي في ميزان الاعتدال (552/4) وابن حجر في تهذيب التهذيب (105/3) إلى أن هناك راويين بنفس الكنية والاسم والنسبة، أحدهما هو الثقة الذي روى له مسلم في صحيحه.

قال الذهبي: «والفرق بينهما يعسر، فالثقة عنده (أي عند مسلم) عن أنس ثلاثة أحاديث، رواها عنه هشام الدستوائي، وشعبة، وعبد الوارث بن سعيد».

انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (447/3)، والضعفاء الكبير للعقيلي (10/2)، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (248/1)، وتهذيب الكمال (125/8).

(2) رواه مسلم (1602/3 رقم: 2028) عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْتَفِسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ أَرَوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرًا»، قَالَ أَنَسُ: «فَأَنَا أَنْتَفَسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا».

(3) رواه الطبراني في الأوسط (257/1 رقم: 840)، والحديث حسن كما قال الشارح.

وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله تعالى عنه ⁽¹⁾ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا» ⁽²⁾.

وحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في مسلم أيضا «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدُكُمْ» ⁽⁴⁾ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ» ⁽⁵⁾.

وعند الإمام أحمد من حديثه «أَنَّهُ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَشْرَبُ قَائِمًا، فَقَالَ لَهُ: قِهِ.

قَالَ: لِمَهُ؟

قَالَ: أَيْسُرُكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الْهَرُ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: قَدْ شَرِبَ مَعَكَ مَنْ هُوَ شَرُّ مِنْهُ، الشَّيْطَانُ» ⁽⁶⁾.

(1) [تعالى] ساقط من (ط) و (ه).

(2) رواه مسلم (1600/3 رقم: 2024).

(3) [تعالى] ساقط من (ط).

(4) كذا أورده الشارح، والذي في مسلم «أَحَدٌ مِنْكُمْ».

(5) رواه مسلم (1601/3 رقم: 2026).

(6) رواه أحمد (381/13 رقم: 8003)، والبزار (303/15 رقم: 8823)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (347/5 رقم: 2102)، والبيهقي في شعب الإيمان (109/5 رقم: 5981).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (79/5): «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد ثقات».

وقد سلك الأئمة في هذا الحديث مع ما ظاهره معارضته مسالك، أحسنها حمل أحاديث التَّهْيِ على كراهية التَّنْزِيهِ، وأحاديث الجواز على بيانه.

وقيل: التَّهْيِ عن الشُّرْب قائما هو من جهة الطَّبِّ مخافة وقوع ضرر، فإنَّ الشُّرْب قاعداً أمكن وأبعد من السَّيْرِف وحصول وجع الكبد والحلق، وقد لا يأمن منه من شرب قائما، فلذلك استحَبَّ القعود.

[تهئية أباريق الاستنجاء والوضوء للإخوان]

قوله:

- 595 - وَيُقَيِّدُ الْإِبْرِيْقُ لِلِاسْتِنْجَا يَا رَفِيقُ
596 - وَالْوُضُوءُ بِالتَّحْقِيقِ وَلِلشُّرْبِ الْآنِيَا
597 - لَا يَمْحَطُ عَنْهُمْ لَا يَبْضُقُ لَدَيْهِمْ
598 - وَيَضَعُ بَيْنَهُمْ عِنْدَ الْأَكْلِ الْآنِيَا

يعني أنَّ من آدابه أيضا أن يهيئ إبريقا لاستنجاء الفقراء إخوانه أو غيرهم ممَّن يحضرهم، والوضوء لمن أراد، ولا يمنعه من أحد، ولغسل الأيدي قبل الطعام وبعده، ويهيئ الكوز للشرب، ولذلك⁽¹⁾ أشار بقوله: (وَلِلشُّرْبِ الْآنِيَا).

(1) نهاية الورقة (119/ظ).

وَأَلَفَ (الْأَيْنَا) مَبْدَلَةً مِنْ تَاءِ التَّائِيثِ لِلْقَافِيَةِ.

وفي المصباح: «وَالْإِنَاءُ وَالْأَيْنَةُ الْوِعَاءُ وَالْأَوْعِيَةُ وَزُنًا وَمَعْنَى،
وَالْإِبْرِيْقُ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ وَالْجَمْعُ الْأَبَارِيْقُ»⁽¹⁾، اهـ.

[تَرْكُ الِاسْتِنْشَارِ بِحَضْرَةِ الْإِخْوَانِ]

ومن آدابه أيضاً أن لا يستنثر بحضرتهم، والاستنثار الامتخاط،
وهو إخراج المخاط أي الماء السائل من الأنف.
وإنما نهى عن ذلك لإستهجانه واستقذاره بين يدي إخوانه،
وربما تنفر النفس من تناول الماء من يد فاعله.

[تَرْكُ الْبِصَاقِ بِحَضْرَةِ الْإِخْوَانِ]

وكذلك من آدابه أن لا يبصق لديهم للعلّة السابقة، لأنّ كلّ ذلك
مرغوب عنه ومخلّ بالنّظافة المطلوبة.
و (البِصَاقُ) كُغْرَابٌ، ماء الفم إذا خرج منه، ومادام فيه فهو
ريق⁽²⁾، وصّادُهُ مُبْدَلَةٌ مِنَ الزَّايِ⁽³⁾.

وفي المصباح: «بَزَقَ يَبْزُقُ مِنْ بَابِ قَتَلَ، بُزَاقًا، بِمَعْنَى بَصَقَ وَهُوَ
إِبْدَالٌ مِنْهُ»⁽⁴⁾، اهـ.

(1) المصباح المنير (28/1) مادة: أنى.

(2) انظر الصحاح للجوهري (4/1450)، ولسان العرب (1/868) مادة: بصق.

(3) قال الزبيدي في تاج العروس (25/83): «البِصَاقُ، كُشْرَابٌ، وَكَذَا الْبُسَاقُ، وَالْبُزَاقُ،
ثَلَاثُ لُغَاتٍ، أَفْصَحُهُنَّ بِالْصَادِ».

(4) المصباح المنير (48/1) مادة: بزق.

[وضع أكواب الماء والأوعية عند الأكل]

ومن آدابه وضع كَيْزَانِ الماء وأوعيته بين إخوانه في حال⁽¹⁾ أكلهم، خشية أن يَغْصَّ أحدهم فلا يجد الماء قريبا منه.
و ألف (الأَوْعِيَا) مبدلة من تاء التَّأْنِيثِ.

[القيام بخدمة الإخوان عند أكلهم]

ومن آدابه ما أفاده قوله:

599 - وَاقِفْ بِرُؤُوسِهِمْ غَاسِلٌ لِثِيَابِهِمْ

600 - بَاشِشٌ فِي وُجُوهِهِمْ دَاعِي لَهُمْ رَبِّيَا

يعني إن أكلوا فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عليه ذلك، جاعلا وعاء الماء بينهم كما مرّ، أو رافعا له بيده، ممدّا به من احتاجه من الآكلين أو غيرهم.

[غسل ما أصيب من ثياب الإخوان عند الأكل]

ومن آدابه ما أشار إليه بقوله: (غَاسِلٌ لِثِيَابِهِمْ)، يعني إن تدنّسوا فَإِنَّهُ ينبغي له أن يتولّى غسل ثياب الفقراء إخوانه، لتحصيل الأجر العظيم والثواب الجسيم.

واللّام في قوله: (لِثِيَابِهِمْ) زائدة في المفعول زيادة غير مقيسة بل لضرورة الوزن.

(1) [في حال] ساقط من (هـ) .

[البشاشة في وجوه الإخوان]

ومن آدابه أن لا يعبس في وجه كل من ورد من إخوانه، وهو معنى قوله: (بَاشِشٌ فِي وُجُوهِهِمْ).

يعني متى أقبل الفقراء وجب على ساقى الماء أن يتلقاهم بوجه طَلِقٍ، لِيُدْخَلَ عَلَيْهِمُ السَّرورُ بذلك، ولا يعبس في وجه فقير ولا ينهره⁽¹⁾.

وقوله: (بَاشِشٌ فِي وُجُوهِهِمْ) من البشاشة، وهي طلاقة الوجه، والعطف في المسألة، والإقبال على أخيك والضحك إليه، وفرح الصديق بالصديق، كما في القاموس⁽²⁾.

[الدعاء للإخوان بعد الشرب]

ومن آدابه⁽³⁾ أيضا أن يدعو لأخيه بعد الشرب بقوله: «هنيئا لك يا أخي، جعله الله لك صحّة وعافية»، ونحو ذلك ممّا فيه تطيب خاطر وحصول الأُنس ودفع الوحشة، وهو معنى قوله: (دَاعِي لَهُمْ رِبِّيًّا).

أخرج عبدالرزاق عن ابن جريج قال: «أُخْبِرْتُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَبُولُ فِي قَدَحٍ مِنْ عِيدَانٍ ثُمَّ يُوضَعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَجَاءَ فَإِذَا الْقَدَحُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَرْأَةٍ يُقَالُ لَهَا بَرَكَهٌ كَانَتْ تَخْدُمُ أُمَّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى⁽⁴⁾ عَنْهَا جَاءَتْ مَعَهَا مِنَ الْحَبَشَةِ: أَيْنَ الْبُولُ الَّذِي كَانَ فِي الْقَدَحِ؟

(1) يدل عليه ما رواه مسلم (4/2026 رقم: 2626) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال

لي النبي ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ».

(2) انظر القاموس المحيط (ص: 585) مادة: بَشَّ.

(3) نهاية الورقة (120/و).

(4) [تعالى] ساقط من (ط).

فَقَالَتْ: شَرِبْتُه.

قَالَ لَهَا ﷺ: صِحَّةٌ يَا أُمَّ يُوسُفَ، وَكَانَتْ تُكْنَى أُمَّ يُوسُفَ، فَمَا مَرَّ بِهَا حَدَثٌ غَيْرَ مَرَضٍ مَوْتِهَا»⁽¹⁾، اهـ، وذلك ببركة دعائه ﷺ.

و (الصِّحَّةُ) بكسر الصاد حالة طبيعِيَّة تجري الأفعال معها على المجرَّد الطَّبِيعِي، وهل بينها وبين المرض واسطة أم لا؟ انظر الحكمة والطب.

وقد اسْتَعِيرَتِ الصِّحَّةُ للمعاني، فقليل: صَحَّتِ الصَّلَاةُ إِذَا أَسْقَطْتَ الْقَضَاءَ، وَصَحَّ الْعَقْدُ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ أَثَرُهُ، وَصَحَّ الْخَبَرُ إِذَا طَابَقَ الْوَاقِعَ، وَبَابُهُ ضَرَبَ.

(1) اللفظ الذي أورده الشارح لا يوجد في مصنف عبد الرزاق، وقد ذكره الحافظ ابن الملقن في البدر المنير (481/1) كما ذكره الشارح هنا نقلاً عن الآيات البينات لابن دحية، وأورده كذلك الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (171/1)، وسنده منقطع فإن ابن جريج لم يسنده.

وجاء الحديث من طريق آخر رواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (6/121 رقم: 3342)، والطبراني في الكبير (24/205 رقم: 527)، والبيهقي (7/106 رقم: 13406) من طريق حجاج بن محمد عن ابن جُرَيْجٍ عن حُكَيْمَةَ بنتِ أُمِّمَةَ عن أُمِّهَا أُمِّمَةَ قَالَتْ: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ مِنْ عِيدَانٍ يَبُولُ فِيهِ، وَيَضَعُهُ تَحْتَ سَرِيرِهِ فَقَامَ فَطَلَبَ فَلَمْ يَجِدْهُ فَسَأَلَ فَقَالَ: أَيْنَ الْقَدَحُ؟ قَالُوا: شَرِبْتَهُ بَرَّةُ خَادِمٍ أُمَّ سَلَمَةَ الَّتِي قَدِمَتْ مَعَهَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ احْتَطَرْتُ مِنَ النَّارِ بِحِطَارٍ»، وابن جريج مدلس وقد صرح بالتحديث في رواية النسائي المختصرة (1/31 رقم: 32)، والحديث صححه الحاكم في المستدرک (1/272 رقم: 593) ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان (4/274 رقم: 1426)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (1/157).

قال الشَّهاب الخفاجي⁽¹⁾ رحمه الله تعالى: «وفي قوله ﷺ: «صِحَّةٌ» ما يدلّ على أنّ الدَّعاء بعد الشَّرب سُنَّة لا بدعة عامَّة، وحكمته أنّ الأكل والشَّرب يُخشى منهما السَّقم ونحوه، فلذلك دعا به ﷺ»، وفي ذلك قيل:

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

[أوقات سقي الإخوان]

وقوله:

601 - وَيَسْقِيهِمْ يَا فَتَى فِي وَقْتَيْنِ ثَبَتَا

602 - قَبْلَ الذِّكْرِ تَارَةً وَتَارَةً فِي التَّغْذِيَا

يريد رحمه الله تعالى أنّ من آداب ساقى الماء أن يمرّ بالماء على الفقراء في وقتين:

أحدهما: قبل افتتاح الذِّكر وانتظام مجلسه.

(1) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، قاضي القضاة، وصاحب التصانيف منها شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، وطراز المجالس، ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وحاشية على تفسير البيضاوي، وغيرها، وله شعر كثير، توفي رحمه الله سنة 1069 هـ. 1659م.

له ترجمة في: خلاصة الأثر (1/331 - 342)، وفهرس الفهارس (1/377)، والأعلام (1/238)، معجم المؤلفين (2/138).

وثانيهما: عقب الأكل وعند الفراغ منه⁽¹⁾ أو قبله، فقد تدعو الضرورة إليه لعارض شدة عطش أو نحوه.

وكذا إذا كان الذكر قائما ودخل فقير عرض عليه الماء، ولا يسقي أحدا حال الذكر ولا⁽²⁾ عقبه.

[البدء في السقي بالأيمن فالأيمن]

ومن آدابه أن يتدئ بمن على يمين الشيخ ويختم بمن على يساره.

أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه⁽³⁾ «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بَلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وَعَنْ شِمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَشَرِبَ ﷺ ثُمَّ أَعْطَى ﷺ الْأَعْرَابِيَّ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: قَدِّمُوا الْأَيْمَنَ فَلَايْمَنَ»⁽⁵⁾.

(1) [منه] ساقط من (ج) و (ط).

(2) نهاية الورقة (120/ظ).

(3) [تعالى] ساقط من (ط).

(4) [تعالى] ساقط من (ط).

(5) متفق عليه. رواه البخاري (513/1 رقم: 2352)، ومسلم (1603/3 رقم: 2029) ولفظه عندهما عن أنس رضي الله عنه أَنَّهَا خُلِبَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ دَاجِنٌ، وَهِيَ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَشِيبَ لَبْنُهَا بِمَاءٍ مِنَ الْبُئْرِ الَّتِي فِي دَارِ أَنَسٍ، فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقَدَحَ، فَشَرِبَ مِنْهُ حَتَّى إِذَا نَزَعَ الْقَدَحَ مِنْ فِيهِ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ عُمَرُ وَخَافَ أَنْ يُعْطِيَهُ الْأَعْرَابِيَّ: أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَكَ، فَأَعْطَاهُ الْأَعْرَابِيَّ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْأَيْمَنَ فَلَايْمَنَ».

وقد كَانَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يُحِبُّ التَّيْمَانَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَجَمِيعِ الْأُمُورِ⁽¹⁾، لما شَرَّفَ الله تعالى به أهل اليمن.

وفي الحديث المذكور بيان استحباب التيامن⁽²⁾ في كُلِّ ما كان⁽³⁾ من أنواع الإكرام، وأنَّ الأيمن في الشُّرب ونحوه يُقدِّم وإن كان صغيرا أو مفضولا، وأما تفضيل الأفاضل الكبار فهو عند التساوي في باقي الأوصاف، اهـ.

[عدم تخطي رقاب الإخوان أو منع الماء عنهم]

ومن آدابه أيضا أن لا يتخطى رقاب الفقراء، ولا يمنع الماء من أحد، جليلا كان⁽⁴⁾ أو حقيرا، صغيرا أو كبيرا، من إخوانه أو غيرهم، اهـ. و (التَّغْذِيَةُ) مصدر غَذَّيْتُهُ بالتثقيل، مبالغة في غَذَوْتِهِ باللبن بالتخفيف، أَغْذَوْهُ فَاعْتَدَى بِهِ.

والغِذاء كالكِسَاء، ما به نماء الجسم وقوامه، يقال: غَذَاهُ الطَّعام يَغْذُوهُ غُذْوًا، كَعَلَاهُ يَغْلُوهُ غُلْوًا، إذا نجع فيه وكفاه. وألف (التَّغْذِيَا) مبدلة من تاء التأنيث للقافية. وهذا ما يتعلق بآداب ساقى الماء.

(1) أشار إلى الحديث المتفق عليه عند البخاري (51/1 رقم: 168)، ومسلم (226/1 رقم: 268) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيْمَانُ، فِي تَغْلِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ».

(2) [في الأكل والشرب بيان استحباب التيامن] ساقط من (هـ).

(3) في (هـ) مكان.

(4) [كان] ساقط من (هـ).

[نَقِيبُ السَّمَاطِ]

وأما آداب نقيب السَّمَاط، فقد أشار إليها بقوله:

603 - ثَالِثُ نَقِيبِ السَّمَاطِ أَدْبُهُ بِلَا تَفْرَاطُ

604 - حَازِقُ فَاظِنٍ لَا مَعِيَاظُ نَاشِطٌ زَاهِدٌ ذَكِيَا

أي ثالث النقباء نقيب السَّمَاط.

في المصباح: «السَّمَاطُ وَزَانُ كِتَابٍ، الْجَانِبُ»⁽¹⁾.

وفي القاموس: «وَسِمَاطُ الْقَوْمِ بِالْكَسْرِ صَفْهُمُ، وَمِنَ الْوَادِي مَا بَيْنَ صَدْرِهِ وَمُنْتَهَاهُ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا يُمَدُّ عَلَيْهِ، وَيَجْمَعُ عَلَى سُمُطٍ.

سَمَطْتُ الْجَدْيَ سَمُطًا مِنْ بَابِي قَتَلَ وَضَرَبَ، نَحَيْتُ شَعْرَهُ بِالْمَاءِ الْحَارِّ، فَهُوَ سَمِيطٌ وَمَسْمُوطٌ»⁽²⁾.

والمراد هنا ما يُمدّ عليه الطعام من أديم أو غيره.

وقوله: (بِلَا تَفْرَاطُ) يعني⁽³⁾ بدون إسراف ومجاوزة حدّ.

[آدَابُ نَقِيبِ السَّمَاطِ]

وآداب نقيب السَّمَاط⁽⁴⁾ كثيرة، اقتصر المصنّف رحمه الله تعالى على المهمّ منها، فذكر أنّ من آدابه أن يكون حذقا فطنا، كساقى الماء كما تقدّم.

(1) المصباح المنير (288/1) مادة: سمط.

(2) القاموس المحيط (ص: 672) مادة: سمط.

(3) في (هـ) بلا إفراط أي.

(4) نهاية الورقة (121/و).

وإنما شرط فيه ذلك لِيُنْزَلَ الفقراء منازلهم وقت الإطعام،
وَيُرْتَبِّهِمْ على أكمل نظام، ويأتي الأمور من أبوابها، ويتقنها في بدئها
وختامها.

و (حَازِقٌ) اسم فاعل من الحَذَقِ.

في القاموس: «حَذَقَ الصَّبِيُّ الْقُرْآنَ أَوْ الْعَمَلَ، كَضَرَبَ وَعَلِمَ،
حَذَقًا وَحِذَاقًا⁽¹⁾ وَحِذَاقَةً، بكسر الكل⁽²⁾، والحِذَاقَةُ بالكسر الاسم تَعَلَّمَهُ
كُلَّهُ، وَمَهَرَ فِيهِ»⁽³⁾.

[خفض الصوت وخفة العمل]

ومن آدابه أن لا يكون كثير الصِّيَاح، كما أفاده قوله رحمه الله
تعالى: (لَا مِغْيَاطَ)، وفي القاموس «التَّغْيِطُ الصِّيَاحُ»⁽⁴⁾.

ومن آدابه أن يكون ناشطاً أي خفيفاً مسرعاً في عمله كبسط
السِّمَاط ونحوه.

يقال: «نَشِطَ فِي عَمَلِهِ يَنْشِطُ مِنْ بَابِ تَعَبَ، خَفَّ وَأَسْرَعَ، فَهُوَ
نَشِيطٌ»، اهـ، مصباح⁽⁵⁾.

(1) [وَحِذَاقًا] ساقط من (هـ).

(2) عبارة القاموس: «حَذَقًا وَحِذَاقًا وَحِذَاقَةً، وَيُكْسَرُ الْكُلُّ»، أي يصح فيه الفتح
والكسر، لما قدّمه أنه من بابي ضَرَبَ وَعَلِمَ.

(3) القاموس المحيط (ص: 873) مادة: حذق.

(4) القاموس المحيط (ص: 679).

(5) المصباح المنير (606/2) مادة: نشط.

وفي القاموس: «نَشِطَ كَسَمِعَ، نَشَاطاً بالفتح، فهو ناشِطٌ، طَابَتْ
نَفْسُهُ لِلْعَمَلِ وَغَيْرِهِ»⁽¹⁾.

فقوله: (أَدَبُهُ) مبتدأ خبره (حَازِقٌ)، و (فَاطِنٌ) صفة مشبهة معطوف
على الخبر بحذف العاطف، و (لَا مَغِيَاظٌ) مثله.

و (نَاشِطٌ) اسم فاعل عَظِفَ على الخبر أيضا بحذف العاطف، و
(زَاهِدٌ) و (ذَكِيٌّ) كذلك.

ويصح أن تكون أخبارا متعدّدة على حدّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ﴾⁽²⁾ ذُو الْعَرْشِ ﴿الْآيَةُ (2)﴾.

[مُعِينٌ نَقِيبُ السَّمَاءِ]

قوله:

605 - وَلَا بَأْسَ بِمُعِينٍ سَاقِي الْمَآيَا سَامِعِينَ

606 - لِلْأَوَانِي وَاضِعِينَ يَقْرَأُ الصَّمَدِيَا

نَبّه رحمه الله تعالى بذلك على أنّه ينبغي لنقيب السّماء أن يتّخذ
معينا معه، يستعين به على مآرب الإطعام وشؤونه، موافقا له في
حركاته وسكونه، وكونه ساقِي الماء أولى، لمساواته له في القيام على
رؤوس الفقراء زمن الإطعام كما مرّ في آداب ساقِي الماء، ويأتي في

(1) القاموس المحيط (ص: 689) مادة: نشط.

(2) سورة البروج: 14 - 15.

آداب نقيب السّماط قريبا إن شاء الله تعالى، ومشاركته أي في وضع الأواني بين يدي الفقراء حين الأكل، فساقى الماء يضع أنية الشّراب ونقيب السّماط يضع أوعية الطّعام، كما دلّ عليه قوله رحمه الله تعالى: (لِلأَوَانِي وَاضِعِينَ).

وإطلاق صيغة الجمع على الاثنين شائع سائغ جَوَّزَه بعض الأصوليين، وصرّح الزّمخشري وغيره بأنّ أقلّ الجمع اثنان، وهذا على أنّه أراد بـ (وَاضِعِينَ)⁽¹⁾ ساقى الماء ونقيب السّماط فقط، وإن أراد بواضعين من ذكر مع من يعينهما فلا خفاء حيثنذ في تخريجه على الرّاجح.

[نظافة نقيب السّماط وقراءته سورة الإخلاص]

قوله: (يَقْرَأُ الصّمَدِيَا).

في التّحفة: «من آداب نقيب السّماط أن يكون نظيفا، لحديث «تَنْظِفُوا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ نَظِيفٌ»⁽²⁾، وقد مرّ.

وأن يكون طيّب الأخلاق، نظيف الأواني، يحسن الطّعام بما يليق به ويناسبه، فإذا أراد وضع الطّعام على السّماط قرأ الصّمدية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (1)﴾⁽³⁾ بالتمام، لأنّ قراءتها تطرد الشّيطان وتُحَصِّلُ البركة في الطّعام.

(1) نهاية الورقة (121/ظ).

(2) سبق تخريجه.

(3) سورة الإخلاص: 1.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى⁽¹⁾ عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَرَّةً بُورِكَ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ بُورِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثًا بُورِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَنْ مَعَهُ»⁽²⁾.

[وضع الأواني على نمط واحد من غير تخصيص أحد بشيء]

قوله:

607 - إِذَا وَضَعَ الطَّعَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ قَامَ

608 - وَقَرَأَ بِالتَّمَامِ قُرَيْشًا بِالسِّرِّيَا

يريد رحمه الله تعالى أنه إذا أراد وضع الطعام بسط السِّمَاط بين يدي الفقراء، قاصدا بذلك تعظيم نعمة الله تعالى، ثم بعد ذلك يضع الأواني متوالية على نمط واحد وهيئة متّحدة، ولا يخصّص أحدا بشيء، بل يكون الحاضرون كلّهم عنده بمنزلة واحدة، لا فضل لشهيرهم على خميلهم ولا لشريفهم على وضيعهم.

(1) [تعالى] ساقط من (ط).

(2) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (190/15)، والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (330/10) عن أنس رضي الله عنه، وفي سننه محمد بن مروان وهو السدي الصغير، قال أبو حاتم: «هو ذاهب الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه البتة»، وقال ابن حبان: «كان ممن يروي الموضوعات عن الإثبات، لا يحل كتب حديثه». ورواه المستغفري في فضائل القرآن (716/2 رقم: 1070) من طريق آخر، وفيه أبو يعقوب إسحاق بن بشر بن مقاتل الكاهلي الكوفي، قال أبو زرعة عنه: «كان يكذب، يحدث عن مالك وأبي معشر بأحاديث موضوعة رأيتها بالكوفة».

وإذا أتمّ وضع الطّعام قام على رؤوسهم وقال: كلوا ما حضر لكم باسم الله، ومكث واقفا على رؤوسهم وقرأ سورة قريش سراً مرّة واحدة، قاصدا بذلك إذهاب ضرّ المأكول عنهم⁽¹⁾.

روى التّميمي رحمه الله تعالى: «مَن قرأها على طعام أظهر الله منفعتة وأذهب مضرّته».

[دعاء نقيب السّماط للآكلين]

قوله:

609 - ثُمَّ يَدْعُو فِي سِرِّهِ بَرَكَاتِ طَعَامِهِ

610 - مُعِينًا لِبَطَاعَتِهِ صِحَّةً وَعَافِيَا

يعني أنّ من آداب نقيب السّماط أن يدعو للآكلين حين قيامه على رؤوسهم، بعد فراغه من قراءة سورة قريش والفتحة سرّاً، بإنزال البركة في الطّعام، وأن يجعله الله تعالى معينا لهم على طاعته، فإنّ الأكل وإن كان مباحا فقد يصير مندوبا مثابا عليه إذا نوى الآكل التّقويّ به على العبادة⁽²⁾.

(1) في (ط) عنه.

(2) قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين (372/4): «قال بعض العارفين من السلف: «إِنِّي أَسْتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ، حَتَّى فِي أَكْلِي وَشُرْبِي وَنَوْمِي وَدُخُولِي إِلَى الْخَلَاءِ»، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين، فمن قصده من الأكل التقوي على العبادة، ومن الوقاع تحصين دينه وتطبيب قلب أهله والتوصل به إلى نسل صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد ﷺ، كان مطيعا بأكله ونكاحه، وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة، ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله».

فينبغي لنقيب السّماط أن يدعو لهم بأن⁽¹⁾ يجعله الله تعالى صحّة وعافية وقوّة على القيام بعبادته تعالى التي خلق الإنسان لها، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْحِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (٥٧)⁽²⁾، ولا تستقيم العبادة إلاّ بسلامة البنية، ولا تتحقّق السلامة إلاّ بالغذاء، ذلك تقدير العزيز العليم.

وقوله: (بَرَكَه) مضاف لمصدر محذوف تقديره حصول بركة طعامه، حُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وألف (عَافِيَا) مبدلة من هاء التّأنيث للقافية.

[جمع ما فضل من الطعام]

قوله:

611 - إِذَا تَمُّوا أَكْلَهُمْ لَعِقَ فَضَلَّتَهُمْ

612 - ذَاكَ بِحَضْرَتِهِمْ وَقَرَأَ الْأَذْعِيَا

يريد رحمه الله تعالى أنّ من آدابه أيضا، إذا فرغ الفقراء من الأكل ورُفِعَت أوعية الطّعام وبقي فيها شيء من الطّعام لعق منه بحضرتهم، قاصدا بذلك التّبرّك بهم وإظهار الشّرف بخدمتهم، لقوله ﷺ: «خَادِمُ الْقَوْمِ سَيِّدُهُمْ»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (122/و).

(2) سورة الذاريات: 56 - 57.

(3) سبق تخريجه.

ومن آدابه أن يجمع ما يفضل من الطَّعام ويأكله مع نقيب النَّعال وساقِي الماء.

وفي الحديث: «سُوْرُ الْمُؤْمِنِ شِفَاءٌ»⁽¹⁾.

ومن آدابه، إذا أراد طَيَّ السَّماط بعد تمام الأكل دعا لبازل الطَّعام وآكله.

وفي التَّحفة: «إذا أراد طَيَّ السَّماط قال: أخلف الله على باذله وآكله، وجعل البركة فيه، اللَّهُمَّ يا سابع النِّعم، يا دافع النِّقم، يا مَنْ يُطْعِمُ ولا يُطْعَم، اجعل طعامنا هذا قوَّةً وبلاغاً وصحَّةً، وعافيةً وشفاءً، ونوراً وشفاءً، ونجناً من تبعته في الدُّنيا والآخرة، واجعله رزقك الذي ترزقه»⁽²⁾ من تشاء بغير حساب، يا أرحم الرّاحمين، آمين، والحمد لله ربِّ العالمين».

(1) قال العجلوني في كشف الخفاء (498/1): «ليس بحديث، ولكن معناه صحيح».

يشهد له ما في البخاري (86/3 رقم: 5745)، ومسلك (1724/4 رقم: 2194) عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: «بِسْمِ اللَّهِ، تُزْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَغَضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا».

أما ما يرويه الخطيب في تاريخ بغداد (399/6)، والديلمي (636/3 رقم: 5992)، وابن الجوزي في الموضوعات (40/3) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ التَّوَضَّعَ أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ مِنْ سُوْرِ أَخِيهِ»، ففيه نوح بن أبي مريم، قال مسلم والدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحل الاحتجاج به».

(2) في (ط) ترزق به.

و (لَعَقَ) من باب تَعَبَ، لَعَقًا، مثل فَلَسَ، أَكَلَ بِإِضْبَعٍ.
وفي القاموس: «لَعَقَهُ كَسَمِعَهُ، لَحِسَهُ»⁽¹⁾.

وَأَلَفَ (الْأَذْعِيَا) مبدلة من هاء التَّائِيث كَنظَائِرِهِ.

إذا علمت ذلك عرفت أنَّ نقيب السَّمَاط يتعيَّن عليه القيام بوظيفة
الدَّعاء في وقتين، حين قيامه على رؤوس الآكلين بعد فراغه من وضع
أوعية الطعام وشروعهم في الأكل، وبعد الفراغ منه زمن طَيِّهِ السَّمَاط.

[إِشَارَةُ النَّقِيبِ لِإِخْوَانِهِ بِالطَّعَامِ]

قوله:

613 - لَا يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ وَضْعِهِ لِلْأَنَامِ

614 - سِوَى ذَوْقٍ يَا غُلَامَ لَا يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ

يعني من آدابه أيضا أن يكون ذا همّة ومروءة وورع، لا يؤثر
نفسه بشيء من الطَّعام ولو كان⁽²⁾ محتاجا إليه، بل يؤثر إخوانه على
نفسه ولو كان به خصاصة، لينتظم في سلك الذين أثنى الله تعالى
عليهم بكلامه القديم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ﴾⁽³⁾.

(1) القاموس المحيط (ص: 922) مادة: لعق.

(2) نهاية الورقة (122/ظ).

(3) سورة الحشر: 9.

قال ابن عطاء الله: «يُؤْثِرُونَ بِهِ جُودًا وَكَرَمًا وَلَوْ كَانَ⁽¹⁾ بِهِمْ خَصَاصَةٌ جُوعٌ وَفَقْرٌ».

وقال يوسف بن الحسين⁽²⁾: «مَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ مُلْكًا لَشَيْءٍ لَا يَصَحُّ لَهُ الْإِثَارُ، لِأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ أَحَقَّ بِالشَّيْءِ بِرُؤْيَا مُلْكِهِ، وَإِنَّ الْإِثَارَ لَمَنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لِلْحَقِّ⁽³⁾ تَعَالَى، فَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا يَرَى يَدَهُ فِيهِ يَدَ غَضَبٍ أَوْ أَمَانَةٍ يُوصلُهَا إِلَى صَاحِبِهَا أَوْ يُؤدِّيَهَا إِلَى مُودَعِهَا».

قيل: «نزلت الآية في رأس شاة وهبها إنسان من غيره فطاف على سبعة بيوت حتّى انتهى إلى الأوّل»⁽⁴⁾.

(1) [كان] ساقط من (ه).

(2) هو أبو يعقوب يوسف بن الحسين بن علي الرازي الصوفي، شيخ الري والجبّال في وقته، كان عالماً أديباً، صحب ذا النون وأبا تراب، ورافق أبا سعيد الخراز في بعض أسفاره، وسمع من أحمد بن حنبل، توفي رحمه الله سنة 304هـ - 916م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (14/316 - 320)، وتاريخ دمشق (74/220 - 230)، وطبقات الأولياء (ص: 379 - 384)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص: 151 - 156). (3) في (ط) لله تعالى.

(4) رواه الحاكم (2/526 رقم: 3799)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/141 رقم: 3204)، وقوام السنة في الترغيب والترهيب (2/266 رقم: 1556) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أُهِدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْسُ شَاةٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي فَلَانًا وَعِيَالُهُ أَخْرُجُوا إِلَى هَذَا مِثًا، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ إِلَيْهِ وَاحِدًا إِلَى آخَرٍ حَتَّى تَدَاوَلَهَا سَبْعَةُ أَتْنَابٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ، فَنَزَلَتْ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ».

والحديث صححه الحاكم، وتعبه الذهبي فضعه بسبب عبيد الله بن الوليد الوصافي.

وقيل: «نزلت فيمن أطفأ السراج ليلة بحضرة⁽¹⁾ ضيفه يوهمه أنه يصلحه، وقد قدّم الطّعام لضيفه وأوهمه أنه يأكل معه وآثر به الضيف على نفسه وعياله»⁽²⁾.

ولذلك قيل: «الزّاهد يؤثر بدنياه غيره، والعارف يؤثر بالجنّة غيره، وعزيز من لا يطلب من الحقّ شيئاً لنفسه يؤثرها به، لا من متعلّقات العاجلة ولا من متعلّقات الآجلة.

وهذا مبنيّ على مقام التّفويض، وهو يختلف بتفاوت أحوال أرباب الكمال، واختلاف مراتبهم في مقامات الانتقال من حال إلى حال»، اهـ.

(1) [بحضرة] ساقط من (ج) و (ه).

(2) ورد ذلك في الصحيحين، البخاري (235/2 رقم: 3798)، ومسلم (3/1624 رقم:

2054) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَيَّ نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي.

فَقَالَ: هَيَّيْ طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ، وَتَوَمِّي صَبْيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّئْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتِ سِرَاجَهَا، وَتَوَمْتِ صَبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهُا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَ يُرِيَانَهُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَائِفَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) ﴿الحشر: 9﴾.

فإذا كان إيثار الفقير نفسه بما يملكه من طعام أو غيره مذموماً منافياً لمكارم الأخلاق وما كان عليه السلف الصالح، فأحرى أن لا يؤثرها بما لا يملكه ممّا يسوقه الله تعالى للفقراء⁽¹⁾ من الطّعام أو غيره، ولذلك وجب عليه أن لا يأكل من الطّعام الذي يُجلب للفقراء قبل⁽²⁾ تقديمه لهم ووضعه بين أيديهم، اللهمّ إلا إذا قصد ذوقه فإنّه يُغتفر له تناول ما يحصل به ذلك.

[لا يختص النقيب بشيء دون إخوانه]

وكذلك يجب عليه أن لا يختصّ بشيء دونهم، ولا يخصّص أحداً بشيء، فإن فعل ذلك فقد خان واستحقّ العزل. وإذا أعطاه أحد شيئاً برسم الطّعام من دراهم أو مأكول لا يأخذه لنفسه، بل يجعله للفقراء إخوانه، حتّى إذا لم يحتج إليه الفقراء في الحال⁽³⁾ تركه لهم لوقت الحاجة.

[السعي في جمع التبرعات من غير إلحاح ولا إخفاء شيء]

ومن آدابه أيضاً أنّه يجب عليه السعي لمنّ لهم عليه عادة يبذلها لهم في الوقت المعين لبذلها، عن طيب نفس من الباذل ودون إلحاح من الطالب.

(1) في (ط) إليه.

(2) في (ج) وقيل.

(3) نهاية الورقة (123/و).

ولا يخفي شيئاً جاءه عن شيخه، بل يأتي به ويضعه بين يديه ويخبره بمن أتاه به، فإن أخذه الشيخ خرج من عهده، وإن أمره بأخذه وحفظه فعل ذلك، وإن أمره بصرفه لأحد دفعه له بدون تراخ، وإن وضعه بين يديه وأخبره بصاحبه فسكت أو لم يردّ جواباً تركه وقام.

وفي التّحفة: «ومن سوء الأدب أن يظن⁽¹⁾ بشيخه سوءاً إذا أخذ شيئاً ولم يخرج له للفقراء، فإنّه أعرف بالمصلحة منه حيث يمكن أن يكون بذله لمن هو أحوج إليه منهم، وصاحبه في الحقيقة إنّما قصد به ذا الحاجة، ولو علم غناهم عنه ما بذله إن كان من المخلصين في بذله، أمّا مَنْ يبذل شيئاً ليوضع بين جماعة بخصوصهم، قصداً للسمعة والشهرة، فمثل هذا لا يقبل منه بحال، لأنّه إعانة على معصية».

و (لا) من قوله: (لا يأكل) ناهية.

[تعليم الإخوان آداب الأكل]

قوله:

615 - يُعَلِّمُهُمُ الْأَدَبَ فِي أَكْلِهِمْ يَا مُحِبَّ

616 - بِالرِّفْقِ وَالْأَدَبِ وَالْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ

أشار بذلك رحمه الله تعالى إلى أنّ نقيب السّماط يتعيّن عليه معرفة آداب الأكل، ويجب عليه البحث عنها حتّى يعرفها حقّ معرفتها، ويضبطها حفظاً وفهماً.

(1) في (هـ) أن لا يظن.

لأنّ علم الحال واجب على كلّ مكلف شرعا، ومن هنا دخل الخلل على الخاصّة والعامة، فكلّ صاحب مقام يجب عليه معرفة ما يتعلّق به معرفة تامّة، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات، وما حرّم الوصول إلى ثمرات الأعمال⁽¹⁾ إلّا بسبب تضييع الأصول.

وقد كان سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه⁽²⁾ يضرب بالدّرّة⁽³⁾ من يقعد في السّوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: «لَا يَقْعُدُ فِي سُوقِنَا مَنْ لَا يَعْرِفُ أَحْكَامَ الْبَيْعِ وَالرِّبَا»⁽⁴⁾.

وَقَدْ أَمَرَ مَالِكٌ⁽⁵⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِقَامَةِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأَحْكَامَ مِنَ السُّوقِ لِئَلَّا يُطْعِمَ النَّاسَ الرِّبَا⁽⁶⁾.

وقس على ذلك سائر المعاملات والحرف والعبادات وأرباب الوظائف كالإمام والمدرّس ونحوهما.

(1) في (ج) الأمال.

(2) [تعالى] ساقط من (ط).

(3) الدّرّة: بالكسر، والجمع دَرَرٌ، السوط.

(4) رواه الترمذي (357/2) رقم: 487 وقال: حديث حسن غريب، وصححه الحافظ

ابن كثير في مسند مسند الفاروق (349/1) عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن

جده قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَا يَبِيعُ فِي سُوقِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ».

(5) في (هـ) الإمام مالك.

(6) انظر المدخل لابن الحاج (157/1).

وقال صاحب⁽¹⁾ المدخل⁽²⁾: «سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله تعالى⁽³⁾ يذكر أنه أدرك بالمغرب المحتسب يمشي في الأسواق، ويقف على كل دكان فيسأل صاحبه عن الأحكام التي تلزمه في صنعته، ومن أين يدخل عليه الربا وكيف يتحرّز منه، فإن أجابه أبقاه في الدكان، وإن جهل شيئا من ذلك أقامه منه، ويقول له: لا يمكنك أن تقعد في سوق المسلمين تطعم الناس الربا وترتكب ما لا يجوز»⁽⁴⁾، اهـ.

فانظر يا أخي ما كان عليه أولئك العوام وما عليه الخواص في هذا الزمان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

(1) نهاية الورقة (123/ظ).

(2) هو أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج، كان من العباد الصالحين، فاضلا عارفا مشهورا بالزهد والورع والصلاح، جامعا بين العلم والعمل، صحب أبا محمد بن أبي جمرة وانتفع به، وعنه أخذ عبد الله المنوفي والشيخ خليل وغيرهما، ألف كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبه على كثير من البدع المحدثّة والعوائد المتحلّة، توفي رحمه الله بالقاهرة سنة 737هـ - 1336م.

له ترجمة في: الديباج (ص: 327 - 328)، والدرر الكامنة (237/4)، وشجرة النور (218/1)، والأعلام (35/7)، ومعجم المؤلفين (683 - 682/3).

(3) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي المصري، أحد الشيوخ الفضلاء الفقهاء بمصر، توفي رحمه الله سنة 749هـ - 1348م.

له ترجمة في: النجوم الزاهرة (189/10)، وحسن المحاضرة (454/1)، ونيل الابتهاج (ص: 219)، وشجرة النور (205/1).

(4) المدخل (157/1).

اللَّهُمَّ أَنْقِذْنِي مِنْ بَحْرِ جَهَالَتِي، وَثَبِّتْنِي بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِذَا حَصَلَ النَّقِيبُ مَعْرِفَةِ آدَابِ الْأَكْلِ أُرْشِدُ مَنْ جَهَلَهَا مِنْ
إِخْوَانِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ، وَعَلَّمَهُ بَرْقَ وَلُطْفٍ وَأَدَبٍ وَإِخْلَاصٍ وَنِيَّةٍ نُصْحٍ،
عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»⁽¹⁾.

(1) رواه أحمد (138/28 رقم: 16940)، ومسلم (74/1 رقم: 55)، وأبو داود (286/4
رقم: 4944)، والنسائي (156/7 رقم: 4197) عن تميم بن أوس الداري رضي الله
عنه.

قوله:

617 - وَمِنْ آدَابِ أَكْلِكَ جُلُوسُكَ عَنْ رُكْبَتَيْكَ

618 - وَتُقْمِيمُ يَمَنِتُكَ وَتَصْغِيرُ اللُّقْمِيَا

لَمَّا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبِيلَ هَذَا، أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى نَقِيبِ السَّمَاطِ تَعَلُّمَ آدَابِ الْأَكْلِ وَتَعْلِيمَهَا، تَكَلَّمَ عَلَى نَبْذَةِ مَنْ ذَلِكَ لَيْسَهُلَ التَّنَاوُلُ، وَأَتَى بِ (مِنْ) التَّبْعِيضِيَّةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ آدَابَ الْأَكْلِ كَثِيرَةٌ.

[الجلوس عند الأكل]

فَمِنْهَا أَنْ يَجْلِسَ عَلَى الْهَيْئَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهِيَ أَنْ يَقِيمَ رُكْبَتَهُ الْيَمْنَى وَيَجْلِسَ عَلَى الْيُسْرَى⁽¹⁾.

وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:

إِذَا أَرَدْتَ جُلُوسًا لِلطَّعَامِ فَكُنْ حَالَ الْجُلُوسِ عَلَى الْيُسْرَى وَلَا تَمِلْ

وَقِيلَ: يَضَعُ الْيُسْرَى مَنْ غَيْرُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا، يَعْنِي يَجْلِسُ عَلَى إِلَيْتِهِ حَيْثُذ.

(1) قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ (4/2): «أَنْ يَحْسُنَ الْجُلُوسُ عَلَى السَّفَرَةِ فِي أَوَّلِ جُلُوسِهِ وَيَسْتَدِيمُهَا، كَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَبَّمَا جَثَا لِلْأَكْلِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَجَلَسَ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ، وَرَبَّمَا نَصَبَ رِجْلَهُ الْيَمْنَى وَجَلَسَ عَلَى الْيُسْرَى».

ومن الهيئات الشرعية في الجلوس للأكل أن يجلس كجلوسه للصلاة⁽¹⁾.

والهيئة الثالثة منها أن يقيم ركبته معا ويجلس على إتيته.

وروي «أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مُقْعِيًا»⁽²⁾.

ويقول: «أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ»⁽³⁾.

قال النووي⁽⁴⁾ رحمه الله تعالى: «المقعي هو الذي يلصق إتيته بالأرض وينصب ساقيه»⁽⁵⁾.

(1) دلّ عليها ما رواه الضياء في المختارة (40/4 رقم: 1265)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (3/199 رقم: 588)، والبغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (1/608 رقم: 929) عن أَبِي بِنِ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْثُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَكَانَ لَا يَتَكَبَّرُ».

حسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/853)، وقال المناوي في فيض القدير (5/182): «بسنَد جيد».

(2) ورد ذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه مسلم (3/1616 رقم: 2044)، والنسائي في الكبرى (6/258 رقم: 6711)، والبيهقي (7/462 رقم: 14652) عن أنس رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا».

(3) ورد الحديث من عدة طرق لا تسلم من الطعن، غير أن بعضها يعضد بعضها ومجموعها يقتضي أن الحديث صحيح، ومن طرق ما رواه ابن سعد في الطبقات (1/288)، وأبو يعلى (8/318 رقم: 4920)، والبغوي في شرح السنة (11/286 رقم: 2839)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (4/74) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (9/19): «إسناده حسن»، وحسنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (2/195)، والعجلوني في كشف الخفا (1/17).

(4) في (هـ) قال الإمام النووي.

(5) شرح صحيح مسلم (13/227).

وأما الجالس متربعا والجالس على ركبتيه الكاب رأسه على
الطعام فهو مخالف للسنة.

وقد روى البخاري وأبو داود عن أبي جحيفة⁽¹⁾ قال: قال⁽²⁾
رسول الله ﷺ: «لَا آكُلُ مُتَكِنًا»⁽³⁾.

قال الخطابي⁽⁴⁾ رحمه الله تعالى: «يحسب أكثر العامة أن المتكى
هو المائل المعتمد على أحد شقيه»⁽⁵⁾.

(1) هو الصحابي الجليل أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، ويقال: وهب بن
وهب، من صغار الصحابة، نزل الكوفة، ذكروا أن رسول الله ﷺ توفي وأبو
جحيفة لم يبلغ الحلم، ولكنه سمع من رسول الله ﷺ وروى عنه، وجعله على بن
أبي طالب على بيت المال بالكوفة، وشهد معه مشاهد كلها، وكان يحبه ويثق
إليه، ويسميه وهب الخير، توفي رضي الله عنه بالبصرة سنة 72 هـ - 691 م.

له ترجمة في: الاستيعاب (4/1619)، أسد الغابة (5/48)، وسير أعلام النبلاء (3/202).
(2) نهاية الورقة (124/و).

(3) رواه البخاري (3/14 رقم: 5398)، وأبو داود (3/348 رقم: 3769)، والترمذي
(4/273 رقم: 1830)، والنسائي في الكبرى (6/257 رقم: 6709)، وابن ماجه
(2/1086 رقم: 3262).

(4) هو أبو سليمان الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، العلامة
المحقق الفقيه الأديب، من تصانيفه معالم السنن في شرح كتاب السنن لأبي داود،
وغريب الحديث، وغير ذلك، سكن بنيسابور مدة، وتوفي رحمه الله ببست من بلاد
كابل في ربيع الآخر سنة 388 هـ - 998 م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (17/23 - 28)، ووفيات الأعيان (2/214 - 216)،
وطبقات الشافعية للإسنوي (1/223).

(5) معالم السنن (4/242).

ثم قال بعد ذلك: «وليس معنى الحديث ما ذهبوا إليه، وإنما المتكئ هاهنا هو المعتمد على الوكاء الذي تحته، فكل من استوى قاعدا على وكاء فهو متكئ، فالاتكاء مأخوذ من الوكاء ووزنه الافتعال منه، والمتكئ هو الذي أوكأ مقعدته وشدها بالقعود على الوكاء الذي تحته.

والمعنى أنني إذا أكلت لم أقعد متكئا على الأوكية والوسائد، فغل من يريد أن يستكثر من الأطعمة ويتوسع في الألوان، ولكن أكل علة وأخذ من الطعام بلغة فيكون قعوده مستوفزا له»⁽¹⁾، اهـ.

قلت: ومن الاتكاء بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّتْ لَهْنَ مَتَكَا﴾⁽²⁾ أي وكاء يجلسن عليه، وقوله تعالى: ﴿وَسُرُّرًا عَلَيْهِنَّ كُحُوتٌ﴾⁽³⁾، أي يجلسون.

قال ابن الأثير: «والعامة لا تعرف الاتكاء إلا الميل في القعود معتمدا على أحد الشقين، وهو مستعمل في معنيين، المعنى المذكور، والاستواء قاعدا على الوكاء»⁽⁴⁾، اهـ كلامه بتصرف.

وقال السرقسطي⁽⁵⁾: «أتكأته أعطيته ما يتكئ عليه، أي يجلس عليه»⁽⁶⁾، اهـ.

(1) معالم السنن (243/4).

(2) سورة يوسف: 31.

(3) سورة الزخرف: 34.

(4) النهاية في غريب الحديث (193/1) مادة: تكأ.

(5) هو أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي اللغوي، يعرف بابن الحداد، أخذ عن أبي بكر ابن القوطية، وهو الذي بسط كتابه في الأفعال وزاد فيه، توفي رحمه الله شهيدا في بعض الوقائع بعد 400 هـ 1010 م.

له ترجمة في: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (ص: 209)، ومعجم الأدباء (1374/3)، وبغية الوعاة (589/1).

(6) انظر كتاب الأفعال لابن القطاع (124/1)، والمصباح المنير (670/2) مادة: وكي.

[تصغير اللقمة وإجادة المضغ]

ومن آدابه أيضا أن يصغر اللقمة ويجيد مضغها، فإنه أكثر نفعا وأيسر هضما.

وينبغي له في أول اللقمة أن يبدأ بمضغها في الناحية اليمنى، لقوله ﷺ «أَلَا فَيَمِّنُوا، أَلَا فَيَمِّنُوا»⁽¹⁾، فهو عام في الحركات والسكنات إلا ما استثنى، وبعد ذلك يأكل كيف شاء.

و (عَنْ) من قوله: (جُلُوسُكَ عَنْ رُكْبَتَيْكَ) بمعنى على من باب قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾⁽²⁾.

[لا يرد شيئا من الطعام إلى الإناء]

قوله:

619 - لَا تَكُنْ بِالْمُفْتَرِشِ لَا تَكُنْ بِالْمُهَنْدِسِ

620 - لَا تَكُنْ بِالْمُرْشَرِشِ لَا تَكُنْ أَكُولِيَا

(1) متفق عليه. رواه البخاري واللفظ له (566/1 رقم: 2571)، ومسلم (1607/3 رقم: 2029) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِنَا هَذِهِ فَاسْتَسْقَى، فَحَلَبْنَا لَهُ شَاءَ لَنَا، ثُمَّ شُبَّتُهُ مِنْ مَاءِ بَثْرِنَا هَذِهِ، فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ وَعُمَرُ تُجَاهَهُ، وَأَعْرَابِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ عُمَرُ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ فَضَلَّهُ، ثُمَّ قَالَ: الْإِيْمُنُونَ الْإِيْمُنُونَ، أَلَا فَيَمِّنُوا، قَالَ أَنَسٌ: فَهِيَ سُنَّةٌ، فَهِيَ سُنَّةٌ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

(2) سورة محمد: 38.

يريد رحمه الله تعالى أن من آداب الأكل أن لا يقضم من الطعام شيئاً ويردّه إلى آنية الطعام، خشية إصابة لعابه لما بقي بعد القضم، وربّما يستقذره الآكلون معه.

قال صاحب المدخل سيدي أبو عبد الله رحمه الله تعالى: «وينبغي له أن لا ينهش البضعة ويردّها في الفضة، لأنّه مستقذر أيضاً»⁽¹⁾، اهـ.

و (النَّهْشُ) بالمهمله والمعجمة العُضُّ.

وقيل⁽²⁾: القبض على المأكول أو غيره بالأسنان ثم نتره.

يقال: نهش اللحم إذا أخذه بمقدّم الأسنان للأكل.

وحُكِيَ عن ثعلب⁽³⁾ النَّهْشُ بالمهمله يكون بأطراف الأسنان، والنَّهْشُ بالمعجمة بالأسنان والأضراس، فهما متغايران⁽⁴⁾.

و (القَضْمُ) الكَسْرُ للشيء بأطراف الأسنان، والعَضُّ⁽⁵⁾.

(1) المدخل (226/1).

(2) نهاية الورقة (124/ظ).

(3) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني البغدادي، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، من مصنفاته: اختلاف النحويين، وكتاب القراءات، ومعاني القرآن، وغيرها، توفي رحمه الله سنة 291 هـ - 903 م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (204/5 - 212)، وسير أعلام النبلاء (5/14 - 7)، ووفيات الأعيان (102/1 - 104).

(4) انظر المصباح المنير (628/2) مادة: نهس.

(5) انظر الصحاح للجوهري (2013/5)، والنهاية في غريب الحديث (77/4) مادة: قضم.

وهذه الأوصاف مخصوصة بالسَّبَاع حين الافتراس، فلا ينبغي للأكل أن يتلبس بشيء منها، ولذلك قال ابن العماد⁽¹⁾ رحمه الله تعالى في⁽²⁾ لا ميته⁽³⁾:

وَاضْمُمْ شِفَاهَكَ عِنْدَ الْأَكْلِ تَحَوُّلاً وَلَا تُفْرِقْ تَكُنْ كَالْأَسْوَدِ الْجَعْلِ⁽⁴⁾
هذا ما يتعلق بقوله: (لَا تَكُنْ بِالْمُفْتَرِسِ).

وقوله: (لَا تَكُنْ بِالْمُهَنْدِسِ)، يعني من آداب الأكل أن لا يأخذ الآكِلُ اللقمة من الطعام ويدخلها فيه ثم يخرجها، أو بعضها، ويضعها في صحيفة الطعام، فإن ذلك مكروه بلا ريب، وقيل حرام، لامتزاجها باللَّعاب، واستهجان ذلك عند أولي الألباب، فالمهندس هو الذي يضع اللقمة في فيه ثم يخرجها ويضعها في الطعام بعد ذلك.

(1) هو شهاب الدين أحمد بن عماد بن يوسف المصري الأقفهسي الشافعي، يعرف بابن العماد، له تصانيف مشهورة كشرح المنهاج، والتعليقات على المهمات، وشرح العمدة، وآداب الطعام، وأحكام المساجد، توفي رحمه الله سنة 808 هـ - 1405 م.

له ترجمة في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (15/4)، إنباء الغمر بأبناء العمر (332/2)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (93/1).

(2) [في لا ميته] ساقط من (ج) و (ه).

(3) آداب الأكل (ص: 28).

(4) قال الأقفهسي آداب الأكل (ص: 28): «(والأسود الجعل) بضم الجيم والعين، دويبه مثل الخنفساء أكبر منها قليلا، وهي خسيصة تقتات الروث، وشأنها جمعه وادخاره، والعرب تشبه بها من دُمُوا بالخنساسة».

قال ابن العماد⁽¹⁾ رحمه الله تعالى في لاميته⁽²⁾:

وَلَا تُهْنِدْ بِفِيكَ الْخُبْزَ إِنَّ بِهِ مِنْ الْبَرَاقِ لِمَا يُفْضِي إِلَى الْجِفْلِ

[لا ينفذ اليد في الآنية أو خارجها]

وأشار بقوله: (لَا تَكُنْ بِالْمُرْشَرِشِ) إلى أَنَّ من آداب الأكل أن لا يتناول الأكل اللقمة بيده ثم ينفذ ما بقي عليها من الطعام في آنية أو خارجها، لئلا يقع شيء منه على ثوب جليسه أو في الطعام، فإن ذلك مكروه ومخالف للسنة.

والمتصف به يُسمَّى مُرْشَرِشًا، وأصله مُرَشِّشًا من الرِّشِّ، وهو نفذ الماء ونحوه من اليد، والمتناثر من اليد هو الرِّشَّاش، ووقوعه في آنية الطعام مستقذر.

[عدم الإسراف في الأكل]

قوله: (لَا تَكُنْ أَكُولِيًّا) يريد رحمه الله تعالى أَنَّ من آداب الأكل عدم الإكثار منه، فينبغي أن لا يسرف فيه، والقانون في ذلك أن يرفع يده من الطعام وهو يشتهي، وأن لا يملأ الإنسان بطنه من الطعام⁽³⁾ البتة، لما روي عن النبي ﷺ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ أَشْرَ» وفي رواية: «شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صَلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَتُلُتْ لِلطَّعَامِ، وَتُلُتْ لِشَرَابٍ، وَتُلُتْ لِلنَّفْسِ»⁽⁴⁾.

(1) آداب الأكل (ص: 28).

(2) [في لاميته] ساقط من (ط).

(3) [من الطعام] ساقط من (ط).

(4) سبق تخريجه.

وَرُوي «الْمَعِدَةُ بَيَّتُ الدَّاءِ»⁽¹⁾، الْحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ»⁽²⁾.
و «كُلُّ دَاءٍ أَضْلُهُ الْبَرْذَةُ»⁽³⁾»⁽⁴⁾.

وَرُوي «أَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَ كِسْرَى»⁽⁵⁾ أَرْبَعَةُ أَطْبَاءٍ عِرَاقِيٍّ وَرُومِيٍّ وَهِنْدِيٍّ وَسُودَانِيٍّ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ كِسْرَى: لِيَصِفْ لِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ الدَّوَاءَ الَّذِي لَا دَاءَ مَعَهُ.

فَذَكَرَ الثَّلَاثَةَ مَا لَا يَخْلُو عَنْ ضَرَرٍ فِي الْوَاقِعِ، وَبَيْنَ الرَّابِعِ وَهُوَ السُّودَانِيُّ مَا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوهُ مِنَ الضَّرَرِ.

وَقَالَ: الدَّوَاءُ الَّذِي لَا دَاءَ مَعَهُ أَنْ لَا تَأْكُلَ إِلَّا بَعْدَ الْجُوعِ، وَأَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ قَبْلَ الشَّبْعِ، فَصَدَّقُوهُ»⁽⁶⁾.

(1) نهاية الورقة (125/و).

(2) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (611/1): «لَا يَصِحُّ رَفْعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ طَبِيبِ الْعَرَبِ أَوْ غَيْرِهِ».

(3) الْبَرْذَةُ: الثُّخْمَةُ، انْظُرِ الصَّحَاحَ لِلْجَوْهَرِيِّ (446/2)، وَالنَّهْيَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (115/1) مَادَّة: بَرَد.

(4) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الطَّبِّ النَّبَوِيِّ (245/1 رَقْم: 130)، وَالِدِيلَمِيُّ (419/1 رَقْم: 1698) وَابْنُ حَبَانَ فِي الْمَجْرُوحِينَ (204/1 تَرْجُمَةُ 161)، وَابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ (279/2 تَرْجُمَةُ 304)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْعِلَلِ الْمُتَنَاهِيَةِ (178/2 رَقْم 1110) مِنْ طَرِيقِ تَمَامِ بْنِ نَجِيحٍ الْأَسَدِيِّ الدَّمَشَقِيِّ، قَالَ ابْنُ حَبَانَ: «مَنْكَرُ الْحَدِيثِ جَدًّا، يَرُوي أَشْيَاءَ مُوَضَّوعَةً عَنِ الثَّقَاتِ كَأَنَّهُ الْمُتَعَمِّدُ لَهَا».

(5) يُطْلَقُ لِقَبِّ كِسْرَى لِمَنْ مَلَكَ الْفَرَسَ، وَمَعْنَاهُ الْمَلِكُ الْأَكْبَرُ، وَأَصْلُهُ فِي كَلَامِ الْفَرَسِ حُسْرُو، فَعَرَبَتْهُ الْعَرَبُ فَقَالُوا: كِسْرَى، وَالْجَمْعُ أَكَاسِرَةٌ وَكَسَاسِرَةٌ وَكُسُورٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ؛ انْظُرِ تَهْذِيبَ اللُّغَةِ (31/10)، وَالْمَخْصَصَ (324/1).

(6) أَوْرَدَ الْغَزَالِيُّ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ (87/3).

و (أَكُولُ) على وزن فعول، صيغة مبالغة في كثرة الأكل.

[تجنب ما يستقذر عند الأكل كالاستنثار والبصاق]

وأشار بقوله:

621 - لَا تَبْزُقْ عِنْدَ الطَّعَامِ لَا تَسْتَنْثِرْ يَا غُلَامَ

622 - لَا تَتَقَدَّمْ لِلطَّعَامِ لَا تَحْمَلْ مِنْهُ شَيْئًا

إلى أنّ من آداب الأكل أن لا يتلبّس الأكل بفعل ما يستقذر فإنّه منهيّ عنه شرعا، وذلك كالْبَصَاق عند حضور الطّعام والاستنثار كما صرّح به رحمه الله تعالى، لأنّ الغالب على ما يخرج من الفم أو الأنف الاستقذار، ولذلك صرّحوا بأنّه إذا اضطرّه السّعال حَوَّل وجهه عن وجوههم إلى القفا، وكذلك إذا جاءه العطاس، فربّما يخرج من الفم أو الأنف حينئذ ما يستهجن وما يستقذر.

قال ابن العماد في لاميّته⁽¹⁾:

وَلَا تَنْخَمْ وَلَا تَبْصُقْ بِحَضْرَتِهِمْ وَلَا بِمُسْتَقْدَرٍ تَنْطِقُ لِذِي أَكْلٍ

فأفاد أنّ من الآداب أيضا أن لا ينطق بمستقذر حال الأكل، لما في ذلك من الاستهجان.

وقال رحمه الله تعالى:

وإِنْ سَعَلْتَ تَحَوَّلْ عَنْ وُجُوهِهِمْ نَحْوَ الْقَفَا وَعَلَى ذِي الْحَوْلِ فَاتَّكِلِ

(1) آداب الأكل (ص: 29).

[لا يتقدم غيره في الأكل]

ومن الآداب أيضا أن لا يتقدم للطعام، لأنه دليل إفراط الشهوة في الأكل، المعبر عنه بالنهم بفتح النون والهاء، وهو من ذميم الصفات، يتنزّه عنه أولوا الألباب وأصحاب المروآت، والحرص على الأكل مذموم شرعا وعرفا، وفي ذلك قيل ⁽¹⁾:

وَإِنْ مُدَّتْ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

(الْجَشَعُ) بالجيم والشين محرّكة، الحرص على الأكل.

قال الجوهري: «هو ⁽²⁾ أَشَدُّ الْحِرْصِ» ⁽³⁾، اهـ.

اللهم إلا أن يكون صاحب البيت أو من يُقْتَدَى به، فإنه ينبغي له أن يبدأ بالأكل، ويُستحبّ له التّقدّم إيناسا للأكلين، فيؤكلهم ويعزم عليهم بالأكل، ولا سيّما إن كانوا ضيوفا ⁽⁴⁾.

[لا يحمل معه شيئا من الطعام]

ومن الآداب ما أفاده قوله رحمه الله تعالى: (لَا تَحْمَلْ مِنْهُ شَيْئًا)، يريد أنّه لا يجوز للمدعو للأكل أن يحمل معه شيئا من الطّعام، ف (لَا) في قوله ⁽⁵⁾: (لَا تَحْمَلْ) ناهية، والنهي عند الإطلاق ينصرف للتّحريم.

(1) البيت للشنفرى من قصيدة اللامية، انظر خزانة الأدب (340/3).

(2) في (هـ) هذا.

(3) الصحاح (1196/3) مادة: جشع.

(4) في (هـ) أضيافا.

(5) نهاية الورقة (125/ظ).

قال ابن العماد رحمه الله تعالى⁽¹⁾:

وَبَعْدَ أَكْلِ فَلَا تَحْمِلْ طَعَامَهُمْ فَرْلَةُ الْحَمْلِ عُدُّوْهَا مِنْ الزَّلَلِ

وقال صاحب المدخل رحمه الله تعالى: «وينبغي للمدعو أن لا يعطي من الطعام أحدا شيئا إلا بإذن صاحب الطعام، وليحذر ممّا يفعلُه بعض مَنْ لا خير فيه من أنّهم يأخذون بعض ما تيسر لهم أخذه، فيختلسونه ويجعلونه تحتهم، حتّى إذا رجعوا إلى منازلهم أخرجوه».

قال: «وهذا من السرقة وأكل أموال الناس بالباطل»⁽²⁾، اهـ.

[المضع الجيد للطعام]

قوله:

623 - طَوَّلَ مَضْعَكَ يَا فَتَى حَدَّثَ عَنْ عِلْمٍ أَتَى

624 - لَا تُطَاطِئْ ثُبَّتَا رَأْسَكَ عَلَى الْآيَا

قال أبو عبد الله رحمه الله تعالى في المدخل: «وينبغي للأكل أن يكثر المضع للسنّة في ذلك»⁽³⁾.

وقوله: (طَوَّلَ) أمرٌ من التّطويل، بمعنى الامتداد في زمن المضع والإمهال فيه، لأنّ الإكثار من المضع والتّطويل يعين على الهضم للطّعام، مع تحصيل فضيلة إتّباع سنّته عليه الصّلاة والسّلام.

(1) آداب الأكل (ص: 32).

(2) المدخل (1/227).

(3) المدخل (1/224).

[الحديث عند الأكل من غير إكثار]

وأشار بقوله: (حَدَّثَ عَنْ عَلِيٍّ أَيْ)، إلى أَنَّهُ ينبغي للأكل أن لا يترك الحديث على الطَّعام، بل يتحدث بما يقتضيه الحال ممَّا يناسب المقام من المسائل الدينية ونحوها، كما كان عليه السلف الصَّالح، فإنَّ ترك الكلام على الطَّعام بدعة، ولأنَّ الأَنس بالكلام جانب قوي في القِرَى.

قال صاحب المدخل رحمه الله تعالى: «ولا يكثر منه أيضا، لأنَّ الإكثار منه بدعة، ولأنَّه قد يشغل غيره عن الأكل»⁽¹⁾.

فالمطلوب التَّوسط في الحديث، لما رُوي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا»⁽²⁾.

قال ابن العماد رحمه الله تعالى⁽³⁾:
وَأَنَسَ الْكُلَّ بِالتَّخْدِثِ فِي أَكْلِ وَلَا تَكُنْ سَاكِئًا كَالْبَهْمِ وَالْهَمَلِ⁽⁴⁾

[النهي عن طأطأة الرأس في الإناء]

و (لَا) من قوله: (لَا تُطَأْطِئُ) ناهية.

(1) المدخل (223/1).

(2) سبق تخريجه.

(3) آداب الأكل (ص: 30).

(4) الْبَهْمُ: صغار الغنم، انظر المصباح المنير (64/1) مادة: بهم.
وَالْهَمَلُ: الإبل التي ترعى بلا راعٍ، انظر الصحاح (1854/5) مادة: همل.

يعني أنّه لا ينبغي للأكل أن يخفض رأسه على الإناء حال الأكل، خشية أن يقع شيء من فضلات فمه في الطعام، سيّما إذا كان سخنا، فيعافه هو في نفسه ويعافه غيره.

قال في المدخل: «لا سيّما إن كانت عمامته كبيرة فيكون ذلك سببا لمنع غيره من مريدي المائدة، مع أن ذلك مخالف للسنة»⁽¹⁾، اهـ. وفي القاموس: «طَاطَأَ رَأْسَهُ: طَامَنَهُ، وَخَفَضَهُ»⁽²⁾، اهـ.

وألف (الآتيا) بدل من هاء التّأنيث للقافية.

[حرمة الأكل فوق الشّبع]

قوله:

625 - فَوْقَ الشَّبْعِ حَرُمًا تَأَخَّرَ بِشُرْبِ الْمَا

626 - أَتْرَكَ عَنْكَ الْقَسَمَا لَا بِالْقَشْرِ رَامِيَا

أشار بذلك رحمه الله تعالى إلى أنّ الأكل في نفسه على خمسة مراتب: حرام⁽³⁾، ومكروه، ومباح، ومندوب، وواجب.

فالحرام الأكل الكثير الزائد على حصول الشّبع، وهو مظنة حصول الضّرر والمرض، وفي الحديث «كُلُّ دَاءٍ أَضْلُهُ الْبَرَدَةُ»⁽⁴⁾، بفتح الباء والزّاء والدال، وهي التّخمة.

(1) المدخل (221/1).

(2) القاموس المحيط (ص: 45) مادة: طَاطَأَ.

(3) نهاية الورقة (126/و).

(4) موضوع، وقد سبق تخريجه.

وفي لامية ابن العماد⁽¹⁾:

وَسَابِعُ بَطْنُهُ تُفْضِي إِلَى مَرَضٍ وَالثَّقْلُ تَحْرِيمُهَا فَاحْذَرْ مِنَ الدَّغْلِ⁽²⁾

والمكروه ما زاد على الشَّع قليلًا ولم يضرَّ به.

قال ابن العماد⁽³⁾:

وَسَادِسُ زَائِدٌ جَاءَتْ كَرَاهَتُهُ وَفَعَلُهُ جَالِبٌ لِلنَّوْمِ وَالثَّقْلِ

والمباح الشَّع الشرعي الذي يقيم به الأكل صلبه للكسب والعمل.

والمندوب هو أكل القدر الذي يعينه على تحصيل النوافل وعلى تعليم العلم وغيره من الطاعات، ولو كان ملء ثلث مصران بطنه.

والواجب أكل القدر الذي يقيم به الصَّلب لأداء فرائض الله تعالى، لقاعدة: «ما لا يَتَوَصَّلُ إِلَى الْوَاجِبِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ»، لأنَّ هذا القدر هو الذي تُحفظ به الحياة وتقوم به البنية، اهـ.

تَمَّة

أخرج البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْكُلُ الْمُسْلِمُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»⁽⁴⁾.

(1) آداب الأكل (ص: 25).

(2) الدَّغْلُ: الفساد، انظر لسان العرب (244/11) مادة: دغل.

(3) آداب الأكل (ص: 25).

(4) متفق عليه. رواه البخاري (13/3 رقم: 5393)، ومسلم (1632/3 رقم: 2063).

قوله: «مَعَى» بكسر الميم وتنوين العين مقصور، ويجمع على أمعاء بالمد، وهي المصارين.

ذكر أهل التشريح أنّ مصران البطن ثمانية عشر شبرا، فثلثها ستّة أشبار، فلا ينبغي للأكل أن يزيد على ملء ستّة أشبار لأنّها الثلث، كما مرّ في الحديث السّابق.
قال ابن العماد⁽¹⁾:

وَتُلْثُهَا سِتَّةٌ بِالشَّبْرِ فَأَغْنِي بِهِ وَخَلَّ ثُلُثًا وَثُلُثًا قَطُّ لَا تَحِلَّ

ونقل القاضي عياض عنهم أيضا «أنّ أمعاء الإنسان سبعة: المعدة، ثمّ ثلاثة أمعاء بعدها متّصلة بها، وهي البوّاب والصّائم والرّقيق، وهي كلّها رقاق، ثمّ ثلاثة غلاظ، وهي الأعور والقولون والمستقيم، وطرفها الدّبر»⁽²⁾.

ونظمها الحافظ زين الدّين العراقي⁽³⁾ فقال⁽⁴⁾:

(1) آداب الأكل (ص: 24).

(2) إكمال المعلم بفوائد مسلم (557/6).

(3) هو أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي المصري، الإمام الحافظ والمحدث الكبير، له مؤلفات كثيرة مفيدة منها الألفية في مصطلح الحديث، وشرحها، وتخريج أحاديث الإحياء، توفي رحمه الله بالقاهرة سنة 806 هـ - 1404 م.

له ترجمة في: الضوء اللامع (4/171 - 178)، وحسن المحاضرة (1/310 - 312)، وشذرات الذهب (7/55 - 57).

(4) في طرح الشريب (6/18).

سَبْعَةُ أَمْعَاءٍ لِكُلِّ آدَمِيٍّ مَعِدَةٌ بِوَابِهَا مَعَ صَائِمٍ
ثُمَّ الرِّقِيقُ أَغْوَرُ قَوْلُونُ مَعَ الْمُسْتَقِيمِ مَسَلُّكَ الْمَطَاعِمِ اهـ

ومعنى الحديث حينئذ، أنَّ الكافر لكونه يأكل بشرافة لا يشبعه إلاّ ملء أمعائه السبعة، والمؤمن لزهده يشبعه ملء معاً واحداً.

والحاصل أنَّ المؤمن من⁽¹⁾ شأنه الحرص على الزَّهَادَةِ والاقتناع بالبلغة، بخلاف الكافر فإنَّه يكون كثير الحرص، شديد الشره، لا يطمح بصره إلاّ إلى المطاعم والمشارب كالأنعام، فَمَثَّلَ ما بينهما من التَّفاوت في الشره بما بين مَنْ يأكل في معاً واحداً ومَنْ يأكل في سبعة أمعاء، فصار نسبة أكل المسلم إلى أكل الكافر بقدر السُّبع منه، ولذلك قيل: «مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ، مَنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ اسْتِيفَاءِ شَهْوَتِهِ».

وفي حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: «مَنْ كَثُرَ تَفَكُّرُهُ قَلَّ مَطْعَمُهُ، وَمَنْ قَلَّ تَفَكُّرُهُ كَثُرَ مَطْعَمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ»⁽²⁾.

وقالوا: «لَا تَدْخُلُ الْحِكْمَةُ مَعِدَةً مُلِئَتْ مِنَ الطَّعَامِ»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (126/ظ).

(2) رواه الخطيب في المنتخب من كتاب الزهد والرقائق (ص: 56 رقم: 5) وقال: «حديث لا يصح»، وابن بشرلن في الأمال (ص: 43 رقم: 52)، وابن عساكر في معجم الشيوخ (2/1067 رقم: 1381) وقال: «غريب جدا وشاذ بمرة»، وابن الجوزي في الموضوعات (3/48) وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وإسماعيل بن عياش ضعيف، والكديمي يضع الحديث».

(3) رواه القشيري في الرسالة (1/39) من قول ذي النون رحمه الله.

و «مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ قَلَّ شَرَابُهُ وَخَفَّ مَنَامُهُ، وَمَنْ خَفَّ (1) مَنَامُهُ ظَهَرَتْ بَرَكَتُهُ عُمْرُهُ».

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الشَّيْبَعِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْجُوعِ فِي الْآخِرَةِ» (2).

وفي شعب البيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ غُلَامًا فَأَلْفَى بَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرًا، فَأَكَلَ الْغُلَامُ فَأَكْثَرَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ كَثْرَةَ الْأَكْلِ سُؤْمٌ، وَأَمَرَ ﷺ بِرَدِّهِ» (3).

قوله: (فَوْقَ الشَّيْبَعِ)، الظرف حال من فاعل (حَرُمَ)، وألف (حَرُمًا) (4) في كلام المصنّف لإشباع الفتحة رعاية للقافية.

وفي المصباح: «حَرُمَ الشَّيْءُ حُرْمًا وَحُرْمًا، مِثْلُ: عُسِرَ وَعُسِرَ امْتَنَعَ فِعْلُهُ» (5)، اهـ.

(1) [ومن خف منامه] ساقط من (ج).

(2) رواه الطبراني في الكبير (267/11 رقم 11693)، وأبو نعيم في الحلية (345/3)، حسنه المنذري في الترغيب والترهيب (99/3)، والبوصيري في إتحاف الخیر المهرة (294/4)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (250/10): «فيه يحيى بن سليمان الحفري، وبقيّة رجاله ثقات».

(3) رواه البيهقي في الشعب (455/7 رقم 5273) وضعفه.

(4) [وألف حرما] ساقط من (ه).

(5) المصباح المنير (131/1) مادة: حرم.

فشمل كلام المصنّف رحمه الله تعالى الحرام والمكروه، لأنّ الممتنع شرعا قد يكون امتناعه على سبيل الجزم وهو الحرام، أو لا وهو المكروه، والمعنى حرّم الأكل حال كونه فوق الشّبع، فكلام المصنّف رحمه الله تعالى شامل للأنواع الخمسة، فيؤخذ من منطوقه نوعان، ومن مفهومه ثلاثة أنواع.

[تأخير شرب الماء]

وأشار بقوله: (تَأَخَّرْ بِشُرْبِ الْمَاءِ) إلخ إلى أنّه ينبغي للأكل أن يؤخّر شرب الماء عن الأكل ويتراخى ولا يعجل به، لأنّه مضرّ للبدن على مقتضى صنعة الطّب، ولا سيّما إذا كان سخنا فإنّه يبخر الفم ويتلف الأسنان، ويفجّج الطّعام وينزله من المعدة إلى بوابها قبل التّضج وذلك ضرر كبير، وقد صرّحوا بأنّ الشّرب على الأكل بسرعة قبل أن يسكن الطّعام في المعدة يبرّدها ويبطئ⁽¹⁾ بهضم الطّعام وربّما أفسده، وفي ذلك مضرة عظيمة.

[لا يحلف على أحد ليأكل]

ومن آداب الأكل أن لا يحلف على أحد ليأكل، ولا على أحد إذا دعاه للأكل، إلّا إذا كان الأكل أو المدعوّ متلبّسا باحتشام فإنّه لا بأس بذلك.

قال ابن العماد⁽²⁾:

(1) نهاية الورقة (127/و).

(2) آداب الأكل (ص: 36).

وَإِنْ دَعَوْتَ فَلَا تَخْلِفْ عَلَى أَحَدٍ وَلَا لِيَأْكُلَ فَاسْمُ اللَّهِ ذُو جَلَلٍ

وهو معنى قول المصنّف رحمه الله تعالى: (أَتْرُكُ عَنْكَ الْقَسَمَ).

[تجنب رمي القشر]

وأشار بقوله: (لَا بِالْقَشْرِ رَامِيًا) إلى أنّه ينبغي للأكل إذا كان على المائدة نحو بطيخ أو رمان ممّا له قشر، أن يضع قشر ما أكله في طرف المائدة أو السفرة ولا يرمي به، لأنّه ربّما يقع على ثوب جليسه أو رأسه، وذلك يُخلّ بإنصاف المجلس ويوقع في سوء الأدب المنهيّ عنه شرعا.

قال ابن العماد⁽¹⁾:

وَإِنْ عَلَى طَبَقٍ بَطِيخِهِمْ وَضَعُوا فَضَعْ قُشُورَكَ وَقَتَ الْأَكْلِ فِي سُفْلِ
وَضَعْ نَوَى الثَّمَرِ وَالْبَزْقُوقِ فِي جِهَةٍ بِدُونِ خَلْطٍ تَكُنْ فِي النَّاسِ ذَا فَضْلٍ^{هـ}

[تقديم اللأكل المالح قبل الحلو]

وأشار رحمه الله تعالى بقوله:

627 - تَقْدِيمُ اللَّحْمِ أَبْخ وَابْدَأْ وَاخْتِمِ بِالْمِلْحِ
628 - فَلَا يَدُكَ تَمَسِّحْ بِالْخُبْزِ أَثْيَابِيَا

(1) آداب الأكل (ص: 29).

إلى أنه ينبغي للأكل أن يبدأ بالملح إن كان ويختم به.

[نهش اللحم بالأسنان والاستعانة بالسكين عند الحاجة]

ويتناول اللحم أولاً، ولا يقطعه بالسكين بل يقطعه⁽¹⁾ وينهشه بأسنانه إلا أن يكون عديم الأسنان، ولا يردّه إذا قُدّم إليه كالوسادة واللبن والحلوى والطيب والريحان، فإنه يُسنّ قبول ذلك⁽²⁾.

وفي المدخل «وقد فرّقت السنة المحمّدية بين اللحم والخبز، فجعلت العضّ والنهش في اللحم دون الخبز، فإنه لا يُعضّ حين الأكل ولا يُنهش بل يُكسر ويُأكل، وبعض الناس يتساهلون في ذلك، فيقطعون اللحم بالسكين إذا أرادوا أكله ومثله في الخبز»⁽³⁾.

وعن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقْطَعُوا اللَّحْمَ بِالسِّكِّينِ، فَإِنَّهُ مِنْ صَنِيعِ الْأَعَاجِمِ، وَانْهَشُوهُ فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ»⁽⁴⁾.

(1) في (هـ) يعضه.

(2) يدل عليه ما رواه مسلم (1766/4 رقم: 2253) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَرَضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ طَيِّبُ الرِّيحِ».

(3) المدخل (1/229).

(4) رواه أبو داود (349/3 رقم: 3778) وقال: «ليس هو بالقوى»، والبيهقي في السنن (456/7 رقم 14626)، وفي شعب الإيمان (65/8 رقم: 5506) وقال: «تفرد به أبو معشر المدني وليس بالقوى»، والديلمى (34/5 رقم: 7377)، وعده النسائي في سننه (171/4) حديثاً منكراً.

وأخرجه الترمذي بلفظ: «انْهَشُوا اللَّحْمَ نَهْشًا، فَإِنَّهُ أَهْذَأُ وَأَمْرَأُ»⁽¹⁾.

وأخرج البخاري من حديث عمرو بن أمية «أَنَّه رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَخْتَرُّ مِنْ كَتِفِ شَاةٍ فِي يَدِهِ، فَدَعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَلْقَاهَا»⁽²⁾ وَالسَّكِينِ الَّتِي يَخْتَرُّ بِهَا، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»⁽³⁾، اهـ⁽⁴⁾.

وصنيع البخاري يدل على الجواز مطلقا.

[مسح اليدين بعد الأكل]

وأشار بقوله: (فَلَا يَدُكَ تَمْسَحُ) إلخ إلى أنه ينبغي للأكل أن يمسح يده بعد الفراغ من الأكل بمنديل أو نحوه.

وفي المدخل: «وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمندلون بأقدامهم وفيه منفعة لها»⁽⁵⁾.

(1) رواه أحمد (9/24 رقم: 15300)، والترمذي (4/276 رقم: 1835)، والحاكم (4/126 رقم: 7103) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (8/49 رقم: 7333)، والبيهقي (7/280 رقم 14402) عن صفوان بن أمية رضي الله عنه، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/856): «سندُه منقطع»، وحسنه الحافظ في فتح الباري (9/547) لطرقه.

(2) في (هـ) فأنعاه.

(3) رواه البخاري (3/16 رقم: 5408)، والنسائي في الكبرى (6/267 رقم: 6734)، والدارمي (1/566 رقم: 754)، والبيهقي (1/238 رقم: 714).

(4) نهاية الورقة (127/ظ).

(5) المدخل (1/217).

وَرَوَى «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ مَسَحَ يَدَهُ بِظَهْرِ قَدَمِهِ»⁽¹⁾.

ولا يجوز للأكل أن يمسح في الخبز فإن فيه امتهاناً له، ولا ينبغي له أيضاً أن يمسح في ثيابه أو في السِّمَاطِ.
قال ابن العماد⁽²⁾:

وَالْعَقُّ يَدَيْكَ وَلَا تَمْسَحْ بِخُبْزِهِمْ وَلَا السِّمَاطِ وَكُنْ عَنْ ذَاكَ عَنْ عَدَلِ
تنبيهه [في استعظام نعمة الله وجلالة منته للقيام بشكره].

من أكد آداب الأكل استعظام نعمة الله تعالى وجلالة منته سبحانه على خلقه ليقوم بشكره، وذلك بأن ينظر فيما حضره من الطعام كم من عالم علوي وسفلي خدمه فيه، فقد قيل: «إِنَّ الرِّغِيفَ لَا يَحْضُرُ بَيْنَ يَدَيْ أَكْلِهِ حَتَّى يَخْدُمَهُ ثَلَاثُمِائَةَ وَسِتُّونَ عَالِمًا»، نقله ابن عطية في تفسيره⁽³⁾، فإذا علم ذلك تحقق عجزه عن القيام بشكره.

(1) رواه العتبي في المستخرجة عن مالك بلاغا ولم يسنده، وعلق عليه ابن رشد في البيان والتحصيل (130/1) بقوله: «إنما هو في مثل التمر والشيء الجاف الذي لا يتعلق بيده منه، إلا ما يذهب أدنى المسح، وأما مثل اللحم واللبن وما يكون له الدسم والودك فلا، لأن غسل اليد منه مما لا ينبغي تركه، وقد تلمّض رسول الله ﷺ من السوق، وهو أيسر من اللحم واللبن، وغسل عثمان بن عفان يده من اللحم وتلمّض منه، ذكر ذلك مالك في الموطأ، فهذا يدل على ما ذكرناه، والله أعلم».

(2) آداب الأكل (ص: 30).

(3) المحرر الوجيز (82/5).

[استحضار نية الاستعانة بالأكل على أداء الواجبات والمندوبات]

وينبغي أن يستحضر قبل التسمية أو معها نية الاستعانة بأكله على القيام بالواجبات والمندوبات كما مر في التقسيم.

ويضيف إلى ذلك نية الافتقار والاضطرار إلى الحق تعالى، مع ملاحظة تخليصه من آفة أكله، وأن له ملكاً موكلاً بالطعام وآخر بالشراب، فإذا أخذ لقمة سوغها له الملك، ومثله في الشراب، فإذا قُدر له أن يغصّ أو يشرق تخلى عنه الملك بإذن الله حتى ينفذ قَدر الله تعالى.

وليستشعر حال الأكل والشرب توقع الموت في كل لقمة وكل جرعة، وكثير من جرى عليه ذلك.

رُوي أنّ الحسن البصري رحمه الله تعالى قال في بعض مجالسه: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَ بِالنِّعَمِ قَتْلَ وَلَوْ كَانَ مَا كَانَ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَقْتُلُ بِالزَّبَدِ؟!

فَقَالَ: نَعَمْ.

فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ الْمَجْلِسِ قَالَ: لَا أَتَغَذَّى الْيَوْمَ إِلَّا بِالزَّبَدِ حَتَّى أَرَى مَا قَالَهُ الْحَسَنُ، فَأَخِذَ خُبْزًا وَزَبَدًا وَجَاءَ إِلَى بَيْتِهِ فَرَفَعَ لُقْمَةً فَأَكَلَهَا، فَعُصَّ بِهَا فَمَاتَ مِنْ حِينِهِ»⁽¹⁾، نسأله سبحانه وتعالى السلامة.

(1) لم أقف عليه.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلَكََيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ وَظِيفَتُهُمَا التَّسْوِيعَ لَيْسَ إِلَّا، وَلَهُ مَلَكٌ آخَرٌ مُوَكَّلٌ بِالْغِذَاءِ، فَيَقْسِمُهُ عَلَى الْبَدَنِ، فَيُرْسِلُ لِكُلِّ عَضْوٍ وَجَارِحَةٍ وَعِرْقٍ⁽¹⁾ مَا يُضْلِحُهُ بَعْدَ تَصْفِيَّتِهِ، فَيُعْطِي اللَّطِيفَ لِلطِّيفِ وَالْكَثِيفَ لِلْكَثِيفِ، وَمَلَكٌ آخَرٌ يَأْخُذُ مَا لَا مَصْلَحَةَ فِيهِ وَهُوَ الْفَضْلَةُ فَيُرْسِلُهَا لِلْمَصْرَانِ، فَلَوْ بَقِيَ مَعَهُ ذَلِكَ لَمَاتَ بِهِ، أَوْ زَادَ خُرُوجَهُ عَلَى الْعَادَةِ لَمَاتَ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُفْتَقِرٌ لِمَا يَأْكُلُهُ⁽²⁾، وَلَمَنْ يُسَوِّغُهُ، وَيَقْسِمُهُ، وَلَمَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَا يَضُرُّهُ مِنْهُ، فَالْعَبْدُ غَرَضٌ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ نَفْسٍ، وَأَنْفَاسِهِ عَلَيْهِ مَعْدُودَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾⁽³⁾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: «نَعُدُّ عَلَيْهِمُ الْأَنْفَاسَ»⁽⁵⁾.
حُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ «أَنَّهُ جَاءَ إِلَى شَخْصٍ يَزُورُهُ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي، فَأَوْجَزَ فِي صَلَاتِهِ وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَإِنِّي مَشْغُولٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَغَلَكَ؟ قَالَ: أَبَادِرُ خُرُوجَ رُوحِي»⁽⁶⁾.

(1) نهاية الورقة (128/و).

(2) في (ط) لمن يؤكله.

(3) سورة مريم: 84.

(4) [تعالى] ساقط من (ط).

(5) رواه الطبري في التفسير (253/18) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أَنْفَاسُهُمُ الَّتِي يَتَنَفَّسُونَ فِي الدُّنْيَا، فَهِيَ مَعْدُودَةٌ كَسِتِّهِمْ وَآجَالِهِمْ».

(6) رواه أبو نعيم في الحلية (335/7)، وابن أبي الدنيا في الزهد (ص: 44 رقم: 55) وفي قصر الأمل (ص: 103 رقم: 137) عن سلمة بن سعيد قال: «مَرَضَ دَاوُدُ الطَّائِي فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ حَدِيثٍ، قَالَ: دَعْنِي، فَإِنِّي إِنَّمَا أَبَادِرُ خُرُوجَ نَفْسِي».

ولمصالح الإنسان ملائكة عديدة غير ما تقدّم ذكره، لحفظه ولحراسته، فإذا نام حُرِسَ من الخشاش والجان وغيرهما، وإذا أراد به تعالى أمرا تخلّفوا عنه، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

وفي مسند ابن قانع⁽²⁾ عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «وَكَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَبْدِ سِتِّينَ وَثَلَاثُمِائَةَ مَلِكٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ، مِنْهُمْ سَبْعَةُ أُمَلَاكٍ بِالْبَصِيرِ، وَلَوْ وَكَّلَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ اخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ»⁽³⁾.

فإذا راقب العبد هذه الحكم تبين له قدر نعم الله تعالى عليه، وعلم أنّه لا يقدر على القيام بشكر الله إلاّ بفضل الله، وكما قيض له

(1) سورة الرعد: 11.

(2) في (ج) و (ط) و (هـ) ابن نافع وهو خطأ.

وابن قانع هو أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي، الإمام الحافظ البار، صاحب كتاب معجم الصحابة، توفي رحمه الله سنة 351 هـ . 962 م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (11/89 . 90)، وسير أعلام النبلاء (15/526)، وتاريخ الإسلام (26/58)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (3/333).

(3) رواه ابن قانع في معجم الصحابة (2/7)، والطبراني في الكبير (8/167 رقم: 7704)، والثعلبي في التفسير (10/179)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص: 96 رقم: 75)، والديلمي (4/384 رقم: 7117) وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: 917)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (7/209): «فيه غفير بن معدان، وهو ضعيف».

ملائكة تحرسه في حال الحياة قيض له ملائكة تستغفر له بعد الممات.

لما روي «أَنَّ الْحَفَظَةَ تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَتَقُولُ: يَا رَبَّنَا، وَكَلَّتْنَا بِعَبْدِكَ فُلَانٍ وَقَدْ مَاتَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَمَا نَفْعُ؟ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْزِلَا إِلَى قَبْرِهِ وَاعْبُدَانِي وَاكْتُبَا لَهُ ذَلِكَ فِي صَحِيفَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

فانظر إلى هذه المنة العظمى والكرم الشامل، اللهم لا تحرمنا ذلك يا ذا الفضل العظيم، اهـ.

ومن آداب نقيب السِّمَاطِ أَنَّهُ إِذَا رَأَى مُتَأَخِّرًا قَدَّمَهُ، أَوْ مُحْصُورًا فَسَحَ لَهُ، أَوْ فَرَّغَ الطَّعَامَ مِنْ نَاحِيَةِ أَبْدَلِهِمْ غَيْرِهِ إِنْ كَانَ.

[غسل اليدين قبل الطعام وبعده]

ومن آداب الأكل غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

(1) رواه أبو بكر البزاز في كتاب الفوائد (ص: 633 رقم: 846)، وابن عدي في الكامل (445/6) وابن الجوزي في الموضوعات (229/3) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده عثمان بن مطر، قال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل الاحتجاج به».

ورواه أبو نعيم في الحلية (253/7)، وابن الجوزي في الموضوعات (228/3) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي سنده إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي وهو ضعيف جدا كذاب، قال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الثقات وما لا أصل له، لا تحل الرواية عنه بحال».

ففي الحديث⁽¹⁾: «إِنْ غَسَلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ»⁽²⁾، وهو الجنون.

قال القُشَطَلَانِيُّ: «ولا ينشفهما قبل الأكل فإنه ربّما يكون بالمنديل وَسَخٌ»⁽³⁾.

ويُقَدَّم الصَّيَّان في الغسل الأوّل، لأنهم أقرب إلى الأوساخ، وربّما نفد الماء لو قُدِّم⁽⁴⁾ الشَّيْخ، وفي الغسل الثَّاني يُقَدَّم الشَّيْخ كرامة لهم.

وآداب الأكل كثيرة، اقتصر الشَّيْخ الإمام رحمه الله تعالى في أرجوزته هذه على المهمّ منها.

(1) نهاية الورقة (128/ظ).

(2) رواه الضياء في المختارة (205/1 رقم: 310) من رواية موسى الرضا عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ، وَيُصِحِّحُ الْبَصَرَ»، وضعفه العراقي المغني عن حمل الأسفار (433/1).

ورواه أحمد (135/39 رقم: 23732)، وأبو داود (345/3 رقم: 3761) وضعفه، والترمذي (282/4 رقم: 1846)، والحاكم (699/3 رقم: 6546)، والبزار (486/6 رقم: 2519)، والطبراني في الكبير (238/6 رقم: 6096)، والبيهقي (450/7 رقم: 14604) عن سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَرَكَهُ الطَّعَامُ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ، وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ»، وضعفه العراقي المغني عن حمل الأسفار (433/1).

(3) إرشاد الساري (250/8).

(4) في (هـ) لوقوع.

[نقيب الحضرة]

ولمّا فرغ من الكلام على ما يتعلّق بأداب نقيب السّماط، شرع في بيان آداب نقيب الحضرة، وهو أرفع النّقباء منزلة، فقال:

629 - وَالرَّابِعُ يَا فُقَرَا نَقِيئُكُمْ لِلْحَضْرَا

630 - بَابُ الشَّيْخِ بِلَا مِرَا نَائِبُ الْخِلَافِيَا

نقيب الحضرة هو مَنْ يأذن له الأستاذ بافتتاح الذِّكْرِ بالفقراء إخوانه، في الزّمن الذي يرتبه للذكر جماعة كالصّباح والعشيّة⁽¹⁾، أعني بعد صلاة الصّبح وبعد صلاة العصر، كما دلّ عليه الكتاب وصرّحت به السُّنّة.

وهو أعلى الفقراء مرتبة وأقربهم من الأستاذ منزلة.

وقوله: (بَابُ الشَّيْخِ) خبر مبتدأ محذوف تقديره هو.

إنّما كان باب الشَّيْخ لأنّه الواسطة بين الفقراء والأستاذ، فغالب أمور الفقراء تكون على يده، لأنّ جمهور الفقراء ربّما يتعذّر عليهم الوصول إلى الشَّيْخ، لأنّ الغالب عليه الاعتزال، وربّما يغلب على المريد الحياء فيتعذّر عليه الرّجوع إلى الأستاذ في كلّ أموره، بخلاف نقيب الحضرة فإنّه لا يغيب عنهم في الغدوّ والآصال.

(1) في (هـ) العشي.

[نقيب الحضرة نائب الشيخ وخليفته]

وفي قوله: (بَابُ الشَّيْخِ) استعارة لطيفة مكنية وتخيل، شبه الشيخ بالمكان المشتمل على الذخائر العظام والنفائس الفخام، لأنه مَحَطُّ رحال العارفين وكنز الفقراء والمساكين، وإسناد الباب إليه تخيل.

وقوله: (نَائِبُ الْخِلَافِيَا) يعني أنه قِيمُ الخلافة والنائب عن الأستاذ إذا غاب، والأحق بالقيام في مقامه إذا مات، فهو خليفته في التربية والترقية.

[آداب نقيب الحضرة]

وآدابه كثيرة منها ما أشار إليه بقوله:

631 - أَدْبُهُ يَا رَفِيقُ زَاهِدٌ عَارِفٌ بِالطَّرِيقِ

632 - وَارِعٌ حَلِيمٌ صَدِيقُ صُمُوتًا بَشُوشِيَا

الأدب تقدّم معناه.

و (الرَّفِيقُ) المُرَافِقُ، ويجمع على رُفَقَاءَ.

قال صاحب القاموس⁽¹⁾: «فَإِذَا تَفَرَّقُوا ذَهَبَ اسْمُ الرُّفْقَةِ لَا اسْمَ الرَّفِيقِ»⁽²⁾.

(1) نهاية الورقة (129/و).

(2) القاموس المحيط (ص: 887) مادة: رفق.

وقال الخليل⁽¹⁾: «الرَّفِيقُ الذي يُرَافِقُكَ، ولا يذهب اسم الرَّفِيقِ بالتَّفَرُّقِ»⁽²⁾.

[الزهد والمعرفة باصول الطريق]

و (الزَّاهِدُ) التَّارِكُ ما لا يعنيه.

و (الْعَارِفُ بِالطَّرِيقِ) العارف بما يحتاج إليه المريدون من أصول طريق القوم وآدابه، وإن لم يكن متبحراً في ذلك، بل يكون له إطلاع على القدر الذي يحتاجه بعض إخوانه من أحوال الطريق ومسائل الفقه وعقائد أهل السُّنَّة والجماعة، لأنَّه خليفة الأستاذ ونائبه، وأن يكون له علم بما تيسر من كمالات القلوب وآفات النفوس ونحو ذلك، فاتَّصافه بما ذُكِرَ من الأدابات⁽³⁾ المتعيَّنة عليه.

[الورع عن المحارم والمكاهره]

ومنها أن يكون متّصفا بالورع عن المحارم والمكاهره، وبالجلم وهو الصّفح والإعراض عمّن آذاه، والسّتر والتّجاوز عمّا رآه.

(1) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، شيخ سيبويه، كان عبقرياً ذكياً، غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس، وهو أول من أستخرج علم العروض، من مؤلفاته كتاب العين الذي اشتهر به، توفي رحمه الله سنة 170هـ - 786م، وقيل سنة 175هـ - 791م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (7/ 429 - 431)، ووفيات الأعيان (2/ 244 - 248)، وبغية الوعاة (1/ 557 - 560).

(2) كتاب العين (5/ 149) مادة: رفق.

(3) في (ط) الآداب.

[صدق المودة للإخوان وطول الصمت]

ومنها أن يكون بَيْنَ الصَّدَاقَةِ للفقراء إخوانه،
واشتقاق الصديق من الصّدق في الودّ والنّصر والنّصح.

وأن يكون كثير الصّمت، كما أفاده كلام المصنّف رحمه الله
تعالى، حيث عبّر بـ (صَمُوت) على زنة فَعُول إشارة للمبالغة في ذلك.

[البشاشة في وجوه الإخوان]

وأن يكون كثير البشاشة مع الفقراء، بل مع المؤمنين كافّة، لما
في ذلك من النّفع التّام، وحصول الإقبال على الطّريق والميل إليه من
الخاصّ والعامّ، ولأنّ البشاشة من صفة أنبياء الله تعالى الكرام عليهم
الصّلاة والسّلام.

[تعليم المريدين آداب الذكر]

ومنها ما أشار إليه بقوله:

633 - يُعَلِّمُ الْمُرِيدِينَ أَدَابَاتِ الذَّاكِرِينَ

634 - يُنْزِلُ الْقَاصِدِينَ مَجَالِسَ الْجَمْعِيَا

يعني من آداب نقيب الحضرة القيام بوظيفة تعليم الإخوان
المريدين سلوك طريق القوم وآداب الذكر المتقدّم ذكرها، وآدابهم مع
شيخهم وإخوانهم، وآدابهم في مجلس الذكر، ويكون مستحضرا لها
الاستحضار التّام.

ومن آدابه تنزيله للواردين على الشّيخ أو إلى مجلس الذكر
جماعة.

[تعليم المريدین الأدب مع الشيخ]

قوله:

- 635 - يُنَبِّهُ الْأَدَابَاتِ مَعَ الشَّيْخِ يَا فَتَاتِ
636 - لَا يُكْثِرُ بِاللِّتَفَاتِ لِغَيْرِ ضَرُورِيَا
637 - لَا يَمَزُحُ وَلَا يَغْبِثُ لَا بِمَدْحٍ يَكْثُرُ
638 - لَا يُضْغِ لِمَنْ حَدَّثَ لِلتَّغْلِيمِ مُصَدِّيًا

في المصباح: «الأدبُ يقع على كلِّ رياضةٍ محمودةٍ يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، قاله أبو زيد الأنصاري⁽¹⁾.

وقال الأزهرى نحوه.

ويجمع على آدابٍ مثل سببٍ وأسبابٍ»⁽²⁾.

وجمعه المصتف رحمة الله تعالى بالألف والتاء لتضمينه معنى الرياضة.

يقال: أدبته أدباً، من باب ضرب، علَّمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

وهو عند أهل الحقيقة على أربعة أنواع: أدب الشريعة، وأدب الخدمة، وأدب الحق، وأدب الحقيقة، وهو جماع كل خير، اهـ.

(1) نهاية الورقة (129/ظ).

(2) المصباح المنير (9/1) مادة: أدب.

قوله: (يُنْبَهُ) مضارع نَبَهَ للأمر نَبَهًا فهو نَبِيٌّ، من باب تَعَبَ، لازم ويتعدى بالهمزة والتضعيف⁽¹⁾.

والمعنى من آدابه أيضا إيقاظ المريدين من نوم غفلتهم عن الآداب المطلوبة منهم مع الأستاذ، عند مذاكرته الفقراء.

[حسن الهيئة وجمال السمات]

ومن آدابه أيضا أن يكون على أجمل حال وأحسن هيئة وأكمل سَمْتٍ، صاحب سَكِينَةٍ ووقارٍ، فلا يكثُر الالتفات يمينا وشمالا ولا أماما ولا خلفا لغير ضرورة تدعو لذلك، فإنَّ ذلك أمارَة الطَّيِّش وخفَّة الحِلْم.

[ترك المزاح]

ومن آدابه أن لا يكون كثير المزاح، لا يصلح إلاَّ للكمال، لأن التنازل⁽²⁾ به مع النَّاس على حسب طباعهم، لا يقوم به إلاَّ الخواصَّ الذين وقفوا مواقف الرِّجال ولبسوا ملابس الأعمال والأحوال، فإنَّهم لا يخرجون فيه عن حدِّ الاعتدال، فلا يصلح للمريدين ولا لِمَن يخالطهم كالنَّقِيب، ومن ثَمَّ جعلوا من آدابه ترك المزاح سدا للذريعة.

(1) المصباح المنير (591/2) مادة: نبه.

(2) في (هـ) التنزيل.

وقال بعضهم: «الإفراطُ فيه يُذهِبُ البَهَاءَ، وَيُجَرِّئُ عَلَيْكَ الشُّفَهَاءَ»⁽¹⁾.

وفي المواهب: «إن صادف المزاح مصلحة كان سُتَّةً، وإلا فمباحاً ما لم يبلغ إلى حدِّ الإفراط، فإذا بلغه كان حراماً أو مكروهاً»⁽²⁾.

[ترك العبث]

ومن آدابه أن لا يتَلَبَّسَ بشيء من العبث في جميع أحواله وأقواله وأفعاله، لأنه دليل السُّفَه.

«يقال: عَبَثَ عَبَثًا مِنْ بَابِ تَعَبَ، لَعِبَ وَعَمِلَ مَا لَا فَايْدَةَ فِيهِ فَهُوَ عَابِثٌ، وَعَبَثَ بِهِ الدَّهْرُ كِنَايَةً عَنْ تَقْلُبِهِ»، مصباح⁽³⁾.

[عدم الاكتراث بمدح الناس]

ومن آدابه أن لا يكثرث بمدح من مدحه، لأن قبول مدح النَّاس عيب عظيم، لما فيه من رؤية النَّفس بعين الكمال والرِّضا عنها، ولأنه يُحْدِثُ فِي النَّفْسِ كِبْرًا وَعُجْبًا وَفَتُورًا عَنِ الْعَمَلِ.

(1) نسبه الماوردي في أدب والدنيا الدين (ص: 311)، والراغب الأصفهاني في الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص: 202) إلى قول سعيد بن العاص لابنه: «اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجري عليك الشُّفَهَاءُ، وإن التَّقْصِيرَ فِيهِ يَفُضُّ عَنْكَ الْمُؤَانِسِينَ، وَيُوحِشُ مِنْكَ الْمُصَاحِبِينَ».

(2) انظر المواهب اللدنية (2/123)، وشرح المواهب للزرقاني (6/69).

(3) انظر المصباح المنير (2/389) مادة: عبث.

قال بعض العارفين: «مَنْ فَرِحَ بِمَدْحِ النَّاسِ فَقَدْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ»⁽¹⁾
أَنْ يَدْخُلَ فِي بَطْنِهِ»⁽²⁾.

وقال زياد بن أبي مسلم⁽³⁾ رحمه الله تعالى: «لَيْسَ أَحَدٌ يَسْمَعُ
ثَنَاءً عَلَيْهِ إِلَّا تَرَاءَى لَهُ الشَّيْطَانُ»⁽⁴⁾.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: «وإنما كرهوا المدح خيفة أن
يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الله تعالى، فكان اشتغال
قلوبهم بحالهم عند الله تعالى ييغض إليهم مدح الخلق»⁽⁵⁾.

قال الإمام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: «النَّاسُ يَمْدَحُونَكَ بِمَا
يَظُنُّونَ فِيكَ، فَكُنْ أَنْتَ دَائِمًا لِنَفْسِكَ بِمَا تَعَلَّمُهُ مِنْهَا»⁽⁶⁾.

(1) نهاية الورقة (130/و).

(2) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (289/3) كما أورده الشارح، ورواه أبو نعيم في
الحلية (287/6) عن مالك بن دينار قال: «مَنْ فَرِحَ بِمَدْحِ الْبَاطِلِ فَقَدْ اسْتَمَكَّنَ
الشَّيْطَانُ مِنْ دُخُولِ قَلْبِهِ».

(3) في (ج) و (هـ) و (ط) زياد بن مسلم، وهو خطأ.
وزياد بن أبي مسلم هو أبو عمر الفراء البصري، ذكره ابن حبان في الثقات وقال:
كان من عبّاد أهل البُصرة، روى عن الحسن البصري، وأبي العالية، وسعيد بن
جبير، وعنه ابن المبارك ووكيع وأبو نعيم، ولم يذكروا تاريخ وفاته.
له ترجمة في: والتعديل (546/3 ترجمة 2466)، وتهذيب الكمال (514/9. 516)،
وتهذيب التهذيب (385/3).

(4) ذكره المحاسبي في آداب النفوس (ص: 99)، والغزالي في إحياء علوم الدين (160/3).

(5) إحياء علوم الدين (290/3).

(6) الحكم (ص: 130 رقم: 142)، وشرح الحكم للشنوبلي (ص: 172) .

وقال رحمه الله تعالى: «أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينَ مَا عِنْدَهُ لِظَنِّ مَا عِنْدَ النَّاسِ»⁽¹⁾.

وقال بعض العارفين: «إِذَا قِيلَ لَكَ: نَعَمْ الرَّجُلُ أَنْتَ، فَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يُقَالَ⁽²⁾: بِئْسَ الرَّجُلُ أَنْتَ، فَأَنْتَ وَاللَّهِ بِئْسَ الرَّجُلُ»⁽³⁾، اهـ.

قلت: فَرَنْ نَفْسِكَ يَا أَخِي بهذا الميزان، تتحقق أنك نعم الإنسان أو بئس الإنسان، وليس الخبر كالعيان، فإنَّ الإنسان على نفسه بصيرة.

وقال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: «الْمُؤْمِنُ إِذَا مُدِحَ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُنْتَى عَلَيْهِ بِوَصْفٍ لَا يَشْهَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ»⁽⁴⁾، اهـ.

قال ابن عباد⁽⁵⁾ رحمه الله تعالى: «ذُمُّ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ وَاحْتِقَارُهَا لِمَا يَحَقُّقُهُ مِنْ عيوبها وآفاتِها مطلوب منه، لأنَّ ذلك يؤديه إلى الحذر من

(1) الحكم (ص: 130 رقم: 144)، وشرح الحكم للشرنوبلي (ص: 172) .

(2) في (ج) و (هـ) يقول.

(3) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (289/3)، ونسبه مكِّي بن أبي طالب في قوت القلوب (293/1) لسفيان الثوري رحمه الله.

(4) الحكم (ص: 130 رقم: 143)، وشرح الحكم للشرنوبلي (ص: 172) .

(5) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله النفزي الحميري، المعروف بابن عباد، الفقيه الصوفي العارف بالله، من مؤلفاته الرسائل الكبرى في التوحيد والتصوف، وغيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية يعرف بشرح النفزي على متن السكندري، وشرح أسماء الله الحسنى، توفي رحمه الله سنة 792 هـ - 1390 م.

له ترجمة في: نفح الطيب (341/5 - 350)، ونيل الابتهاج (ص: 472 - 476)، وكفاية المحتاج (ص: 369 - 372)، وشجرة النور (238/1).

غرورها وشرورها، فتصلح بذلك أعماله وتصدق أحواله، وإلا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفة عليها، ولا يصده عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له، لأنه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره.

وقال ﷺ: لَمَّا مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا: «قَطَعْتَ عُثْقَ صَاحِبِكَ، لَوْ سَمِعَكَ مَا أَفْلَحَ»⁽¹⁾.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «الْمَدْحُ الدَّبْحُ»⁽²⁾.

وقال ﷺ: «إِذَا مَدَحْتَ أَخَاكَ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا أَمْرَزْتَ عَلَى حَلْقِهِ مُوسَى»⁽³⁾⁽⁴⁾.

وعنه ﷺ: «أَخْشُوا الثَّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ»⁽⁵⁾، أشار بذلك ﷺ إلى عدم الرضا بالمدح، اهـ.

و (الاكْتِرَاتُ) المبالاة، يقال: مَا اكْتَرْتُ لَهُ، أي ما أبالي به⁽⁶⁾.

(1) متفق عليه عن أبي بكرة رضي الله عنه. رواه البخارى (1/589 رقم: 2662)، ومسلم (4/2296 رقم: 3000).

(2) رواه ابن أبي شيبة (5/297 رقم: 26263)، وأحمد في الزهد (ص: 97 رقم: 614) بسند صحيح.

(3) لأن المدح يحدث في الممدوح كثيرا ويجره غالبا إلى العجب والغرور فيهلك كما تهلك الشاة إذا ذُبَحَتْ بسكين حاد.

(4) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (2/13) من رواية يحيى بن جابر مرسلا.

(5) رواه أحمد (39/246 رقم: 23823)، ومسلم (4/2297 رقم: 3002)، وأبو داود (4/254 رقم: 4804)، والترمذي (4/599 رقم: 2393)، وابن ماجه (2/1232 رقم: 3742) عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

(6) انظر القاموس المحيط (ص: 174)، ولسان العرب (2/180) مادة: كرت.

[عدم الإصغاء لما لا يعني من الكلام]

ومن آدابه عدم الإصغاء لما لا يعني من الكلام، فلا ينبغي له الإصغاء لكل حديث خال عن فائدة دينية أو مصلحة دنيوية، والذي⁽¹⁾ يعني من الكلام وينبغي الإصغاء له محصور في ذكر الله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾⁽³⁾.

ويؤخذ من الآية الإعراض عن كل خائض بلسانه فيما لا يعنيه، لقوله ﷺ: «(مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ)»⁽⁴⁾، وهو ما لا فائدة فيه للعبد دنيا وأخرى، فاشتغاله به دليل على عدم حسن إسلام المرء، كما أن تركه دليل على حسن إسلامه، وحسن الإسلام عبارة عن قيام العبد بوظائف مقام⁽⁵⁾ الإسلام، وعدم حسن الإسلام عبارة عن عدم القيام بذلك.

(1) نهاية الورقة (130/ظ).

(2) سورة النساء: 114.

(3) سورة الأنعام: 68.

(4) رواه الترمذي (558/4 رقم: 2317) وقال: غريب، وابن ماجه (2/1315 رقم: 3976)، وابن حبان (466/1 رقم: 229)، والطبراني في الأوسط (3/188 رقم: 2881)، والقضاعي في مسند الشهاب (1/144 رقم: 192). والبيهقي في شعب الإيمان (4/255 رقم: 4987) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه النووي في رياض الصالحين (ص: 56)، وقال ابن حجر في الفتح (11/309): «أخرجه الترمذي وحسنه».

(5) في (ج) قيام.

وإنما نهوا عن الإصغاء لما لا يعني من القول، وخصوصاً مَنْ تأهّل لهذه المنقبة، لأنّ في ذلك شغل شاغل عمّا أريد منه، إذ ليس للقلب إلّا وجهة واحدة، فإذا توجّه إلى أمر أعرض عن غيره، فإذا أصغى إلى الأحاديث الدنيويّة لم تترك للأخيرة فيه نصيباً، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾⁽¹⁾.

وقوله: (لَا يُضْغ) مضارع مجزوم بلا الناهية.

وفي المصباح: «أَضْغَيْتُ الْإِنَاءَ أَمَلْتُهُ، وَأَضْغَيْتُ سَمْعِي وَرَأْسِي كَذَلِكَ، وَضْغَيْتُ إِلَى كَذَا مَلْتُ»⁽²⁾.

وفي القاموس: «وَأَضْغَى اسْتَمَعَ، وَإِلَيْهِ مَالٍ بِسَمْعِهِ»⁽³⁾.

[الحرص على التعلم واكتساب المعارف]

وأشار بقوله: (لِلتَّغْلِيمِ مُضْذِيًّا) إلى أنّ من آدابه أيضاً أن يكون متعرّضاً لتعليم نفسه ما جهلته من المعارف والعلوم المكتسبة الأصليّة والفرعيّة، العقلية والنقلية، ولتعليم إخوانه الآداب باللطف كما مرّ، لأنّ كمال النفس لا يتحقّق بدون ذلك، والمعارف والعلوم اللدنيّة المفاضة من الحضرة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾⁽⁴⁾.

وقوله: (مُضْذِيًّا) اسم فاعل، أصله مُتَضَذِيًّا حذفت التاء منه، ومعناه مُتَعَرِّضًا.

(1) سورة الأحزاب: 4.

(2) المصباح المنير (342/1) مادة: ضغي.

(3) القاموس المحيط (ص: 1303) مادة: صغا.

(4) سورة البقرة: 282.

يقال: تَصَدَّى أي تَعَرَّضَ، وأصله تَصَدَّدَ من الصَّدَدِ، وهو ما استقبلك وصار قبالتك، فأبدل أحد الأمثال حرف علة نحو تَقْضَى الْبَازِي، فَإِنَّ أصله تَقْضَضٌ⁽¹⁾.

[مراقبة أحوال الإخوان]

ثم قال رحمه الله تعالى:

639 - وَظِيفَتْهُ الْقِيَامُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَنَامِ

640 - وَيَفْعَلُ مَا يُرَامُ مَصْلَحَةً جَارِيًا

يقول رحمه الله تعالى: من وظائفه أيضا القيام⁽²⁾ على رؤوس الفقراء إخوانه من الأنام، ليفعل ما يراه مصلحة لهم⁽³⁾ مما جرت به العادة.

وفي التَّحفة: «ومن وظائفه القيام على رؤوس الفقراء، ويفعل ما يراه مصلحة مما جرت به العادة⁽⁴⁾»، اهـ.

و (الْوُظَيْفَةُ) كَسَفِينَةٍ، ما يقرَّر من عمل أو رزق أو طعام أو غير ذلك.

و (الْأَنَامُ) كَسَحَابٍ، الْخَلْقُ، أو الجن والإنس، أو جميع ما على وجه الأرض، اهـ⁽⁵⁾، قاموس⁽⁶⁾.

(1) انظر مشارق الأنوار (52/2) مادة: صدى.

(2) نهاية الورقة (131/و).

(3) [لهم] ساقط من (ج) و (هـ).

(4) في (هـ) العبادة.

(5) [اهـ] ساقط من (ج).

(6) القاموس المحيط (ص: 1077) مادة: الأنام.

و (المَصْلَحَةُ) مَفْعَلَةٌ، من الصلاح ضد المفسدة.

و (الفِعْلُ) «إحداث كل شيء من عمل أو غيره»⁽¹⁾، قاله الصغاني⁽²⁾.

وقال الجويني⁽³⁾: «الفعل ما يكون في زمن يسير بلا تكرار، والعمل ما تكرر وطال زمانه واستمر»⁽⁴⁾.

(1) انظر القاموس المحيط (ص: 1043)، ولسان العرب (528/11) مادة: فعل.

(2) هو الإمام رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العدوي العمري الحنفي الصغاني - بفتح الصاد المهملة وتخفيف الغين المعجمة - ويقال الصاغانى بالألف - حامل لواء اللغة في زمانه، له من التصنيف: مجمع البحرين في اللغة، والتكملة على الصحاح، والعباب، توفي رحمه الله سنة 650 هـ - 1252 م.

له ترجمة في: بغية الوعاة (1/ 519 - 521)، وسير أعلام النبلاء (282/23 - 284)، وفوات الوفيات (1/ 358 - 360)،

(3) هو ركن الدولة إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أعلم المتأخرين الشافعيين في الأصول والفقه والكلام، ولد في جوين من نواحي خراسان، ورحل إلى بغداد ثم إلى مكة والمدينة ونيسابور وبها توفي رحمه الله سنة 478 هـ - 1185 م، من أهم مصنفاته البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب، والإرشاد، والشامل في أصول الدين، والعقيدة النظامية.

له ترجمة في: تبين كذب المفترى (ص: 278 - 285)، وسير أعلام النبلاء (468/18 - 477)، ووفيات الأعيان (3/ 167 - 170)، وشذرات الذهب (3/ 358 - 362)، وطبقات الشافعية الكبرى (5/ 165 - 222).

(4) انظر قول الجويني في تاج العروس (30/ 182) مادة: فعل.

وَرُدَّ بِحَدِيث «مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ»⁽¹⁾ يَا أَبَا عُمَيْرٍ»⁽²⁾.

وقال الراغب: «الفعل: التأثير مطلقاً، والعمل فعل يصدر من الحيوان بقصد، فهو أَخَصَّ، لأن الفعل قد يُنسَبُ للحيوانات التي يقع منها فعل بلا قصد، وقد يُنسَبُ للجُمادات»⁽³⁾.

[الرجوع إلى الشيخ في حل ما خفي عليه]

قوله:

641 - وَإِنْ خَفِيَ الْمُرَادُ سَأَلَ عَنْهُ الْأُسْتَاذُ

642 - بِأَدَابٍ وَأَنْفِرَادٍ خَفَضَ صَوْتٍ وَحَيَا

يقول: إن لم يهتد النقيب لما يراد، وخفي عليه وجهه، واشتبه عليه الإقدام والإحجام في فعل شيء أو تركه، فأدبه فيه الرجوع إلى أستاذه، فيسأله عنه بعد أن يجلس بين يديه بأدب وخفض صوت وغض بصر وتذلل وخجل.

(1) التُّغَيْرُ: مصغر نغر، وجمعه نغران، وهو طير كالعصفور محمر المنقار، يسميه أهل المدينة البلبل، انظر الصحاح للجوهري (833/2)، وتاج العروس (263/14)، مادة: نغر.

(2) متفق عليه. رواه البخاري (163/3 رقم: 6129)، ومسلم (1692/3 رقم: 2150) عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يَقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ نَعَرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا خَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبَسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْنُسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا».

(3) المفردات في غريب القرآن (ص: 640) مادة: فعل.

ومن آدابه أن يسأله منفردا وحده لا في ملاٍّ من الناس، فإن في ذلك من سوء الأدب ما لا يخفى.

[نقيب الحضرة واسطة بين الشيخ والمريدين]

وأشار بقوله رحمه الله تعالى:

- 643 - وَاسِطَةُ الْمُرِيدِينَ فِي أَمْرِ الْعَادَةِ وَالَّذِينَ
644 - تُخْبِرُ شَيْخَكَ يَا مُسْكِينُ سِوَى الْوَارِدِ وَالرُّؤْيَا
645 - لَا تُخْبِرُ بِهَا النَّقِيبُ بَلْ أَخْبَرَهَا لِلطَّبِيبِ
646 - فِي مَكَانِهِ الْقَرِيبِ إِلَّا إِنْ قَالَ اثْنِيَا

إلى أن نقيب الحضرة هو أرفع النقباء مرتبة، وأنه الواسطة بين المريدين والأستاذ، كما أن الأستاذ هو الواسطة بينهم وبين الله تعالى.

وذكر في التحفة أن من آدابه إذا رأى مريدا يكلم الشيخ في شيء قال له: إذا أردت شيئا أخبرني به نبلغه ونخبر به الأستاذ، إذا كان مما يتعلق بأمور العادة أو المسائل العلمية أو الآداب التي يحتاج إليها في الحال.

ثم قال: أمّا نحو واقعة أو رؤية أو وارد فلا يخبر به النقيب، بل يحكيه لشيخه ومتولي تربيته⁽¹⁾، لأنه هو المنتصب لمعالجته من أمراض قلبه وعلل نفسه، وهو معنى قول المصنف رحمه الله تعالى: (سِوَى الْوَارِدِ وَالرُّؤْيَا).

(1) نهاية الورقة (131/ظ).

والوارد في اصطلاح القوم عبارة عن كل ما يرد على القلب من
الخواطر المحموده والمعاني الغيبية من غير تعمد من العبد.

وأما الواقعة فهي عند أهل الله عبارة عما يرد على القلب من
عالم الغيب، بأي طريق كان، من خطاب أو مثال.

يعني أن الوارد والرؤيا لا يخبر المرید بهما النقيب⁽¹⁾، بل
يذكر ما حصل له من ذلك للشيخ مشافهة أو مكاتبة إن كان يعلم
صنعة الكتابة، لأنهما من الأسرار الربانية التي لا يباح إفشاؤها لغير
الأستاذ.

ولا يحكي ذلك للشيخ في محل اجتماع الإخوان أو بملا من
الناس، بل في وقت مناسب كزمن انفراد الشيخ في خلوته، أو انفراده
في جلوته، إلا إذا قال الشيخ: ائت يا مرید بما عندك مما رأيته أو ورد
عليك، فإنه يُبدي ما وقع له ولو بملا من الناس.

قال في التحفة: «وقد يكون قصد الشيخ بذلك توبيخه أو توبيخ
غيره، أو تنشيط بعض الحاضرين، أو غير ذلك من المقاصد
الحسنة».

وبالجملة فالمشايع العارفين مقاصد ما يدق فهمها ويعسر
إدراكها على غير أهل العناية، ممن نَوَّرَ الله تعالى قلوبهم وطَهَّرَ
أسرارهم، نفعا الله تعالى بهم، آمين.

(1) [بل يحكيه لشيخه ومتولي..... بهما النقيب] ساقط من (ه).

[الرد على أسئلة الإخوان]

قوله:

647 - إِذَا شَاوَرُوا النَّقِيبَ فِيمَا يَغْلَمُ يُحِيبُ

648 - إِكْرَامُهُ لِلْغَرِيبِ⁽¹⁾ يُرَغِّبُ نَهْجَ الْأَوْلِيَا

يريد رحمه الله تعالى أن من آدابه إذا شاوره الفقراء إخوانه في أمر من الأمور ورآه حسنا، أو سأله عن مسألة علمية من علم الشريعة أو علم الحقيقة أو غيرهما وهو يعرفها، أرشدهم إليها وبينها لهم على حسب ما تقتضيه أذهانهم، وإذا سأله عن أمر لا يعرفه ولا علم له به سأل الأستاذ عنه، وأجابهم لطلبتهم بما أجابه به الشيخ، وإذا سأله منكر معاند لا يعامله في الجواب بما يقتضيه حاله، بل يتلطف له ويجتهد في إزالة شبهته عسى أن يهديه الله تعالى إلى سواء السبيل.

[معاملة الغرباء بالإحسان]

ومن آدابه معاملة الغرباء من الإخوان بالإحسان إليهم⁽²⁾ بما يمكنه قولاً وفعلاً على حسب حاله، وبالإقبال عليهم والقيام بما يمكنه من قضاء مآربهم.

(1) في (ط) للقريب.

(2) نهاية الورقة (132/و).

روى أبو القاسم الأصبهاني⁽¹⁾ بسنده إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ثَلَاثُونَ حَقًّا، لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ: يَغْفِرُ زَلَّتَهُ، وَيَرْحَمُ عَثَرَتَهُ، وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ، وَيُقِيلُ عَثَرَتَهُ، وَيَقْبَلُ مَعْذَرَتَهُ، وَيَرُدُّ غَيْبَتَهُ، وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ، وَيَحْفَظُ خُلَّتَهُ، وَيَزْعَى ذِمَّتَهُ، وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ، وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ، وَيُكَافِئُ صِلَتَهُ، وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ، وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ، وَيَحْفَظُ حَلِيلَتَهُ، وَيَقْضِي حَاجَتَهُ، وَيُشْبِعُ مَسْأَلَتَهُ، وَيُسَمِّتُ عَطْسَتَهُ، وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ، وَيَرُدُّ سَلَامَتَهُ»⁽²⁾، وَيُطِيبُ كَلَامَهُ، وَيَبْرِئُ إِنْعَامَهُ، وَيَصَدِّقُ إِقْسَامَهُ، وَيَنْصُرُهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، وَيُؤَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ، وَأَمَّا نُصْرَتُهُ ظَالِمًا فَبِرْدِهِ عَنْ ظُلْمِهِ، وَأَمَّا نُصْرَتُهُ مَظْلُومًا فَبِإِعَانَتِهِ عَلَى أَخْذِ حَقِّهِ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ»⁽³⁾.

ومن آدابه إكرام الزائرين من الفقراء أو غيرهم، وتلقيهم بالبشاشة.

(1) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني الملقب بقوام السنة، وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارف بالمتون والأسانيد، صنف كتاب (الترغيب والترهيب، توفي رحمه الله سنة 535هـ - 1141م).

له ترجمة في: الأنساب للسمعاني (408/3)، وسير أعلام النبلاء (80/20 - 88)، والوفاء بالوفيات (127/7).

(2) في (ج) سلامه.

(3) رواه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (69/2 رقم: 1170) وقال ابن الملقن في البدر المنير (50/9): «وهو حديث منكر بهذه السياقة كلها».

[ترغيب الناس في الطريق]

قوله: (يُرْغَبُ نَهَجَ الْأَوْلِيَاءِ)، يريد رحمه الله تعالى أن من آدابه تحبيب الناس في طريق أولياء الله تعالى الصالحين، فإن الترغيب في طريق أولياء الله دليل محبتهم، ومحبة الأولياء ولاية، بدليل قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَهُ اللَّهُ فِي زُمْرَتِهِمْ»⁽¹⁾، رواه الطبراني في الكبير.

ومن ثمرات الترغيب في طريق القوم تكثير الإخوان، وفي الحديث: «رَأْسُ الْعَقْلِ التَّحَبُّبُ لِلنَّاسِ»⁽²⁾، اهـ.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (19/3 رقم: 2519) عن أبي قزافة رضي الله عنه، وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: 1719)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (282/10): «رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه».

ومعنى الحديث صحيح، يدل عليه ما رواه البخاري (173/3 رقم: 6171)، ومسلم (2032/4 رقم: 2639) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَا أَعْدَدْتَ لِلْسَّاعَةِ؟ قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا، بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ».

(2) رواه الطبراني في الصغير (20/2 رقم: 704)، والأوسط (120/5 رقم: 4847)، وأبو نعيم في الحلية (203/3)، والبيهقي في شعب الإيمان (406/10 رقم: 7705) عن علي رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (24/8): «فيه جماعة لم أعرفهم».

وورد الحديث من طرق يقوي بعضها بعضا، ولهذا قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: 362): «وفي الباب عن أنس، وجابر، وابن عباس، وعلي، ويتأكد بعضها ببعض»، وقال العجلوني في كشف الخفاء (483/1): «وفي الباب عن أنس وابن عباس وعلي يتقوى بعضها ببعض»، كما أورد عن ابن الغرس قال: «قال شيخنا: حديث حسن لغيره».

وأرفع درجات التحبب ترغيبهم فيما يوصلهم إلى مرضاة ربهم عز وجل، ولا ريب في أن ذلك وسيلة للتعاون على البر والتقوى المأمور به شرعا.

قوله: (يُرَغَّبُ) بسكون آخره للوزن، مضارع رَغِبَ كَسَمِعَ، يقال: رَغِبْتُ في الشيء ورَغِبْتُه، يتعدى بحر الجر وبنفسه، إذا أردته رَغْبًا بفتح الغين وسكونها.

وأراد بـ (يُرَغَّبُ) يحبب على سبيل التضمير والتمجيز والنهج، مثل: فلس الطريق الواسع.

[تعليم المريدين أدب المعاشرة والصحبة مع الشيخ]

ثم قال⁽¹⁾:

649 - لَا يَثْرُكُ الْمُرِيدِينَ عَلَى الشَّيْخِ جَاسِرِينَ

650 - غَيْرَ⁽²⁾ مُتَأَدِّبِينَ فَيُخْرَمُوا التَّزْكِيًا

يريد رحمه الله تعالى أن من جملة آدابه أن يعلم المريدين آداب المعاشرة والصحبة مع الشيخ، ولا يتركهم مهملين جاهلين ما ينبغي لهم من الأدب مع الأستاذ حتى يتجاسر أي يجترئ على الشيخ كل بذيء في السؤال ونحوه، لأن ذلك يسقط حُرْمَتَهُ عندهم فينقطع بسبب ذلك مددهم.

(1) في (هـ) ثم قال رحمه الله تعالى.

(2) نهاية الورقة (132/ظ).

لأن الطريق مبني ومؤسس على الأدب، ومن ترك الأدب حُرْمَ التَّرَقِّي والانتفاع، لأن ذلك لا يحصل للمريد إلا به، ومن أجل ذلك طالت المسافة على الذاكرين ولم يعثروا على أسرار الذكر وعجائبه التي لا تدخل تحت حَضَرٍ كما أشار إلى ذلك خاتمة العارفين سيدي محمد السنوسي رحمه الله تعالى في صغراه.

وقوله: (جَاسِرِينَ) جمع جَاسِرٍ، يقال: جَسَرَ على عدوه جُسُورًا، من باب قَعَدَ، اجْتَرَأَ عليه، والمراد منه هنا الأحوال والمقامات والمعارف.

[إنارة الطريق للشيخ وحمل عصاه وحمایته]

قوله:

651 - حَمَلَ الْعَصَا وَالْقَنْدِيلَ أَمَامَ الشَّيْخِ بِاللَّيْلِ

652 - وَبِالتَّخْصِينِ شُغْلَ بِنَفْسِهِ فَادِيًا

يعني أن من آدابه أيضا المشي بالقنديل ليلا أمام الشيخ، فَمَهْمَا توجه الشيخ إلى ناحية بالليل كان هو المباشر لذلك لا يترك غيره يتولاه أصلا، وإن كان للشيخ عصا يعتمد عليها في مشيه ويستعين بها في بعض شؤونه فعليه حملها عند عدم احتياج الأستاذ إليها.

ومن آدابه أنه إذا مشى مع الشيخ فليكن قريبا منه بحيث يسمع كلامه ويرد خطابه.

ومن آدابه أيضا الاشتغال بالتحاصين النافعة، ويقصد بذلك تحويط إخوانه من كل ما يؤذيهم.

ومن آدابه أيضا أن ينوي بمشيئه أمام الشيخ والإخوان فداءهم بنفسه، بحيث لو فاجأهم مكروه تلقاه بذاته، وبذل مهجته في دفعه عنهم.

وقوله: (حَمَلُ الْعَصَا) معطوف على قوله: (وَضَيْفَتُهُ الْقِيَامُ) بحذف العاطف للوزن.

وقوله: (شُغِلَ) بوزن فُعِلَ بكسر العين، أصله شَاغَلَ، اسم فاعل حذفت ألفه للوزن، أو صفة مشبهة كَكَتِفَ فلا حذف، يقال: شَغَلَهُ الأمرُ شَغْلًا، من باب نَفَعَ، فالأمرُ شَاغَلٌ⁽¹⁾ وهو مَشْغُولٌ⁽²⁾.

[السعي لقضاء حاجة المريدين وتفريق الهدايا عليهم]

قوله:

653 - وَضَيْفَتُهُ يَسْعَى لِلْفُقَرَاءِ جَامِعًا

654 - حَكَاهُ مَنْ قَدْ وَعَا وَتَفْرِيقُ الْهَدَايَا

يعني من آدابه أيضا السعي لجميع الفقراء وقت الحاجة إلى أحد منهم أو إلى جمعهم.

ومن آدابه ووظائفه تفريق ما يمنح الله تعالى به الفقراء من الهدايا وما شاكلها.

(1) نهاية الورقة (133/و).

(2) انظر المصباح المنير (316/1) مادة: شغل.

وفي القاموس: «الهدية كَغَيَّة⁽¹⁾، ما أُتِحَفَ به، والجمع هَدَايَا وَهَدَاوَى، وَبِكَسْرِ الْوَاوِ»⁽²⁾، فالألف من (الْهَدَايَا) في كلام المصنف رحمه الله تعالى بدل من هاء التأنيث للقافية.

وقوله: (جَامِعًا) حال من فاعل (يَسْعَى).

وقوله: (تَفْرِيقُ الْهَدَايَا) خبر مبتدأ محذوف معطوف على (وَوَظِيفَتُهُ يَسْعَى)، والتقدير: ووظيفته تفريق، إلخ.

[حفظ ما يسقط من أغراض الذاكرين وإشعال المصاييح]

قوله:

655 - وَفِي حَالِ ذِكْرِهِمْ حَافِظٌ لِسَقْطِهِمْ

656 - إِصْلَاحُ سَرَاجِهِمْ وَاضِعُ الْبُخُورِ يَا

يريد رحمه الله تعالى أن من وظائفه أن يكون حافظاً لكل ما يسقط من ثياب الذاكرين أو غيرها نحو السبحة أو السواك وما شاكلهما، في حالة الذكر أو غيرها.

ومن وظائفه أيضاً إصلاح المصاييح والشموع حين الذكر، وكذلك إعطاء الطيب ووضع البخور بينهم كما أفاده قوله: (وَاضِعُ الْبُخُورِ يَا).

(1) في (ط) كغنية.

(2) القاموس المحيط (ص: 1345) مادة: الهدى.

و (يَا) حرف نداء، والمنادى محذوف لدلالة السياق عليه.

و (الْبَحُور) فَعُول⁽¹⁾، كَصَبُور، اسم لما يتبخر به.

وفي المصباح: «الْبَحُورُ: وَزَانُ رَسُولٍ، دُخْنَةٌ يُتَبَخَّرُ بِهَا»⁽²⁾.

[حمل سجادة الشيخ وبسطها وطئها]

ومن وظائفه ما أشار إليه بقوله:

657 - سَجَّادَةٌ حَمَلُهَا فَزَشُّهَا وَطِئُهَا

658 - لَهُ لَا يَطْأُهَا غَيْرُ شَيْخِ التَّرْبِيَا

(السَّجَّادَةُ): اسم لما يُتَّخَذُ للصلاة والسجود عُرْفًا، من الصوف أو غيره.

وأراد رحمه الله تعالى أن من وظائفه حمل سجادة الأستاذ، لا يتولى مباشرة ذلك غيره، وكذلك بسطها للشيخ إن أراد الجلوس أو الصلاة، وطئها إن فرغ من ذلك.

واللام من قوله: (لَهُ) بمعنى على، من باب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾⁽³⁾، وقوله ﷺ لعائشة رضي الله⁽⁴⁾ عنها: «اشْتَرِطِي لَهُمْ

(1) في (هـ) مفعول.

(2) المصباح المنير (37/1) مادة: بخر.

(3) سورة الإسراء: 7.

(4) في (هـ) الله تعالى.

الْوَلَاء»⁽¹⁾، والمعنى أن حمل السَّجَّادَةِ وفرشها وطبها متعين على نقيب الحضرة دون غيره، فهو من الوظائف المتمينة عليه.

و (الْفَرْشُ) ⁽²⁾ البَسْطُ.

وفي المصباح: «فَرَشْتُ البَسَاطَ وَغَيْرَهُ فَرْشًا، مِنْ بَابِ قَتَلَ، وَفِي لُغَةٍ مِنْ بَابِ ضَرَبَ، بَسَطْتُهُ»⁽³⁾.

و (الطِّي) ضد البسط.

ومن وظائفه أن لا يدع أحدا يطأ سجادة الشيخ ولا يجلس عليها، وهو المراد بقوله: (لَا يَطْؤُهَا غَيْرُ شَيْخِ التَّزْيِيَا).

وَألف (التَّزْيِيَا) بدل من هاء التأنيث للقافية.

[إيقاظ المريدين لقيام الليل]

قوله:

659 - مُوقِظًا لِلْفُقَرَا لِلْقِيَامِ بِلَا مَرَا

660 - بِلُطْفٍ أَوْ مَا جَرَى مِنْ أَلْفَاظِ الْهَدَايَا

يريد رحمه الله تعالى أن من وظائفه أيضا أن يكون موقظا للفقراء آخر الليل للقيام للصلاة والذكر وغيرهما من أنواع البر، لأن آخر

(1) متفق عليه. رواه البخاري (1/470 رقم : 2168)، ومسلم (2/1142 رقم : 1541).

(2) نهاية الورقة (133/ظ).

(3) المصباح المنير (2/468) مادة: فرش.

الليل وقت الغنائم، فلا ينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يهمله، بل يكون له منه نصيب ولو قَلَّ.

وقد ذكر الله تعالى في جملة من وعده بالرضوان والجنة والأزواج المطهرة المستغفرين بألسنتهم من أعمالهم وأحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد عليهم، والمستغفرين من التفاتهم إلى غير الله تعالى عند إشراق أنوار المشاهدة وأسرار⁽¹⁾ المكاشفة، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾⁽²⁾، أي في أفضل أوقاتهم عن تقصيراتهم في مراقبة بارئهم.

وقوله: (مَوْظًا) اسم فاعل من الإيقاظ.

في القاموس: «يَقْظُهُ تَيْقِظًا»⁽³⁾ وأَيْقَظَهُ: نَبَّهَهُ»⁽⁴⁾ اهـ.

فالثاني من باب أفْعَلَ، والأول من باب فعل المضعف منصوب بـ يكون محذوفا كما مرَّ تقديره.

وقوله: (بَلُطْفٍ) حال من (مَوْظًا).

والمراد بـ (أَلْفَاظِ الْهَدَايَةِ) الكلام الدال على الترغيب في القيام نظماً أو نثراً، كقوله: سار الركب وأنت نائم، أو هذا وقت التجليات فأين الراغبون، وهذا أوان المعاملات فأين الباذلون، أو مولاك يدعوك

(1) في (هـ) إشراف.

(2) سورة آل عمران: 17.

(3) [تَيْقِظًا] ساقط من (ط)، وفي (ج) تَيْقِظًا.

(4) القاموس المحيط (ص: 700) مادة: اليقظة.

إلى بابه وسيدك يطلبك للجلوس على موائد أحبابه، أو هل تدري ما جرى على القوم يا أسير الغفلة والنوم؟ ونحو ذلك مما يقتضي التنبيه والإيقاظ أو ينجز به أرباب القلوب الغلاظ.

وَأَلَفَ (الهِدَايَا) بَدَلَ مِنْ هَاءِ التَّأْنِيثِ، وَهِيَ الْإِرْشَادُ وَالِدَلَالَةُ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ التَّصَدُّقِ بِحُمْرِ النَّعَمِ»⁽¹⁾.

[تذكير الغافلين وتعليم الجاهلين وانتهاز الضاحكين]

وأشار بقوله⁽²⁾:

661 - فَالْغَافِلُ ذَكَّرَهُ وَالْجَاهِلُ عَلَّمَهُ

662 - وَالضَّاحِكُ نَهَّزَهُ وَوَعَّظَ الْمُوسِيَا

إلى بقية ما ذكره من وظائفه، وهي أنه مَهْمَا رَأَى مُرِيدًا مُسْتَغْرَقًا فِي بَحْرِ الْغَفْلَةِ ذَكَّرَهُ وَتَبَّهَهُ مِنْ نَوْمِ غَفْلَتِهِ، وَكَذَا إِذَا شَاهَدَ الْمُرِيدَ غَيْرَ عَارِفٍ بِمَسْأَلَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِدِينِهِ أَوْ مُعَامَلَتِهِ أَوْ جَاهِلًا الْآدَابَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالذِّكْرِ أَوْ غَيْرِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعْلِيمُهُ ذَلِكَ وَإِرْشَادُهُ وَإِخْرَاجُهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهَالَاتِ، وَكَذَا إِذَا عَافَى مُرِيدًا مُتَلَبِّسًا بِكَثْرَةِ الضَّحِكِ نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَنَهَرَهُ.

(1) متفق عليه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، رواه البخاري (62/2) رقم: 3009، ومسلم (4/1872 رقم: 2406)، ولفظه: «فَوَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

(2) نهاية الورقة (134/و).

في المصباح: «نَهَرْتُهُ نَهْرًا مِنْ بَابِ نَفَعَ، زَجَرْتُهُ كَانْتَهَرْتُهُ»⁽¹⁾.

وذلك لأن الضحك يمت القلب، ويذهب بنور الوجه، ويورث الضغائن، ويسقط المهابة والوقار.

وقد ذم الله تعالى أقواما بسبب الضحك فقال تعالى: ﴿أَفِنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۖ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾⁽²⁾ أي لا هـون معرضون.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾⁽³⁾.

وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَضْحَكُ بِهَا جُلَسَاءُهُ، فَيَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا»⁽⁴⁾.

وقال ﷺ: «لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»⁽⁵⁾.

(1) المصباح المنير (627/2) مادة: نهر.

(2) سورة النجم: 59 - 61.

(3) سورة التوبة: 82.

(4) رواه أحمد (120/15 رقم: 9220)، وابن المبارك في الزهد (332/1 رقم: 948)،

وابن حبان (24/13 رقم: 5716)، وأبو نعيم في الحلية (164/3)، وابن أبي الدنيا

في الصمت (ص: 76 رقم: 71) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وسنده حسن لغيره.

(5) رواه أحمد (405/35 رقم: 21516) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

وأصل الحديث متفق عليه عن أنس رضي الله عنه. رواه البخاري (422/2) رقم:

4621، ومسلم (320/1 رقم: 426) بلفظ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا،

وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

وروى البغوي⁽¹⁾ بسنده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى⁽²⁾ عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلٌ، حَتَّى تَنْقَطَعَ الدَّمُوعُ فَتَسِيلَ الدِّمَاءُ، فَتَفْرَحَ⁽³⁾ الْعُيُونُ، فَلَوْ أَنَّ سُفُنًا⁽⁴⁾ أُجْرِيَتْ فِيهِ لَجَرَتْ»⁽⁵⁾، اهـ.

والضحك إنما يصدر عن الأمن، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى⁽⁶⁾: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، فَإِذَا أَمِنِي فِي الدُّنْيَا خَوْفُهُ يَوْمَ الْآخِرَةِ⁽⁷⁾، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمِنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁸⁾، اهـ.

(1) هو محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، الفقيه، المحدث، المفسر، توفي رحمه الله بمرور الروذ مدينة من مدائن خراسان سنة 510 هـ - 1117 م.
له ترجمة في: وفيات الأعيان (2/ 136 - 137)، وسير أعلام النبلاء (439/19 - 443)، وطبقات الشافعية الكبرى (75/7 - 80).

(2) [تعالى] ساقط من (ط).

(3) في (ج) و (ط) فتفرغ.

(4) في (ج) و (هـ) و (ط) شعبا.

(5) رواه ابن المبارك في الزهد (85/2)، وأبو يعلى (7/ 161 رقم: 4134)، والبغوي في شرح السنة (15/ 252 رقم: 4418)، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (1/ 314 رقم: 527) بسند ضعيف.

(6) في (ط) قال تعالى.

(7) في (هـ) خوفته في الآخرة.

(8) رواه ابن المبارك في الزهد (1/ 50 رقم: 158)، وابن حبان (2/ 406 رقم: 640)، والبخاري (14/ 342 رقم: 8029)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 223 رقم: 759)، وهو حديث حسن.

والضحك يضاد الخوف، فلذلك نُهي عنه.

ومن وظائفه أنه إذا أبصر مريدا متلبسا بحرام أو مكروه أو خلاف الأولى نهاه وزجره ووعظه، فلا يجوز له أن يُقرَّ أحدا على منكر، ولا يتساهل في شيء ممَّا ذُكر.

و (المُسيء) هو خلاف المحسن، اسم فاعل⁽¹⁾ من الإساءة، وكل من تلبَّس بما لا ينبغي قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً فهو غير محسن، ويجب على من علم منه ذلك أن ينهائه ويعظه ويبين له قُبْحَهُ كي يتخلى عنه.

[مراقبة المريدين في معاملاتهم وأموالهم]

قوله:

663 - لَا يَغْفُلُ عَنِ الْمُرِيدِ بَلْ يَدَقُّقُ بِالْوَعِيدِ

664 - عَلَى ظَنِّهِ الْمُفِيدِ وَلَوْ عَنْهُ قَاصِيَا

يريد رحمه الله تعالى أن من وظائفه اللازمة أن لا يتغافل عن المريدين، لا في أمور معاملتهم ولا في أمور الدين، بل لا يعاملهم إلا بما يُرجَّحُ خوفهم على رجائهم، ويحثهم على الأخذ بالعزائم ويحذرهم من تتبع الرخص، فإن الحائم حول الحمى يُوشِكُ يقع فيه.

وإن الخوف من الله ينبوع خير الدنيا وخير الآخرة، بل يدقق عليهم بزواج الوعيد من الكتاب والسنة وكلام أرباب المعرفة والحكمة، كحَكَمِ الإمام أبي مدين وحَكَمِ الشيخ سيدي أحمد بن عطاء الله - رحمهما الله تعالى - ونحوهما.

(1) نهاية الورقة (134/ظ).

والتدقيق الإتيان بالكلام الخَفِيِّ الذي لا يكاد يفهمه إلا الأذكياء،
وأراد به هنا دقيق المواعظ التي تنفعل⁽¹⁾ لها النفوس بإذن الله تعالى
وتوفيقه.

ومن وظائفه أن يؤاخذهم بما يغلب على ظنه قبحه وعدم
ملائمته لحال إخوانه ومقامهم وإن لم يتحققه، مبالغة في النصح لهم
وقياما بكمال الشفقة عليهم، خشية من الانقطاع أو الوقوع فيما هو
مخالف للكتاب أو السنة والإجماع.

وقوله: (عَلَى ظَنِّهِ) المجرور مضاف لمحذوف أُقِيمَ المضاف إليه
مقامه، تقديره على حسب ظنه، وهو يحتمل أن يكون متعلقا بقوله:
(وَيُدَقِّقُ)، وأن يكون متعلقا بفعل محذوف تقديره: ويؤاخذ نقيبُ
الحضرة المريد بما يغلب على ظنه القوي المفيد لما يقرب من اليقين
قُبْحُهُ شرعا أو عقلا أو عرفا احتياطا، وإن كان العبرة بالأول ليس إلا.

وقوله رحمه الله تعالى: (وَلَوْ كَانَ قَاصِيًا) أي بعيدا عنه غير
متحقق، ولا يتجاوز ويسامحه بل يشدد عليه.

(1) في (هـ) لا تنفعل.

[الكاتب]

وأشار بقوله:

665 - وَقَدْ زَادُوا يَا مَقْدَامَ أَزْيَعَةً بِالدَّوَامِ

666 - كَاتِبٌ سَيَّارٌ عَلَّامٌ رَابِعٌ شَاوِشِيَا

إلى ما اصطلاح عليه مشايخ المغرب⁽¹⁾، فإن بعضهم يتخذ كاتباً من الفقهاء.

[صفات الكاتب]

وينبغي أن يكون وَرِعًا ذكيًا، زاهدا نقيًا، عارفا بعلم اللسان والمقصود والممدود والمقطوع⁽²⁾ والموصول والمذكر والمؤنث. ويكون له بصر بالهجاء، فإن الخطأ في الهجاء كالخطأ في الكلام. ويكون لين الجانب، متصفا بنزاهة النفس، وسماحة الأخلاق، وحسن المعاملة مع الناس، والنصيحة التامة لأنها من أعظم منافع الإسلام، ولذلك حثَّ عليها النبي عليه الصلاة والسلام⁽³⁾.

(1) أي مشايخ المغرب العربي الإسلامي.

(2) نهاية الورقة (135/و).

(3) أشار إلى ما رواه البخاري في صحيحه (24/1) تعليقا، ووصله مسلم (74/1) رقم:

55) عن تميم الدَّارِي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

[وظيفة الكاتب]

ووظيفته كتب الرسائل التي يوجهها الشيخ للمريدين النائين عنه أو غيرهم، وأجوبته الكتب الواردة على الشيخ إن أذن له في ذلك⁽¹⁾.

وينبغي له أن يكتب لمن احتاج إلى ذلك من الفقراء كتابا أو جوابا، عملا بقوله ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»⁽²⁾.

وتكون هجرته وعمله لله تعالى لا يريد جزاء ولا شكورا.

[السيار]

وكذلك يتخذ من خيار الفقراء وزهادهم سَيَّارًا، مشتقا من السَّيْرِ، وهو المُضَيِّ في الأرض والذهاب فيها.

يكون عارفا بالأقطار وسُبُلها متمهرا في معرفة مسالكها.

[وظيفة السيار]

وظيفته السير في الأرض لمن يوجه الأستاذ أو غيره له كتابا أو جوابا متعلقا بأمر من أمور الشريعة أو الطريقة أو الحقيقة، وسواء كان ذلك من قبيل ما يرجع إلى العبادات أو المعاملات، بخلاف ما كان من قبيل الإخبار والاستخبار فإنه لا يجوز عند القوم وإن اختلفت فيه أقوال الفقهاء.

(1) في (هـ) أذنه في ذلك.

(2) رواه أحمد (136/22 رقم: 14231)، ومسلم (406/4 رقم: 1726)، وابن حبان (290/2 رقم: 532)، والحاكم (460/4 رقم: 8277) عن جابر رضي الله عنه.

وفي الفتاوى البزازية⁽¹⁾: «قيل يكره الإخبار لا الاستخبار، لأن الزمان زمان فتنة، وقيل لا بأس بالإخبار والاستخبار».

قلت: المختار المنع وعدم الجواز سدا للذريعة وتمسكا بطريقة القوم رحمهم الله تعالى وحشرنا في زمريهم.

[صفات السيار]

ومما ينبغي له أن يكون وَرِعًا، عفيفًا، صابرا، حازما، صاحب نجدة، فصيحًا، عارفا بلغات تلك الأقطار، غير عاجز عن الضرب في الأرض في الليل والنهار.

[العلام]

وكذلك مما اختاره المشايخ المتأخرون اتخاذ العَلَم، بوزن القَلَم، وهو راية صغيرة.

والمُعَيَّن من الفقراء لحملها عند التوجه لزيارة الأستاذ أو قبره أو نحو ذلك يُسَمَّى عَلَامًا، وينبغي أن يكون ورعا صابرا شجاعا حليما.

[الشاويش]

وكذلك اتخاذ من يقوم بقضاء حوائج الإخوان⁽²⁾، وبالسعي في مآربهم، كإعانتهم في ولائهم، أو تجهيز ميتهم، أو جمع الفقراء

(1) الفتاوى البزازية، وتسمى الجامع الوجيز، وهي فتاوى في فقه الحنفية، لحافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف العمادي الكردي الحنفي المعروف بالبزازي، المتوفى سنة 827هـ - 1423م.

له ترجمته في: الضوء اللامع (37/10)، وشذرات الذهب (157/7)، والأعلام (45/7).
(2) نهاية الورقة (135/ظ).

لتشيع جنازهم، وتولي البيع والابتياح للعاجز منهم من الذكور أو الإناث، وغير ذلك.

روي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعالى⁽¹⁾ مرفوعاً⁽²⁾: «يَا عَجَبًا لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ يَجِيئُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فِي حَاجَةٍ فَلَا يَرَى نَفْسَهُ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، فَلَوْ كَانَ لَا يَزْجُو ثَوَابًا وَلَا يَخْشَى عِقَابًا، لَكَانَ لَهُ أَنْ يُسَارِعَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاةِ⁽³⁾»⁽⁴⁾.

وقد روي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه «كَانَ يَقِفُ عَلَى أَبْوَابِ النِّسَاءِ الْأَرَامِلِ وَيَقُولُ: أَلَكُنَّ حَاجَةً، وَأَيَّتُكُنَّ تُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ لَهَا شَيْئًا»⁽⁵⁾، اهـ.

[وظائف الشاويش]

ومن وظائفه القيام بمآرب الأستاذ، وملازمة بابه في غالب أوقاته، ويسمونه شويشا، وهذا اللقب غير عربي، ومعناه باللغة العجمية⁽⁶⁾.

(1) [تعالى] ساقط من (ط).

(2) أي رفع الحديث إلى النبي ﷺ.

(3) كذا في (ج) و (ط)، وفي الشعب وابن عساكر النجاح.

(4) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (358/11)، والبيهقي في شعب الإيمان (373/10) رقم: 7649، وفي دلائل النبوة (341/5) بسند ضعيف.

(5) انظر سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (469/2).

(6) في هامش (ج) و (ط) بياض في الأصل، وفي نسخة (هـ) بياض بقدر نصف سطر.

[صفات الشاويش]

وينبغي أن يكون زاهدا تقيا عفيفا ورعا، لا يريد بسعيه اكتساب محمدا ولا جلب منفعة، بل يحتسبه على الله تعالى راجيا رضاه يوم لقاءه، لأن نعيم الدنيا ورخاءها ليس برخاء ونعيم، إنما الرخاء والنعيم في الآخرة، فالعارف من يكون شغله وهمته في رضا⁽¹⁾ ربه وجهاد عدوه شيطانه ونفسه، لا حول ولا قوة إلا بالله.

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي⁽²⁾

فإنا لله وإنا إليه راجعون من نفسي وكسلي وتجرد علمي من عملي، اهـ.

وقاصدا بصنعه في قضاء مآرب خلق الله الانتظام في سلك المحبوبين عند الله، لحديث «الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»⁽³⁾.

[مدار آداب النقباء على الإخلاص]

قوله:

667 - آدَابُهُمْ يَا نُظَّازَ تَقَدَّمْتُ بِاخْتِصَارِ

668 - إِخْلَاصُهُمْ وَالْمَدَازَ عَلَى الصِّدْقِ وَالنِّيَا

(1) في (ط) رضاء.

(2) البيت لعمر بن معدى كرب بن ربيعة الزُّبَيْدِيّ، انظر شعر عمرو بن معدى كرب (ص: 113).

(3) سبق تخريجه.

النُّظَارُ جمع نَاطِرٍ، مثل كُفَّارٍ وكَافِرٍ، بمعنى البصراء، أي العارفون بما للنفس وما عليها، لأنهم الذين ينبغي توجيه الخطاب إليهم دون غيرهم.

والضمير في (آدابهم) عائد على النقباء الأربعة المتقدم ذكر جلّ آدابهم.

وأشار بقوله: (تَقَدَّمْتُ بِاخْتِصَارٍ) إلى أنه لم يستوف جميع آدابهم وإنما ذكر بعضها.

و (المَدَارُ) محل دوران الشيء، كالدائرة حقيقة في الأجسام ومجازا في المعاني، والمراد به هنا الصفات الثلاث، لأن كل الآداب منوطة بها يتوقف ثبوتها وتحققها عليها.

و (الإِخْلَاصُ) لغة ترك الرياء⁽¹⁾ في الطاعة.

وعرفا: تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه، بكل ما يتصور أن يشوبه غيره، إذا صفا عن شَوْبِهِ وَخَلَصَ مِنْهُ سُمِّيَ خَالِصًا، وَيُسَمَّى الفعل المخلص إخلاصا.

وقال سيدي أبو القاسم الجُنَيْد رحمه الله تعالى ونفع به: «الإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ اللَّهِ⁽²⁾ وَبَيْنَ الْعَبْدِ، لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ، وَلَا هَوًى فَيُمِيلُهُ»⁽³⁾.

(1) نهاية الورقة (136/و).

(2) في (هـ) الله تعالى.

(3) رواه القشيري في الرسالة (361/2).

وقيل: الإخلاص فَقَدْ رُؤْيَا الإِخْلَاصِ.

وقيل: مَتَى أَرَادَ الْعَامِلُ عَلَى عَمَلِهِ عَوْضًا مِنْهُ تَعَالَى فِي الدَّارَيْنِ
لَمْ يَكُنْ مُخْلِصًا.

ومن ثَمَّ قيل: هو أَشَدُّ مَا عَلَى النَّفْسِ.

وفي حديث معاذ رضي الله تعالى (1) عنه: «أَخْلَصَ الْعَمَلُ يُجْزِيكَ
مِنْهُ الْقَلِيلُ» (2).

وقيل: الْمُخْلِصُ مَنْ يَكْتُمُ حَسَنَاتِهِ كَمَا يَكْتُمُ سَيِّئَاتِهِ.

وفي الإحياء: «رَكَعَتَانِ فِي خَلْوَةٍ بِإِخْلَاصٍ خَيْرٌ مِنْ كِتَابَةِ سَبْعِينَ
حَدِيثًا أَوْ سَبْعِمِائَةً تَغْلِقُ» (3).

(1) [تعالى] ساقط من (ط).

(2) رواه والحاكم (341/4 رقم: 7844) وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله:
غير صحيح، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (113/1 رقم: 99)،
وأبو نعيم في الحلية (244/1)، و البيهقي في شعب الإيمان (174/9 رقم: 6443)،
والديلمي في الفردوس (435/1 رقم: 1772)، ولفظه عندهم: «عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ
أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي قَالَ: أَخْلَصْ
دِينَكَ يَكْفِيكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ»، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص:
1746): «أَخْرَجَهُ أَبُو مَنْصُورِ الدِّيلَمِيِّ فِي مُسْنَدِ الْفَرْدُوسِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ وَإِسْنَادِهِ
مَنْقُطٌ».

(3) أورده أبو طالب المكي في قوت القلوب (276/2)، والغزالي في الإحياء (378/4)
من قول سَرِيِّ السَّقَطِيِّ رحمه الله.

وفي حديث البيهقي: «رُبُّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ»⁽¹⁾.

وعن بعضهم: «إِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ ثَلَاثًا وَمَنْعَهُ ثَلَاثًا، أَعْطَاهُ صُحْبَةَ الصَّالِحِينَ وَمَنْعَهُ الْقَبُولَ مِنْهُمْ، وَأَعْطَاهُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَمَنْعَهُ الْإِخْلَاصَ فِيهَا، وَأَعْطَاهُ الْحِكْمَةَ وَمَنْعَهُ الصِّدْقَ فِيهَا»⁽²⁾.

قيل: وَلَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِخْلَاصِ أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «قُلْ: اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِم»⁽³⁾، فالاستقامة في العمل هي الإخلاص.

(1) رواه الطبراني في الصغير (1/283 رقم: 387)، وأبو نعيم في الحلية (2/174)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/215 رقم: 4892) وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (1/175 رقم: 229)، والديلمي في الفردوس (1/15 رقم: 10)، جميعهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى الصَّلَاةُ، وَرُبُّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ»، وسنده ضعيف.

وقال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (7/321): «رواه الطبراني في الصغير، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه أبو زرعة، وبقيه رجاله ثقات». ورواه الحكيم الترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه كما في كنز العمال (3/61 رقم: 5495)، وكشف الخفاء (1/247)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (503/1 رقم: 2575).

(2) انظر إحياء علوم الدين (4/378).

(3) كذا أورده الشارح، وهو عند مسلم (1/65 رقم: 38) عن سفيان بن عبد الله الثَّقَفِي رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِم».

ورواه الترمذي (4/607 رقم: 2410)، وابن ماجه (2/1314 رقم: 3972) بلفظ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِم».

وفي الحديث القدسي: «الإخلاص سرٌّ من سِرِّي استودعته قلب من أحببت من عبادي»⁽¹⁾.

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «إذا صحَّ أضلَّ القصد فالعوارض لا تضُرُّ، كمحبة الرجل أن يرى في طريق المسجد ولا يرى في طريق السوق».

تتمة [في الأسباب المعينة على الإخلاص].

من الأسباب المعينة على الإخلاص العمل بما أشار إليه الإمام ابن عطاء الله في حكمه، من نحو قوله: «غَبَّ عَنْ نَظَرِ الْخَلْقِ إِلَيْكَ بِنَظَرِ الْحَقِّ إِلَيْكَ، وَغَبَّ عَنْ إِقْبَالِهِمْ عَلَيْكَ بِشُهُودِ إِقْبَالِهِ عَلَيْكَ»⁽²⁾.
«كَيْفَ تَطْلُبُ الْعَوَاضَ عَنْ عَمَلٍ هُوَ مُتَصَدِّقٌ بِهِ عَلَيْكَ؟ أَمْ كَيْفَ تَطْلُبُ الْجَزَاءَ عَلَى صَدَقٍ هُوَ مُهْدِيهِ إِلَيْكَ؟»⁽³⁾.

(1) رواه الديلمي في الفردوس (187/3 رقم: 4513) عن علي وابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف.

وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: 1746): «روياه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلا يقول كل واحد من رواته: سألت فلانا عن الإخلاص فقال، وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمي عن عبد الواحد بن زيد عن حذيفة عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى، وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف».

ورواه الترمذي (607/4 رقم: 2410)، وابن ماجه (1314/2 رقم: 3972) بلفظ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ».

(2) الحكم العطائية (ص: 132)، وشرح الحكم للشرنوبى (ص: 181).

(3) الحكم العطائية (ص: 148)، وشرح الحكم للشرنوبى (ص: 239).

«كَفَى مِنْ جَزَائِهِ إِيَّاكَ عَلَى الطَّاعَةِ أَنْ رَضِيكَ لَهَا أَهْلًا»⁽¹⁾.

«لَا تُفْرِحُكَ الطَّاعَةُ لِأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْكَ، وَافْرَحَ بِهَا لِأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْ
اللَّهِ إِلَيْكَ» ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾⁽²⁾،⁽³⁾.

[صفة الصدق]

و (الصِّدْقُ) قال القشيري رحمه الله تعالى: «أن لا يكون في
أحوالك شوب، ولا في اعتقادك رَيْبٌ»⁽⁴⁾، ولا في أعمالك عَيْبٌ»، اهـ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾⁽⁵⁾.

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن
النبي ﷺ قال: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ
عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا»⁽⁶⁾.

(1) الحكم العطائية (ص: 122)، وشرح الحكم للشرنوبى (ص: 139).

(2) سورة يونس: 58.

(3) الحكم العطائية (ص: 116)، وشرح الحكم للشرنوبى (ص: 117).

(4) نهاية الورقة (136/ظ).

(5) سورة التوبة: 119.

(6) رواه الطبراني في الصغير (6/273 رقم: 3727)، ومسلم (4/2013 رقم: 2607)،

وأبو داود (4/297 رقم: 4989) والترمذي (4/348 رقم: 1971) جميعهم بلفظ: «مَا

يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا».

واللفظ الذي أورده الشارح رواه البزار (5/85 رقم: 1658)، والطبراني في الصغير

(2/8 رقم: 683)، وأبو نعيم في الحلية (5/43).

وقيل: الصدق عماد الدين وبه تمامه، وهو ثاني درجة النبوة، قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ﴾⁽¹⁾.

وروي «أَنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»⁽²⁾.

وثبت في الحديث «أَنَّ الْبِرَّ هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَأَنَّ الْإِثْمَ هُوَ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَكَرِهَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»⁽³⁾.

[أنواع الصدق ومراتبه]

واعلم أن الصدق يشمل الصدق في القول والنية والإرادة والعزم، وصدق الوفاء والوعد، وصدق العمل، فالصدق تحقيق المقامات، ولهذا قيل: من اتصف بهذه الأمور السَّيِّئَةِ كان صَدِيقًا.

وهو على مراتب، ففي البدايات الصدق في الأقوال والأعمال، وفي المعاملات الصدق في الرعاية والمراقبة وما بينهما من الأعمال في الطمس بنور القدس، وفي النهايات الصدق في محو الرسم في عين الحق.

[تعريف النية]

قوله: (وَالنِّيَا) الألف بدل من هاء التأنيث للقافية.

(1) سورة النساء: 69.

(2) هذا جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم.

(3) أشار إلى ما رواه مسلم (4/1980 رقم: 2553) عن النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

وهي لغة القصد بالتشديد، والتخفيف لغة حكاها الأزهري⁽¹⁾، وكأنه حذف اللام وعوض عنها الهاء على هذه اللغة، كما قيل: ثُبَّةٌ، وفعلها من باب ضَرَبَ، تقول: نَوَى يَنْوِي نِيَّةً⁽²⁾.

وشرعا: قَصِدُ الشيء مقترنا بفعله، فإن تراخى عنه كان عزما، ثُمَّ خُصَّتْ النية في غالب الاستعمال بعزم القلب على أمر من الأمور لغة وشرعا بعزم القلب المقرون بالتقرب إلى الله تعالى، فهي عزمة خاصة.

وعن سيدنا علي رضي الله تعالى⁽³⁾ عنه: «عَوِذُ نَفْسِكَ حُسْنُ النِّيَّةِ وَجَمِيلُ الْمُقْصَدِ، تُدْرِكُ فِي مَسَاعِيكَ النَّجَاحَ، فَرُبَّ نِيَّةٍ أَنْفَعُ مِنْ عَمَلٍ».

وقال صاحب كتاب سلوك الخواص: «إن من الأصول الموصلة والقواعد التي يجب مراعاتها تأسيس الأعمال بإحكام النية وتخليص الطاعة من الشوائب المفسدة، فأعمال القلوب هي النيات، وهي الأصول لأعمال الجوارح، فإن أُحْكِمَتْ⁽⁴⁾ الأصول ثبتت الفروع، وهذا عام في الأعمال الدينية والدنيوية، فاعط النية من الهمة ما تستحقه، ثم الجأ إلى الله تعالى في إتمامها وحفظها، فبذلك تزكو وتنجح المطالب.

(1) انظر تهذيب اللغة (399/15) مادة: نوى.

(2) انظر الصحاح للجوهري (2516/6)، ولسان العرب (347/15) مادة: نوى.

(3) [تعالى] ساقط من (ط).

(4) نهاية الورقة (137/و).

[أثر النية في الأعمال]

قال: والأشياء تنفعل بالنيات انفعالا عجيبا، حتى إن للنيات أسراراً لا تخطر بالبال، فيُروى «أنه لما وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ قَالَ رِعَاءُ الشَّاءِ⁽¹⁾: مَنْ هَذَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي قَدْ قَامَ عَلَى النَّاسِ وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ؟ قِيلَ لَهُمْ: وَمَا عَلَّمَكُمْ بِصَلَاحِهِ؟ قَالُوا: إِنَّهُ إِذَا عَدَلَ الْأَمِيرُ أَوْ الْخَلِيفَةُ أَوْ نَوَى الْعَدْلَ كَفَّتِ الدِّثَابُ عَنْ شَيْهِنَا، وَقَدْ كَفَّتِ⁽²⁾»، فانظر إلى هذه النية كيف أثرت في سباع الفلاة.

قال: وكذا تأثير النية في جانب الشر، لأنه إذا نوى الإنسان الشرَّ وصمَّم عليه تولد عنه شرور.

ومن أخلاق الصوفية أن لا يقدموا على فعل إلا بنية صالحة، قل أن يصدر عنهم فعلٌ مباح غير مقترن بنية تُصَيِّرُهُ مندوبا، فينبغي للعاقل أن يجِدَّ في تحصيل هذا الخُلُق، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى: (وَالْمَدَارُ عَلَى الصِّدْقِ وَالنِّيَّةِ)، مَنْ الله تعالى علينا بذلك.

وقال بعض جامعي الحكيم: أَعْمَالُكَ نِيَّةٌ إِنْ لَمْ تَصْحَبْهَا نِيَّةٌ.

وقال: إِنْ صَحَّ السِّرُّ صَحَّ الْعَلَنُ، وَإِنْ لَمْ فَلَنْ وَلَنْ، اهـ.

والإضافة في قوله: (آدَابُهُمْ) للعهد، لأن الإضافة ترد لما ترد له اللام بقرينة قوله: (تَقَدَّمَتْ)، لأنه لم يتكلم على آداب الأربعة المزیدة.

(1) في (هـ) رعاة الشاة.

(2) رواه ابن سعد في الطبقات (301/5).

[خاتمة المنظومة]

قوله:

669 - تَمَّتْ هَذِهِ الْأَدَابَاتُ بِاخْتِصَارٍ يَا سَادَاتُ

670 - وَمَنْ يُرِدْ الثَّبَاتَ يَعْمَلْ بِهَا الْكُلِّيَا

أخبر رحمه الله تعالى بانقضاء ذكر الآداب التي قَيَّضَهُ الله لجمعها على سبيل الاختصار، لأنَّه رحمه الله تعالى لم يأت على جميعها.

[الترغيب في العمل بها]

ثم رَغَّبَ في العمل بها وذكرَ أَنَّ مَنْ عمل بها ثَبَّتَهُ الله تعالى في الحياة الدُّنْيَا وفي الآخرة.

و (الثَّبَاتُ) لغة الدَّوام والاستقرار، ضدَّ الزَّوال.

والثَّبَاتُ والثُّبُوتُ ضدُّ التَّزَلُّزِ، وثَبَّتَ الأمرُ صَحَّ، ورجلٌ ثَبَّتَ بسكون الباء مُثَبِّتٌ⁽¹⁾ في أموره، وثَبَّتُ الجَنَانَ أي ثَابِتُ القلبِ، ورجلٌ ثَبَّتَ بفتحِين إذا كان عدلاً ضابطاً⁽²⁾.

[اسم المنظومة]

وأشار بقوله:

(1) في (هـ) تثبت.

(2) انظر المصباح المنير (80/1)، مادة: ثبت.

671 - اسْمُهَا الرُّحْمَانِيَّةُ بِالْفَضَائِلِ مَخْوِيَّةٌ

672 - لِلْقُلُوبِ شَافِيَةٌ مِنْ أَمْرَاضٍ خَافِيَا

إلى ما جرت به عادة المتأخرين من تسمية التصانيف وتلقيبها، وهي عادة مستحسنة⁽¹⁾ لما يقع للمسمى من الحكم عليه، والحكم على الشيء يستدعي تصوّره، ومن ثمّ قيل: الحكم على الشيء ردّا أو قبولاً فرع عن كونه معلوماً معقولاً.

والاسم هو العلامة الدالة على المسمى.

وفي تسميتها بالرحمانية إشارة إلى أنّها من المنن الإلهية المنسوبة إلى الرحيم الرحمن.

و (الْفَضَائِلُ) جمع فَضِيلَةٍ، وهي الخير والصفة الحميدة.

وقوله: (مَخْوِيَّةٌ) أي جامعة ومحترزة.

والباء من قوله: (بِالْفَضَائِلِ) بمعنى اللام بقرينة قوله: (لِلْقُلُوبِ شَافِيَةٌ)، عطف على قوله: (بِالْفَضَائِلِ) بحذف العاطف.

وقوله: (مِنْ أَمْرَاضٍ خَافِيَا) صلة قوله: (شَافِيَةٌ).

والمراد بالأمراض الخفية أمراض القلوب وعلل النفوس⁽²⁾، ونسبة الشفاء إليها على سبيل المجاز.

(1) نهاية الورقة (137/ظ).

(2) في (هـ) النفس.

وَأَلَفَ (خَافِيًا) بَدَلَ مِنْ هَاءِ التَّأْنِيثِ.

والمعنى أَنَّ هذه الأرجوزة اسمها الرحمانية، الجامعة للفضائل الشافية للقلوب بإذن عَلَامِ الْغُيُوبِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي لَا تُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ.

[اِشْتِمَالُهَا عَلَى الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُفِيدَةِ]

قوله:

673 - تُبَصِّرُ الْمُبْتَدِيَّ مِنْ مِثْلِي يَفْتَدِي

674 - وَتُفِيدُ الْمُهْتَدِيَّ مِنْ عُلُومِ شَيْخِيَا

فاعلُ تَبَصَّرَ يَعُودُ عَلَى الْمَنْظُومَةِ، وَإِسْنَادُ التَّبَصِيرِ إِلَيْهَا مُجَازٌ.

والمراد بالتبصير التعليم والتنبية، على حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾⁽¹⁾ حكاية عن السَّامِرِيِّ، أَيِ عَلِمْتُ بِمَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَفُطِنْتُ لِمَا لَمْ يَفْطِنُوا، اهـ.

و (الْمُبْتَدِي) الشَّارِعُ فِي الْأَمْرِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا بِاعْتِبَارِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الدَّقَائِقِ تَنْبِيهِ الْمُبْتَدِي وَتَعَلُّمَهُ مَا جَهِلَهُ مِنَ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَنْوُطَةِ بِالطَّرِيقَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ.

وقوله: (مَنْ مِثْلِي يَفْتَدِي) مَعْطُوفٌ عَلَى (الْمُبْتَدِي)، وَ (مَنْ) مَوْصُولَةٌ مَفْعُولٌ (يَفْتَدِي).

(1) سورة طه: 96.

وقوله: (مَنْ مِثْلِي يَقْتَدِي) معطوف على

وقوله: (مِثْلِي) حال من فاعل (يَقْتَدِي).

والمعنى أنها تُبَصِّرُ أيضا الذي يقتدي حال كونه مماثلا لي.

و (الْمُقْتَدِي) اسم فاعل من الاقتداء بالغير، بمعنى المتابعة والتأسي به.

وجملة (تُفِيدُ الْمُهْتَدِي) عطف على جملة (تُبَصِّرُ)، والمعنى أنها تعطي المهتدي المتجرد⁽¹⁾ من العلوم والمعارف التي تعود إليه لا عليه.

و (الْمُهْتَدِي) اسم فاعل من الاهتداء، وهو الوصول إلى المطلوب، والمراد بالمهتدي السالك.

وقوله: (مِنْ عُلُومِ شَيْخِيَا) خبر⁽²⁾ مبتدأ محذوف، والتقدير وهي من علوم شيخنا، وأراد بذلك رحمه الله تعالى هضم نفسه والتبري من نسبة الكمال إليه، والتصريح بالثناء على شيخه، عملا بقوله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ⁽³⁾ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»⁽⁴⁾، وبقوله رحمه الله تعالى في هذه المنظومة: (كُلُّ خَيْرٍ جَاءَكَ تَرَاهُ مِنْ شَيْخِكَ).

(1) في (ط) المتجدد.

(2) نهاية الورقة (138/و).

(3) [نسبة الكمال إليه..... لم يشكر الناس] ساقط من (ه).

(4) رواه أحمد (472/12 رقم: 7504)، والبخاري في الأدب المفرد (ص: 85 رقم: 218)، والترمذي (339/4 رقم: 1954) وقال: حسن صحيح، والطيالسي (232/4 رقم: 2613) وابن حبان في صحيحه (198/8 رقم: 3407) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذه الجمل المتناسقة كلّها أوصاف لقوله: (الرَّحْمَانِيَّة)، رحم
الله تعالى مُنشئها.

[سؤال المصنف ربه المغفرة]

قوله:

675 - يَا رَبِّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَبْتَغِي مِنْكَ الْعُفْرَانُ

676 - تَغْفِرْ عَنْهُ وَالْإِخْوَانَ وَجَمِيعَ الْأُولِيَا

ختم رحمه الله تعالى المنظومة بالدعاء، امتثالا لقوله تعالى:
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾¹، وتحققا بالافتقار والالتماء إلى الله تعالى،
وبسطة لأكف الخضوع والذلة والمسكنة إلى مَنْ بيده مقاليد الأمور
كلّها، فإنّ مَنْ يرى الأشياء صادرة من مولاه يكون راجيا له ويخشاه،
ويعلم ذوقا أنّ لا مطلوب سواه، ولا يسأل من غيره أمرا من دنياه
وأخراه.

وقوله: (يَبْتَغِي) أي يطلب.

و (عَبْدُ الرَّحْمَنِ) اسم المصنّف رحمه الله تعالى فاعله.

و (الْعُفْرَان) مفعوله، وهو مصدر سماعي، يقال غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ
غَفْرًا وَغُفْرَانًا، صفح عنه وعفا وستره، من باب ضَرَبَ.

(1) سورة غافر: 60.

[سؤاله العفو له وإخوانه]

وقوله: (تَغْفُو عَنْهُ) معطوف على (الْغُفْرَانِ) بحذف العاطف للوزن بقرينة نصبه، على حَدِّ قول مَيْسُون⁽¹⁾:

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقْرُ عَيْنِي

و (الْعَفْوُ) مَحْوُ الذَّنْبِ، وَالصَّفْحُ، وترك العقوبة.

يقال: عَفَا يَعْفُو عَفْوَاً وَعَفَاءً بالفتح، والمد يستعمل لازماً ومتعدّياً، ومنه عَفَا اللهُ عَنَّا، أي محاذبنا.

وَعَفَوْتُ عَنِ الْحَقِّ أَسْقَطْتُهُ، كَأَنَّكَ⁽²⁾ محوته عن الذي هو عليه.

وَعَافَانَا اللهُ محاذبنا الأسقام.

والمعنى يبتغي عبد الرحمن الغفران والعفو عنه وعن الإخوان وعن جميع الأولياء أي المؤمنين، فالمراد بالأولياء المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽³⁾.

(1) هي مَيْسُونُ بنت بَحْدَلِ بن أنيف بن دلجة الكلابية، أم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قال ابن كثير في البداية: كانت حازمة عظيمة الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينا.

لما زُفَّتْ مَيْسُونُ إلى معاوية رضي الله عنه تَشَوَّفَتْ إلى البادية وحنّت إلى أهلها فقالت أبياتا من بحر الوافر وهذا البيت منها وتمامه:

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقْرُ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

انظر تاريخ الطبري (5/329)، والبداية والنهاية (8/145)، وخزانة الأدب (8/503).

(2) في (هـ) كأنها.

(3) سورة البقرة: 257.

وفي المصباح: «الْوَلِيُّ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فاعِلٍ، مَنْ وَلِيَهُ، إِذَا قَامَ بِهِ، وَمِنْهُ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وَالْجَمْعُ أَوْلِيَاءُ»⁽¹⁾.

[دعاء المصنف لوالديه وللمتقين]

قوله:

677 - طَلَبْتُكَ يَا رَبِّي تَجَاوَزَ عَنْ ذَنْبِي

678 - وَعَنْ أُمِّي وَأَبِي وَجَمِيعِ الْأَتْقِيَاءِ

أي سألتك يا مالكي أن تتجاوز عن ذنوبي وعن ذنوب⁽²⁾ وَالِدَيَّ وجميع عباد الله تعالى الأتقياء.

و (التَّجَاوَزُ) العفو، يقال: تَجَاوَزْتُ عَنِ الْمَسِيءِ عَفْوْتُ عَنْهُ وَصَفَحْتُ.

وسلك في دعائه السَّبِيلَ الْمَسْنُونِ، فبدأ بنفسه وثَنَّى بوالديه وَعَمَّمَ بعد ذلك، على حَدِّ دعاء سَيِّدِنَا نوح صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسَلَّمَ تسليمًا، كما حكاه الله عزَّ وجلَّ عنه في قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾⁽³⁾. ولحديث «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَعَا بَدَأَ بِنَفْسِهِ»، رواه أبو داود⁽⁴⁾.

(1) المصباح المنير (672/2) مادة: ولي.

(2) نهاية الورقة (138/ظ).

(3) سورة نوح: 28.

(4) رواه أحمد (64/35 رقم: 21126)، ومسلم (4/1850 رقم: 2380)، وأبو داود

واللفظ له (33/4 رقم: 3984)، والترمذي (5/463 رقم: 3385)، والنسائي في

الكبرى (5/360 رقم: 5813) عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهما.

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾⁽¹⁾.

[معنى التقوى]

والأتقياء جمع تقيٍّ، لأنَّ أَفْعَلَاءَ مقيسٌ في فَعِيلٍ وَضْفًا لِمُذَكَّرٍ عاقل بمعنى اسم فاعل إذا كان مُعْتَلَّ اللَّامِ أو مُضَاعَفًا، كَوَلِيٍّ وَأَوْلِيَاءَ، وَغَنِيٍّ وَأَغْنِيَاءَ، وَخَلِيلٍ وَأَخِلَّاءَ، وَالْمُتَّقِي المتَّصف بالتَّقوى⁽²⁾.

وهي في الشرع: تَجَنُّبُ القبيح خوفا من الله تعالى.

وعند أهل الحقيقة: التَّحَرُّزُ بطاعة الله عن عقوبته، وصيانة النفس عما تستحقُّ به العقوبة.

[مراتب التقوى]

ومراتبها ثلاثة:

الأولى: التَّوَقِّي عن العذاب المخلد بالتَّبرِّي من الشُّرك، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾⁽³⁾.

والثانية: التَّجَنُّب عن كلِّ ما يُؤْثِم من فعل أو ترك، حتَّى الصَّغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتَّقوى في الشرع والمعني بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة الأعراف: 151.

(2) المصباح المنير (669/2)، والقاموس المحيط (ص: 1344) مادة: وقى.

(3) سورة الفتح: 26.

(4) سورة الأعراف: 96.

والثالثة: أن يتنزّه عن كلّ ما يشغل سرّه عن الحقّ ويتبتل إليه بشراشره⁽¹⁾، وهو التّقوى الحقيقي المطلوب⁽²⁾ بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁽³⁾.

[سؤاله اللطف عند نزاع الروح]

قوله:

679 - سَأَلْتُكَ يَا سُبُوحٌ تَلَطَّفْ بِي فِي نَزْعِ الرُّوحِ
680 - وَتُسَكِّنَنِي بِحُبُوحِ جَنَّتِكَ الْعَالِيَا

[معنى اسم الله السبوح]

(السُّبُوحُ) من أسمائه تعالى ولم يرد لفظه في القرآن ولا في خبر الأسماء⁽⁴⁾، إلاّ أنّه ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سُبُوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»⁽⁵⁾.

(1) الشَّرَاشِرُ: النفس، والمحبة، يقال: ألقى عليه شَرَّاشِرَهُ، أي ألقى بنفسه عليه محبة له؛ انظر تهذيب اللغة (187/11)، والصحاح للجوهري (696/2) مادة: شرر.

(2) في (ط) الحقيقية المطلوبة.

(3) سورة آل عمران: 102.

(4) أشار إلى الحديث في البخاري (611/1 رقم: 2736)، ومسلم (4/2063 رقم: 2677) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، ورواه الترمذي (530/5 رقم: 3507) وذكر فيه الأسماء جميعا، وليس فيه سبوح.

(5) رواه أحمد (73/40 رقم: 24063)، ومسلم (353/1 رقم: 487)، وأبو داود (230/1 رقم: 872)، والنسائي (190/2 رقم: 1048).

وجاء على فُعُول وهو من غريب البناء، ولم يأت على بنائه إلا قُدُوس.

في المصباح⁽¹⁾: «ليس في الكلام فُعُول بضمّ الفاء وتشديد العين إلا سُبُوح وقُدُوس، وذُرُوح وهي دُويبة حمراء مُنقطة⁽²⁾ بسواد تطير⁽³⁾»، اهـ.

قال الدِّمِيرِيُّ⁽⁴⁾: «إنه سمّ، مَنْ أكلها تقرّحت مثانته، وسُدّ بوله، وتورّم قضييه وعانته، وأظلم بصره، ويعرض له اختلاط في عقله⁽⁵⁾».

وفتح الفاء في الثلاثة لغة حكاهما سيويه.

وقال ثعلب: «كلّ اسم على فُعُول فهو مفتوح الأوّل، مثل سَفُود وكُلُوب وتُتُور وسَمُور وشُبُوط، إلا السُّبُوح والقُدُوس فإنّ الضمّ فيهما أكثر، وكذلك الذُّرُوح في واحد الذَّرَارِيح⁽⁶⁾».

(1) نهاية الورقة (139/و).

(2) في (هـ) منقطعة.

(3) المصباح المنير (1/263) مادة: سبح.

(4) هو أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميّري الشافعي، كانت له في الأزهر حلقة خاصة، صنف حياة الحيوان، والديباجة في شرح كتاب ابن ماجه، والنجم الوهاج في شرح منهاج النووي، توفي رحمه الله سنة 808 هـ - 1405 م.

له ترجمة في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (4/61 - 62)، والضوء اللامع (10/59 - 62)، والبدر الطالع (2/272)، وذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد (1/269).

(5) حياة الحيوان الكبرى (1/467) مادة: الدرّحرج.

(6) انظر الصحاح (3/961)، ولسان العرب (6/168)، مادة: قدس.

قال الحُلَيْمِيُّ⁽¹⁾ في معنى السُّبُوح: «إِنَّهُ الْمُنَزَّهُ⁽²⁾
عن المعاييب والصفات التي تعترى المُحَدِّثِينَ من ناحية الحُدُوثِ».
والتَّسْبِيحُ التَّنْزِيهِ عن السَّوِّءِ على جهة التَّعْظِيمِ، ومنه قول أعشى
بني ثعلبة⁽³⁾:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عُلْقَمَةُ الْفَاحِرِ⁽⁴⁾

وفي التَّنْزِيلِ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾⁽⁵⁾، أي نَزَّهَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ
بصفاتك، أي بذكر جلالك وجمالك وكمالك وما وجب لك.

(1) هو أبو عبد الله حسين بن الحسن بن محمد بن حليم الجرجاني المعروف
بالحليمي، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي،
له كتاب شعب الإيمان، أكثر البيهقي من النقل عنه، توفي رحمه الله سنة 403 هـ -
1012 م.

له ترجمة في: وفيات الأعيان (137/2)، وسير أعلام النبلاء (232/17)، والوافي
بالوفيات (217/12)، وطبقات السبكي (333/4 - 343).

(2) في (ط) المتنزه.

(3) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، المعروف
بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، أحد أصحاب
المعلقات، توفي سنة 7 هـ - 629 م.

له ترجمة في: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: 13)، ومعجم الشعراء
(ص: 401)، وتاريخ دمشق (327/61 - 336).

(4) البيت من السريع، انظر الكتاب لسيبويه (324/1)، وصبح الأعشى في صناعة
الإنشا (144/1)، وخزانة الأدب (400/3).

(5) سورة البقرة: 30.

قال القرطبي⁽¹⁾ رحمه الله تعالى: «وهو مشتق من السَّبَح، وهو الجري والعموم والذهاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ (٧) ﴿٢﴾.

فالمُسَبِّحُ⁽³⁾ جار في تنزيه الله تعالى وتبرئته وتباعده بِسَبْحِهِ عن المكروه من الغرق والهلاك⁽⁴⁾، اهـ.

[معنى اسم الله اللطيف]

وقوله: (تَلُطِّفُ بِي) الجملة في محلّ المفعول لـ (سَأَلْتُكَ).

و (اللُّطْفُ) الرِّفْقُ، وهو ضدّ العنف، سأل من الله تعالى المعاملة في حين⁽⁵⁾ النزع بالرِّفْق والبرّ، ومن اللّطف بمعنى الرِّفْق قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ (٦).

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، قال الذهبي: «إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله»، صنف الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، توفي رحمه الله سنة 671هـ - 1273م.

له ترجمة في: تاريخ الإسلام (74/50 - 75)، والديباج (ص: 406 - 407)، ونفح الطيب (210/2 - 212)، وشذرات الذهب (335/5)، وشجرة النور (197/1).

(2) سورة المزمل: 7.

(3) في (هـ) فالسبح.

(4) الجامع لأحكام القرآن (276/1).

(5) في (ط) حسن.

(6) سورة الشورى: 19.

وفي معنى اللطيف اثنان وعشرون قولاً منها
عن السُّدِّيِّ (1): «الرَّفِيقُ» (2).

وقد جاء في حديث عن النبي ﷺ «أَنَّ اللَّهَ يَطَّلِعُ عَلَى أَهْلِ
الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ فَيَقُولُ: انْمَحَتْ آثَارُهُمْ، وَاضْمَحَلَّتْ صُورُهُمْ، وَبَقِيَ
عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَأَنَا اللَّطِيفُ، وَأَنَا الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ» (3).

وفي رواية «وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، خَفِّقُوا عَنْهُمْ الْعَذَابَ، فَيَخَفُّ
عَنْهُمْ» (4).

وقوله: (وَتُسَكِّنُنِي) معطوف على جملة (تَلَطَّفُ بِي).

وَبِحُبُوحِ الْجَنَّةِ وَسَطُهَا؛ في القاموس: «بَحْبُوحَةُ الْمَكَانِ وَسَطُهُ» (5).

ووسط الجنة أعلاها، لحديث «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ،
فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهُ» (6)، اهـ.

(1) هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة القرشي الكوفي الأعور
الملقب بالسُّدِّيِّ الكبير، كان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسمي السدي،
الإمام المفسر، لقي جماعة من الصحابة، توفي رحمه الله سنة 128هـ - 745م.
له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (264/5)، وتهذيب الكمال (132/3 - 138).
وتهذيب التهذيب (313/1 - 314).

(2) انظر تفسير الثعلبي الكشف والبيان (176/4)، والجامع لأحكام القرآن (16/16).

(3) لم أقف عليه.

(4) لم أقف عليه.

(5) القاموس المحيط (ص: 212) مادة: بحج.

(6) رواه أحمد (143/14 رقم 8419)، والبخاري (17/2 رقم 2790)، وابن المبارك في الزهد

(537/1 رقم: 1536)، وابن حبان (471/10 رقم 4611) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فيكون المراد بقوله رحمه الله تعالى: (جَتَّتْكَ⁽¹⁾ الْعَالِيَا) الفردوس.
وَأَلَفَ (الْعَالِيَا) مبدلة من هاء التَّأْنِيثِ للقافية.

[سؤاله الرحمة عند الموت والأنس في القبر]

قوله:

681 - يَا لَطِيفًا بِالصِّفَاتِ الْأُطْفُ بِي فِي السَّكَرَاتِ

682 - وَأَزْحَمْنِي عِنْدَ الْمَمَاتِ أَنْسِنِي فِي قُبْرِيَا

قال القرطبي: «هذا الاسم يعني اللطيف، يدل صريحا على مَنْ له لطف، ويتضمن جميع الصفات كالعليم والقدير والسميع والبصير وغير ذلك، وقد يقال لحسن التناول للأمور المقتدر على إنشائها وتمامها وتناولها برفق وحسن تناول»⁽²⁾، اهـ.

ولذلك أشار المصنّف رحمه تعالى بقوله: (يَا لَطِيفًا بِالصِّفَاتِ).

وقال الخطّابي: «اللَّطِيفُ وهو البُرُّ بعباده، الذي يُلَطِّفُ بهم من حيث لا يعلمون، ويسبّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، لقوله الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾»⁽³⁾،⁽⁴⁾.

(1) نهاية الورقة (139/ظ).

(2) الجامع لأحكام القرآن (0/0) .

(3) سورة الشورى: 19.

(4) انظر قول الخطّابي في الجامع لأحكام القرآن (267/9)، وزاد المسير في علم التفسير (63/2)، وتفسير الخازن لباب التأويل (143/2).

وعن ابن الأعرابي⁽¹⁾: «اللَّطِيفُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَيْكَ أَرْبَكَ فِي رَفَقٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لَطَفَ اللَّهُ بِكَ، أَيْ أَوْصَلَ إِلَيْكَ مَا تُحِبُّ فِي رَفَقٍ»⁽²⁾.

وفي المصباح: «لَطَفَ اللَّهُ بِنَا لُطْفًا، مِنْ بَابِ طَلَبَ، رَفَقَ بِنَا، فَهُوَ لَطِيفٌ، وَتَلَطَّفْتُ بِالشَّيْءِ تَرَفَّقْتُ بِهِ، وَتَلَطَّفْتُ تَخَشَّعْتُ، وَالْمَعْنِيَانِ يَتَقَارَبَانِ»⁽³⁾.

وقوله: (أَلْطَفُ بِي فِي السَّكَرَاتِ)، أَيْ أَرْفَقَ بِي فِي حَالِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَعِنْدَ النَّزْعِ، بِتَيْسِيرِ خُرُوجِ الرُّوحِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّجَاةِ مِنْ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ، وَارْحَمَنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَسَبَقَتْ غَضَبَكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالْإِنْتِقَالَ مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِلَى عَالَمِ الْبَرْزَخِ⁽⁴⁾.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الهاشمي الكوفي المعروف بابن الأعرابي، كان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها، وعارفا بالأنساب، أخذ عن الكسائي والمفضل والضبي، وعنه أخذ ابن السكيت وثعلب وغيرهما، من مؤلفاته كتاب النوادر، وتاريخ القبائل، والنبات، توفي لحمة الله سنة 231 هـ - 845 م. له ترجمة في: تاريخ بغداد (282/5 - 285)، وسير أعلام النبلاء (687/10 - 688)، ووفيات الأعيان (306/4 - 309).

(2) انظر تهذيب اللغة (235/13)، ولسان العرب (316/9) مادة لطف.

(3) المصباح المنير (553/2) مادة: لطف.

(4) البرزخ: الحاجز بين شيئين، والمراد به هنا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ الْبَرْزَخَ.

وجملة (ارْحَمْنِي) دُعائية، وفعلها مشتق من الرحمة التي حقيقتها رِقَّة القلب.

والمشهور أنَّ وصف الله تعالى بها مجاز، لأنَّها من الأعراض النفسانية التي تستحيل على الله تعالى، فيراد بها الإنعام وإرادته مجازا.

قلت: ولقائل أن يقول: إنَّ الرحمة التي هي من الأعراض النفسانية هي الرحمة القائمة بنا، ولا يلزم من ذلك أن يكون مطلق الرحمة كذلك حتَّى يلزم منه كون الرحمة التي وُصِفَ بها الحقُّ تعالى مجازا، بدليل أنَّ العلم القائم بنا من الأعراض النفسانية، وقد وُصِفَ الحقُّ سبحانه بالعلم، ولم يقل أحد إنَّ العلم الذي وُصِفَ به الحقُّ عزَّ وجلَّ مجاز، مع أنَّ علم الحقِّ سبحانه ذاتيُّ أزليٍّ حضوريٍّ محيط بجميع المعلومات، وعلمنا مجعوليٍّ حادثٍ حصوليٍّ غير محيط، فلم لا يجوز أن تكون الرحمة⁽¹⁾ حقيقة واحدة تختلف وجوها وأنواعها بحسب اختلاف الموصوفين بها، فإذا نُسِبَتْ إلى المخلوقين كانت كيفية نفسانية، وإذا نُسِبَتْ إلى الخالق كانت على حسب ما يليق بجلال ذاته، كما أنَّ العلم إذا نُسِبَ إلينا كان كيفية نفسانية، وإذا نُسِبَ إلى الخالق كان كما يليق بجلال ذاته، ولا سيَّما وأنَّ الأصل في الإطلاق الحقيقة ولا يُصار إلى المجاز إلا إذا تعدَّرت الحقيقة، ولا تتعدَّر هنا، إلا إذا دلَّ دليل سمعيٍّ أو عقليٍّ على أنَّ الرحمة مطلقا منحصرة في الكيفية النفسانية وضعاً، ودونه خرط القتاد، وكون الرحمة القائمة بنا كيفية نفسانية لا ينهض حُجَّة على كونها مجازا في وصف الله تعالى، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك فتأمَّله.

(1) نهاية الورقة (140/و).

وجملة (أَنْسِنِي) دُعائية معطوفة على سابقتها بحذف العاطف للوزن، وفعلها من باب عَلِمَ، وقيل من باب ضَرَبَ.

و (الأنس) بالضم ضد الوحشة كما في القاموس⁽¹⁾.

والمعنى أنسني عند وحدتي وإنفرادي في حفرتي وقبري، وهو مضاف لياء النفس، وتحريكها بالفتحة سائغ كالسكون لتصريح التحويتين بجواز ذلك في أربعة أشياء، أحدها المفرد الصحيح كغلامي⁽²⁾ وقبري ونحوهما، وإن اختلفوا في الأصل منهما.

[سؤاله النجاة بعد الموت والثبات عند السؤال]

ثم قال:

683 - رَغَبْتُكَ يَا بَارِي تَرْحَمُنِي لَيْلَةَ قَبْرِي

684 - نَجِّنِي مِنَ الْقَهْرِ وَشَرِّ سُؤَالِيَا

(الرَّغْبَةُ) الضَّرَاعَةُ وَالْخُضُوعُ، وَالْمَسْأَلَةُ بِالتَّذَلُّ وَالانكسار والخشوع والافتقار.

[معنى اسم الله الباري]

و (الْبَارِي) من أسمائه تعالى، نطق به القرآن وجاء في السُّنَّة، ومعناه الْمُبْدِعُ الْمُخْتَرِعُ، فَلَا يُسَمَّى بِهِ وَلَا يُوصَفُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَإِذَا ورد بغير المعنى المذكور جاز إجراؤه على العبد، ومن ذلك قول العرب: أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا.

(1) القاموس المحيط (ص: 531) مادة: أنس.

(2) في (هـ) كلامي.

وقال الحلিমى: «وهذا الاسم يحتمل معنيين:

أحدهما: الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق، وهذا هو الذي يشير به قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾⁽¹⁾.

ولا شك أن إثبات الإبداع والاعتراف به للباري جل وعز ليس يكون على أنه أبداع بغتة من غير سابق علم له بما هو مُبدعه، ولكن على أنه عالم بما أبداع قبل أن يتدع، فلمّا وجب له اسم البديع⁽²⁾ وجب له اسم الباري.

والآخر: أن المراد بالباري قالب الأعيان، أي أنه أبداع الماء والتراب والنّار والهواء لا من شيء، ثم خلق منها الأجسام المختلفة». وجملة (تَرْحُمْنِي) دُعائية.

وقوله: (لَيْلَةَ قَبْرِي) أي ليلة دفني، يقال قَبِرْتُ الميت⁽³⁾ قَبْرًا، من باب قَتَلَ وَضَرَبَ، دَفَنَتْهُ⁽⁴⁾.

وجملة (نَجِّنِي) معطوفة على سابقتها.

(1) سورة الحديد: 22.

(2) نهاية الورقة (140/ظ).

(3) في (هـ) الموت.

(4) انظر الصحاح للجوهري (784/2)، والمصباح المنير (487/2)، ولسان العرب

(68/5) مادة: قبر.

و (الْقَهْرُ) الغلبة، وقد استعاذ ﷺ منه⁽¹⁾، وهو غلبة العدو، وهو من يفرح بمصيبتك ويحزن بمسرتك.

قالوا: «وأصل ذلك أن الخلق يوم أخذ الميثاق كانوا على صفات، فَمَنْ كان وجهه لوجه شخص⁽²⁾ لا تقع بينهما عداوة، وَمَنْ كان ظهره لظهره لا تقع بينهما صداقة، وَمَنْ كان وجهه لظهره فصاحب الوجه محبّ وصاحب الظهر مبغض، وَمَنْ كان جنبه لجنبه⁽³⁾ أو بإزائه فبحسب ذلك، فَمَنْ شهد ذلك أقام للناس المعاذير وإن كانوا مذمومين بعداوتهم شرعا».

وقوله: (وَشَرِّ سُؤَالِيَا) معطوف على القهر، أي نجّني من القهر ومن شرّ السّؤال، والإضافة للعهد لأنّها ترد لما ترد له اللّام، والمعهود هو سؤال المَلَكَيْنِ منكر ونكير.

[سؤاله الرحمة يوم المحشر]

قوله:

685 - يَا إِلَهِي يَا قَادِرُ اَرْحَمْنِي يَوْمَ الْمَحْشَرِ

(1) أشار إلى ما رواه الترمذي وحسنه (520/5 رقم: 3484) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ».

(2) في (ج) و (هـ) فمن كان وجهه لوجهه.

(3) في (ج) و (هـ) جنباً لجنب.

686 - وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْظُرُ حُسْنَكَ الْجَمَالِيَا

قيل: همزة (إِلَه) أَصْلِيَّة، بدليل جمعه على آلهة، ووزنه فِعَال ككِتَاب.

وقيل: أصله وَلَاه، أُبْدِلْتُ الواو همزة كما أبدلوها في وِشَاح فقالوا: إِشَاح.

ورده أبو عليّ الفارسي⁽¹⁾ بما هو مذكور في محله.

ومعناه الْمُسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَد، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾⁽²⁾.

[معنى اسم الله القادر]

و (الْقَادِرُ) الموصوف بالقدرة على الإبداع كله والإيجاد كله والخلق كله، خيرا كان أو شرا، حسنا كان أو قبيحا، لم يشاركه في خلق ذلك شريك، والقادرون سواه غير موصوفين بالقدرة على شيء إلا على مقدور يُسَمَّى الكسب، وكلُّ ذلك مقدور للقادر الحق، خلقهم وخلق قدرتهم وعَلَّمَهُمْ وما يعملون.

(1) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، الإمام المشهور، واحد زمانه في علم العربية، صنف الإيضاح في النحو، والتكملة في التصريف، والأُمالي، توفي رحمه الله ببغداد سنة 377 هـ . 987م.

له ترجمة في: تاريخ بغداد (275/7)، وسير أعلام النبلاء (379/16 - 380)، ووفيات الأعيان (80/2 - 82)، وبغية الوعاة (496/1 - 497).

(2) سورة الصافات: 4 - 5.

وجملة (ارْحَمْنِي) إلخ دُعائية، مضمنها سؤال نيل رحمته يوم الحشر.

[سؤاله النظر إلى وجه الله الكريم]

وجملة (اجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْظُرُ) إلخ معطوفة عليها، مضمنها سؤال رؤيته تعالى في الآخرة، لأنها النعمة التي لا توازيها نعمة.

[سؤاله الاستظلال بظل العرش يوم الحشر]

وأشار بقوله:

687 - يَا رَبِّ رَانِي رَاجِيكَ ظَلِّلْنِي تَحْتَ عَرْشِكَ

688 - فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ⁽¹⁾ أَعْطِفْ عَنِّي مَوْلَايَا

إلى طلب شعبة الاستظلال بظل العرش يوم القيامة.

و (الرَّجَاءُ) طلب الأمر المحبوب.

أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه⁽²⁾ عنه صلى الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ⁽³⁾ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ.

وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(1) نهاية الورقة (141/و).

(2) [تعالى] ساقط من (ط).

(3) رواية «فِي ظِلِّ عَرْشِهِ» وردت عند الطحاوي في شرح مشكل الآثار (71/15 رقم: 5745).

وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا.
وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ.
وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَالِيَا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.
وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ.

وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ
يَمِينُهُ»⁽¹⁾.

وتفويض الأمر إلى الله تعالى تسليمه له.
وجملة (أَغْطِفُ عَنِّي) دُعَائِيَّة، وَعَظْفُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَحْمَتُهُ
وإحسانه، اهـ.

وقوله: (مَوْلَايَا) منادى، وحرف النداء محذوف، أي
يا مولاي بألف الإشباع.

[سؤاله الأمن يوم تطاير الصحف]

قوله:

689 - وَكُنْ مَعِيَ يَا رُؤُوفٌ فِي تَطَايُرِ الصُّحُفِ

690 - أَمِنْ قَلْبِي مِنَ الْخَوْفِ وَاعْفِرْ لِي زَلَاتِيَا

(1) متفق عليه. رواه البخاري (150/1 رقم: 660)، ومسلم (715/2 رقم: 1031)،
واللفظ الذي أورده الشارح لغير البخاري ومسلم.

[معنى اسم الله الرؤوف]

(الرؤوف) من أسمائه تعالى، مفعول مشتق من الرأفة وهي شدة الرحمة، فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة، وفيه أربع لغات⁽¹⁾:

- رؤوف على وزن فعول، قال كعب بن مالك⁽²⁾:

نُطِيعُ نَبِيًّا وَنُطِيعُ رَبًّا هُوَ الرَّحْمَنُ بِنَا رُؤُوفًا⁽³⁾

- ورؤوف على فعل، قال جرير⁽⁴⁾:

يَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ حَقًّا كَفَعَلَ الْوَالِدِ الرُّؤُوفِ الرَّحِيمِ⁽⁵⁾

(1) انظر الزاهر في معاني كلمات الناس (97/1).

(2) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي، كان أحد شعراء الرسول ﷺ الذين يردون الأذى عنه، وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين تخلفوا عن تبوك فتاب الله عليهم، توفي رضي الله عنه سنة 50هـ - 670م.

له ترجمة في: الاستيعاب (3/ 1323 - 1326)، وأسد الغابة (4/ 187 - 190)، وسير أعلام النبلاء (2/ 523 - 530).

(3) ديوان كعب بن مالك (ص: 68).

(4) هو أبو حمزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري، الشاعر، كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، توفي رحمه الله باليمامة سنة 110هـ - 728م.

له ترجمة في: تاريخ دمشق (72/ 86 - 95)، وسير أعلام النبلاء (4/ 590)، ووفيات الأعيان (1/ 321 - 327).

(5) ديوان جرير (ص: 412).

- ورَأْفُ بتسكين الهمزة على فَعْل، قال الشاعر⁽¹⁾:

رَأْفٍ رَحِيمٍ بِأَهْلِ الْبَرِّ يَزَحْمُهُمْ مُقَرَّبٍ عِنْدَ ذِي الْكُرْسِيِّ مَرْحُومٍ

- ورِئْفُ بكسر الهمزة على وزن فَعِيل.

قال الكسائي والفرّاء: «يقال: الله رِئْفُ بكسر الهمزة»⁽²⁾.

وجملة (كُنْ مَعِيَ) إلخ دُعائية.

والمعنى أنّه سأل من الله تعالى أن يكون معه بالتأييد عند تطاير الصّحف، حتّى يأخذ كتابه بيمينه ويغفر الله زلّاته ويؤمّن خوفه، فيكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، تقبّل الله دعوته وحقّق أمنيته.

[وقت تطاير الصحف]

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الْعَرَضَةُ الثَّالِثَةُ⁽³⁾ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَأَخِذْ⁽⁴⁾ بِيَمِينِهِ وَأَخِذْ بِشِمَالِهِ»⁽⁵⁾.

(1) انظر تهذيب اللغة (15/172).

(2) انظر الزاهر في معاني كلمات الناس (1/97).

(3) [وأما العرضة الثالثة] ساقطة من (ج) و (هـ) و (ط) وأثبتناها من سنن الترمذي ليستقيم المعنى.

(4) نهاية الورقة (141/ظ).

(5) رواه الترمذي (617/4 رقم 2425) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة».

وروى أبو بكر البزار عن أبي موسى الأشعري⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الْعَرَضَةُ الثَّالِثَةُ فَتَطَايُرُ الصُّحُفِ»⁽³⁾.

وروي «أَنَّ الْكُتُبَ كُلَّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْمَوْقِفِ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا فَتَطَايَرَتْ بِهَا الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلُ، أَوَّلُ خَطِّ فِيهَا: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾»⁽⁴⁾  ⁽⁵⁾.

(1) هو الصحابي الجليل أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر الأشعري، الإمام الكبير، الفقيه المقرئ، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وولي إمرة الكوفة لعمر، وولي البصرة لعمر وعثمان، توفي رضي الله عنه سنة 44 هـ. 665م. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 979 - 981)، وأسد الغابة (3/ 263 - 265)، وسير أعلام النبلاء (2/ 380 - 402)، وتهذيب الكمال (15/ 446 - 453). له ترجمة في: .

(2) [تعالى] ساقطة من (ط).

(3) رواه أحمد (32/ 486 رقم: 19715)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (2/ 117)، وابن ماجه (2/ 1430 رقم 4277)، والبخاري (8/ 76 رقم: 3073)، وأبو نعيم في الحلية (2/ 94)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (4/ 254): «هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع، الحسن لم يسمع من أبي موسى».

(4) سورة الإسراء: 14.

(5) رواه العقيلي في الضعفاء (4/ 466)، والديلمي (3/ 312 رقم: 4939) عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا، وفيه يغنم بن سالم بن قنبر مولى علي بن أبي طالب، قال ابن يونس: «حدث عن أنس فكذب»، وقال ابن حبان: «كان يضع الحديث على أنس».

وَرُوي «أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يُعْطَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيِّدُنَا عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»⁽¹⁾، اهـ.

و (الزَّلَّات) جمع زَلَّة، وهي شاملة للصَّغيرة والكبيرة، مضاف إلى ياء النَّفس، وحرَّكها بالفتحة لأنَّها من الأربعة أشياء التي يجوز فيها ذلك، والألف للإشباع.

وقوله: (تَطَايُرِ الصُّحُف) مضاف لمحذوف، والتَّقدير في وقت تطاير الصُّحف، وهو زمن العرضة الثالثة من عروضات يوم القيامة كما مرَّ في الحديث، حُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

[سؤاله رجحان كفة الميزان]

قوله:

691 - رَجَوْتُكَ يَا رَحْمَانُ تَرْحَمْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ

692 - يَأْتِينِي مِنْكَ الرُّجْحَانُ وَالْعَيْشَةُ الرُّضِيَا

(الرُّجَاء) طلبٌ مصحوب بالخوف من عدم إدراك المُتَرَجَّى.

[معنى اسم الله الرحمن]

و (الرَّحْمَنُ) قيل: إنَّه اسم الله الأعظم.

(1) رواه الديلمي (17/1 رقم: 15) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، والخطيب في تاريخ بغداد (202/11) في ترجمة عمر بن إبراهيم بن خالد بن عبد الرحمن أبو حفص يعرف بالكردى، قال: «كان غير ثقة، يروي المناكير عن الأثبات». ورواه ابن الجوزي في الموضوعات (320/1) وقال: «هذا حديث لا يصح، والمتهم به عمر ويعرف بالكردى، قال الدارقطني: كان كذابا يضع الحديث».

ذكره الإمام ابن العربي⁽¹⁾.

قال ابن الحَصَّار⁽²⁾: «المعتمد أنّه لا يجوز أن يوصف بهذا الوصف ولا أن يتسمّى بهذا الاسم إلا الله عزّ وجلّ، وتجاسر مسيلمة الكذاب فتسمّى برحمان اليمامة، فكان نقمةً على أهل اليمامة وسبب دمارها وهلاك مَنْ أطاعه بها مع ما ينقلبون إليه في الآخرة».

وقد أنكر بعض النّاس اشتقاقه لاختصاصه بالله تعالى كسائر الأسماء المختصّة به، ولأنّه لو كان مشتقّاً من الرّحمة لم تنكره العرب حين سمعوه، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربّهم، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾⁽³⁾.

(1) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي، المعروف بابن العربي، الإمام الحافظ، كان بحراً في الفقه والأصول والتفسير والحديث والعربية، توفي رحمه الله بفاس سنة 546هـ - 1151م.

له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (20/197 - 204)، ووفيات الأعيان (4/296 - 297)، والديباج (ص: 376 - 378)، ونفح الطيب (2/25 - 43).

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي الإشبيلي، الحصار، نشأ بفاس ورحل إلى مصر وغيرها وجاور بمكة، وتوفي رحمه الله بالمدينة سنة 611هـ - 1214م، له كتاب في النسخ والمنسوخ من القرآن سمعه منه الحافظ المنذري، والبيان في تنقيح البرهان، وتقريب المدارك اختصر فيه بعض كتاب التمهيد لابن عبد البر.

له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة (3/248)، والوافي بالوفيات (22/83)، والأعلام (4/330).

(3) سورة الفرقان: 60.

ومما يدلّ على عدم الاشتقاق ما ذكره ابن الأنباريّ في كتابه الزّاهر له عن المُبرّد «أنّه اسم عبرانيّ»⁽¹⁾، وحكاه ابن العربي عن ثعلب.

لكن يعارضه قوله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»، أخرجه الترمذي وصحّحه⁽²⁾.

ومعناه ذو الرّحمة الّتي لا نظير له فيها.

وجملة (تَرْحُمُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ) دُعائيّة معمولّة لـ (رَجَوْتُكَ).

والمعنى سألتك⁽³⁾ بإنعامك عليّ وإحسانك إليّ عند وزن عملي بحصول رجحان كفة حسناتي وتحقّق العيشة الرّاضية، حتّى نكون من أصحاب العيشة الرّاضية الذين⁽⁴⁾ ثقلت موازينهم.

وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾^(٦) فهو في عِشْكِ رَاضِيَةٍ^(٧) ﴿٥﴾، جعلنا الله تعالى منهم بمَنِّه وكرمه وفضله.

(1) انظر الزاهر في معاني كلمات الناس (59/1).

(2) رواه الترمذي (315/4 رقم: 1904) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ»، وقال: «حديث صحيح».

(3) نهاية الورقة (142/و).

(4) في (هـ) الذي.

(5) سورة القارعة: 6 - 7.

[سؤاله الحفظ عند الصراط]

وبعدما سأل رجحان موازين حسناته والانتظام في سلك أصحاب العيشة الرّاضية، سأل الحفظ عند المرور على الصّراط فقال:

693 - يَا مَنْ عِلْمُهُ لَا يُحَاطُ اخْفَظْنِي عِنْدَ الصِّرَاطِ

694 - تَسْرِعُ بِي بِلَا تَفَرَّاطٍ مَا نَضْلَاشَ الْحَامِيَا

آثر هذه العبارة تبرّكا بقوله جلّ وعلا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ شَيْئًا مِّنْ عِلْمِهِ﴾⁽¹⁾، أي سألت الحقّ عزّ وجلّ الذي لا يحاط بعلمه، الحفظ عند الجواز على الصّراط، والإسراع حال الجواز عليه، حتّى لا ينالني شيء من حرّ جهنّم الحامية.

وفي الحديث «يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَغْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَزْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ»⁽²⁾.

(1) سورة البقرة: 255.

(2) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. رواه البخاري (3/459 رقم: 7439)، ومسلم (1/167 رقم: 183).

وَرُوي «أَنَّ فِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْذُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ»⁽¹⁾، اهـ.

وقوله: (عِنْدَ الصِّرَاطِ) فيه حذف مضاف، والتقدير عند جواز الصراط.

والألف في (الْحَامِيَا) بدل من هاء التَّأْنِيثِ، وهي من أسماء جهنم نعوذ بالله منها.

[سؤاله بأسمائه الحسنى الرضا عنه]

قوله:

695 - يَا ذَا الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى أَرْزُقْنِي مَا نَتَمَنَّى

696 - رِضَاكَ عَنِّي جُنًّا مَا نَبْغِي عَنْهُ شَيْئًا

أراد بذلك رحمه الله تعالى العمل بقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾⁽²⁾، امثالاً لأمره عز وجل، وقياماً بما ندب إليه.

وجملة (أَرْزُقْنِي) دُعائية، و (مَا) موصولة مفعول (أَرْزُقْنِي)، وصلتها (نَتَمَنَّى)، والعائد محذوف.

و (رِضَاكَ) خبر مبتدأ محذوف.

والمعنى أرزقني الذي نتمناه، وهو رضاك عني.

(1) رواه مسلم (187/1 رقم: 195) عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ، فذكروا الحديث.

(2) سورة الأعراف: 180.

و (الْجَنَّةُ) بضمّ الجيم الوقاية، وهو منصوب⁽¹⁾ على الحالية من رضاك، إذ كلّ مَنْ رضي الله تعالى عنه فهو مستور من كلّ مكروه.

وفي حديث الشّفاة «يُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ مَنْ أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، كَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي رِقَابِهِمُ الْحَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا»⁽²⁾، اهـ.

فرضا الله تعالى هو الفضل العظيم، ولذلك قال المصنّف رحمه الله تعالى: (مَا نَبْغِي عَنْهُ شَيْئًا) أي لا أبغي به بدلًا، فهو الكبريت الأحمر والفوز الأكبر، اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا رِضَاكَ وَلَا تَشْغَلْنَا بِسِوَاكَ.

[سؤاله قبُول الدّعاء]

ولمّا فرغ من الدّعاء سأل من الله عزّ وجلّ⁽³⁾ القبول، فقال:

(1) نهاية الورقة (142/ظ).

(2) رواه أحمد (202/17 رقم: 11127)، مسلم (167/1 رقم: 183)، وأبو داود الطيالسي (629/3 رقم: 2293)، وابن حبان (377/16 رقم: 7377)، والحاكم (626/4 رقم: 8736)، وابن أبي عاصم في السنة (285/1 رقم: 635) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(3) في (هـ) جلّ وعلا.

697 - أَنَا عَبْدُكَ ذَلِيلٌ وَضَعِيفٌ وَعَلِيلٌ

698 - وَأَنْتَ مَوْلَايَ جَلِيلٌ أَقْبَلُ مِنْي دُعَايَا

العبد يقال على أضرَب:

الأول: عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصحَّ بيعه وابتياعه.

الثاني: عبد بالاختراع، وذلك ليس إلاَّ لله تعالى، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١٣) ﴿١﴾.

الثالث: عبد بالعبادة، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ (٢)، و ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ (٣).

الرابع: عبد الدنيا وأعراضها، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّزْهَمِ» (٤).

وجملة (أَنَا عَبْدُكَ) مبتدأ وخبر، و (ذَلِيلٌ) صفة للخبر، والذَّلِيلُ المُهَانُ، و (ضَعِيفٌ) معطوف عليه، أي من المستضعفين في أرضك، و (عَلِيلٌ) معطوف عليه، أي متَّصف بالعلل الباطنة وهي الأمراض القلبية. وقوله: (وَأَنْتَ مَوْلَايَا) مبتدأ وخبر، أي أنت وحدك المأمول منه النَّصْر والمَعُونَةُ، لأنَّك المالك ولا مفزع للمملوك إلاَّ مالكه.

(1) سورة مريم: 93.

(2) سورة ص: 41.

(3) سورة الإسراء: 1.

(4) رواه البخاري (36/2 رقم: 2886)، وابن ماجه (1385/2 رقم: 4135)، وابن حبان (12/8 رقم: 3218)، والبيهقي (159/9 رقم: 18279) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: (جَلِيلٌ) خبر بعد خبر، لأنَّ الجليل من أسمائه تعالى، ومعناه العظيم الذي يصغر دونه كلَّ جليل ويتَّضع معه كلُّ رفيع.

وجملة (أَقْبَلُ مِنْي) إلخ دُعائيَّة، فالمرجو ممَّن ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا﴾ (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿٢٩﴾ ﴿١﴾ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الْجَمِيعِ (٢) بالقبول، بجاء النَّبِيِّ ﷺ الواصل الموصول.

[ختم المنظومة بالصلاة والسلام على سراج الأنام]

ثم قال:

- 699 - وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سِرَاجِ الْأَنَامِ
700 - مَا سَاوَى الضِّيَا الظَّلَامُ فِي الْأَفَاقِ كُلِّيَا
701 - وَعَلَى الْأَلِ الْأَبْرَازِ وَالصُّحَابَةِ الْأَخْيَازِ
702 - وَالْأَزْهَرِي ذِي الْأَنْوَاظِ وَجَمِيعِ الْأُولِيَا

ختم رحمه الله تعالى الأرجوزة بالصلاة على النبي ﷺ لتحصيل بركاتها في النِّهاية كما هي في البداية، إذ هي من أعظم الأسباب الفاتحة للأبواب، وَلَمَّا وَرَدَ «أَنَّهُ مَا كُتِبَ اسْمُهُ ﷺ فِي بَطَاقَةٍ، وَلَا ضَلِّيَ عَلَيْهِ ﷺ فِي كِتَابٍ أَوْ مَحْفَلٍ إِلَّا وَحَلَّتْهُ الْبَرَكَةُ وَغَشِيَتْهُ الرُّحْمَةُ» (٣).

(1) سورة النازعات: 28 . 29.

(2) نهاية الورقة (143/و).

(3) لم أفق عليه.

ويقال: ما من دعاء ولا عمل مفتتح ومختتم بالصلاة على النبي ﷺ إِلَّا تَقَبَّلَهُ اللهُ تعالى، إذ هو سبحانه وتعالى أجل وأكرم من أن يَرُدَّ شيئاً بين صلاتين مقبولتين، لأنَّهم أجمعوا على أنَّ الصلاة عليه ﷺ مقبولة لا تُرَدُّ، وأنها مصونة من آفة الرياء والعُجب.

وأراد بـ (سراج الأنام) سيّدنا محمّد عليه الصلاة والسلام، لأنّه من أسمائه ﷺ⁽¹⁾، سمّاه الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁽²⁾، لوضوح أمره وبيان بُتُوته⁽³⁾.

وأضافه إلى الأنام لتنوير قلوب المؤمنين والسالكين والعارفين بهديه وبما جاء به، فهو السراج الكامل في الإضاءة، ولأنّه الحامل للنور.

وهو لغة المصباح الحامل لما يستضاء به، ويوصف به الشّمس والقمر وكلّ مضيء مجازاً لعلاقة السببيّة⁽⁴⁾.

وسمّي به ﷺ لأنه يُسْتَضَاءُ به من ظلمات الجهالة، وتُقَبَّسُ من نوره أنوار البصائر.

(1) في (هـ) عليه الصلاة والسلام.

(2) سورة الأحزاب: 46.

(3) قال القسطلاني في المواهب اللدنية (463/1): «وأما السراج فسماه الله تعالى به في قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾، لوضوح أمره، وبيان نبوته، وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به، فهو نير في ذاته منير لغيره، فهو السراج الكامل في الإضاءة، ولم يوصف بالوهاج كالشمس، لأن المنير الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج».

(4) انظر المصباح المنير (272/1)، والقاموس المحيط (ص: 193) مادة: سرج.

وقوله⁽¹⁾: (مَا سَاوَى الضِّيَاءِ) إلخ، أي مدّة معادلة الضياء الظلام، من المساواة وهي المماثلة والمعادلة، لأنّ دوائر الأزمان المشتملة على أقواس الليل والنّهار المختلفة في الطّول والقصر في الآفاق المائلة متساوية بالنّسبة إلى فصول السّنة الأربعة، فما زاد في قسيّ مثلثة السّرطان يقابله⁽²⁾ ما نقص من قسيّ مثلثة الجدي، وبذلك تحصل المساواة والاعتدال، وقسّ على ذلك مثلثة الحمل ومثلثة الميزان.

وهذه المعادلة ثابتة في كلّ الآفاق المائلة وغيرها.

و (الضِّيَاءُ) النّور والإشراق، والظّلام⁽³⁾ ضده.

و (الآفَاقُ) جمع أفقٍ، وهو الدّائرة الفاصلة بين الظّاهر والخفيّ من الفلّك، هذا هو الثّابت في النّسخ.

و (الجَوَاهِرُ كُلِّيًّا) بدل (فِي الْآفَاقِ كُلِّيًّا)، وعلى ذلك فالمعنى ما مائل النّور الظّلام والجواهر كلّها في الحدوث والافتقار إلى الله تعالى ولوازمها، لأنّ المساواة بين الجواهر والأعراض التي من جملتها الضياء وضده فيما ذكر متحقّقة مدّة وجودها.

وأراد بالجواهر ما يعمّ الجوهر الفرد وغيره، ف (مَا) ظرفيّة مصدرية.

(1) [وقوله] ساقط من (ه).

(2) في (ط) كان يقابله.

(3) نهاية الورقة (143/ظ).

و (الضِّيَا) فاعل (سَاوَى)، و (الظَّلَام) مفعوله.

و (الْجَوَاهِرُ) عطف على (الظَّلَام)، فيصح رفعه ونصبه
بالاعتبارين المذكورين.

وأراد بذلك رحمه الله تعالى إنشاء طلب صلاة على النبي ﷺ
دائمة لا نهاية لها، لأن مساواة النور للظلمة والجواهر في الحدوث
والافتقار إلى الله تعالى دائمة مادامت الدنيا والجنة والنار.

وقريب من هذه الصلاة: اللهم صلّ على سيّدنا محمد عدد ما
في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله.

واختلف فيمن صلى على النبي ﷺ هكذا أو يقول: اللهم صلّ
على سيّدنا محمد عدد كذا، هل يثاب بثواب من صلى عليه دائما أو
بعدد من الأعداد أم لا؟

نُقِلَ عن الإمام ابن عرفة⁽¹⁾ أنّه يحصل له ثوابٌ أكثر ممّن صلى
عليه بغير ذلك مرّة واحدة، لا ثواب من صلى عليه أبد الأبدین أو
صلى عليه بذلك العدد.

وقيل: يحصل له ثواب من صلى عليه ذلك حقيقة.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، شيخ الشيوخ، وخاتمة
المحققين، كان حافظا للمذهب ضابطا لقواعده، وإليه كانت الرحلة في الفتوى، له
مؤلفات أفاد فيها وأبدع، منها: مختصره الفقهي، والحدود الفقهية، وتأليف في
أصول الفقه، توفي رحمه الله سنة 803هـ.

له ترجمة في: الديباج المذهب (ص: 419)، وشجرة النور (1/227).

واحتجّ الأُبَيّ⁽¹⁾ لكلّ من القولين.

وقال الشيخ زروق في قواعده: «وفي تحصيل ذكر جامع العدد، كقول سبحانه الله وبحمده، عدد خلقه، على ما هو به أو مع تضعيفه أو دونه أقوال».

وبالجملة، ففضل الصلاة على النبي ﷺ مقرونة بعدد أو صفة دالة على دوام أو نحوه أو مجردة من ذلك، لا يُحصى ثوابها ولا يكاد يُستقصى، فمن ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن سُمرة⁽²⁾ رضي الله تعالى عنه قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ

(1) هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن عمر التونسي الوشتاني الأُبَيّ، الإمام الحافظ الفقيه المحقق، والأُبَيّ نسبة إلى أبة من قرى تونس، لازم ابن عرفة وتفقه عليه، وتولى قضاء الجزيرة، صنف كتباً مهمة غزيرة الفوائد منها شرحه للمدونة، وشرحه لصحيح مسلم أكمل به شرح القاضي عياض سماه إكمال إكمال المعلم في شرح مسلم، توفي رحمه الله سنة 827هـ - 1424م.

له ترجمة في: له ترجمة في: نيل الابتهاج (ص: 487 - 488)، وتوشيح الديباج (ص: 204 - 205)، ودرة الحجال (ص: 275)، وشجرة النور الزكية (ص: 244).

(2) هو الصحابي الجليل أبو سعيد عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي، العبشمي، أسلم يوم الفتح، وكان أحد الأشراف، ونزل البصرة، وغزا سجستان أميراً على الجيش في زمن عثمان وافتتحها، توفي رضي الله عنه بالبصرة سنة 50هـ - 670م.

له ترجمة في: الاستيعاب (2/835)، وأسد الغابة (3/350 - 351)، وسير أعلام النبلاء (2/571).

(3) [تعالى] ساقطة من (ط).

الْبَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَخْبُو مَرَّةً وَيَتَعَلَّقُ مَرَّةً، فَجَاءَتْ صَلَاتُهُ عَلَيَّ فَأَقَامْتُهُ عَلَى الصِّرَاطِ حَتَّى جَازَ»⁽¹⁾.

وعن أنس⁽²⁾ بن مالك رضي الله تعالى عنه⁽³⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمِ أَلْفِ مَرَّةٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»⁽⁴⁾.

وروي: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرَ مَرَّاتٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةَ مَرَّةٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُبَشَّرَ بِالْجَنَّةِ»⁽⁵⁾.

(1) رواه ابن شاهين في الترغيب (ص: 151 رقم: 526)، وابن بشران في الأمالي (ص: 117 رقم: 249)، والطبراني في الأحاديث الطوال (ص: 273)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (180/7): «رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي، وكلاهما ضعيف».

(2) نهاية الورقة (144/و).

(3) [تعالى] ساقطة من (ط).

(4) رواه ابن شاهين في الترغيب (ص: 14 رقم: 19)، وابن سمعون في الأمالي (ص: 118 رقم: 56)، وفيه محمد بن عبد العزيز الدينوري، قال الذهبي: «مُنْكَرُ الْحَدِيثِ ضَعِيفٌ».

ورواه قوام السنة في الترغيب والترهيب (504/1 رقم: 910) من طريق آخر، وذكره السخاوي في القول البديع (ص: 132) وبين من خرجه ثم قال: «وبالجملة فهو حديث منكر كما قاله شيخنا».

(5) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (505/1 رقم: 2233) لأبي الشيخ عن أنس رضي الله عنه.

وفي رواية: «وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ أَلْفَ مَرَّةٍ، حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ»⁽¹⁾، اهـ.

يعني نار جهنم، أي جعله حراما عليها بمعنى ممتنعا، فلا سبيل لها إليه، وهو كناية عن كمال النجاة من النار مطلقا بحسب ظاهر اللفظ، ويحتمل أن يكون مقيدا بحال الخلود فيكون هو المقصود بالتحريم.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ولهذا⁽²⁾ كانت الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام مستحبة في البدء والختام.

وقوله: (وَعَلَى آلِهِ) عطف على (سَرَاجِ الْأَنْامِ) مشارك له في حكمه، وهو الدعاء لهم بالصلاة والسلام.

وفي الحديث: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى آلِي»⁽³⁾.

(1) لم أقف عليه، وهو مثل ما تقدم، لم يصح في ذكر الصلاة على النبي ﷺ ألف مرة شيء من الأحاديث.

(2) في (هـ) الهوى.

(3) رواه الدارقطني (2/171 رقم: 1343)، وابن الجوزي في التحقيق في مسائل الخلاف (1/402 رقم: 544) عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَيَّ وَلَا عَلَى أَهْلِ بَيْتِي لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ»، وفيه جابر بن يزيد الجعفي ضعيف، قال يحيى بن معين: «لا يكتب حديثه، ليس بشيء»، وقال أبو حنيفة: «ما لقيت أكذب منه».

ورواه الدارقطني (2/170 رقم: 1342)، والحاكم (1/402 رقم: 992)، الرويانى في المسند (2/228 رقم: 1098)، والبيهقي (2/529 رقم: 3967) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ فِي صَلَاتِهِ»، وفيه سنده عبد المهيمن بن عباس، قال الدارقطني: «ليس بالقوي»، وقال الذهبي: «واه»، وقال البيهقي: «ضعيف لا يحتج برواياته».

وأنشد بعضهم في هذا المعنى:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

كَفَاكُمْ مِنْ عَمِيمٍ الْفَخْرُ أَنْكُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

واختلف في معنى الآل على أقوال شتى، والمشهور من مذهبنا اختصاصهم بالمؤمنين من بني هاشم الذين تحرم عليهم الزكاة.

وقيل: آل النبي هم المؤمنون، لأن آل الأنبياء متابعوهم.

وقيل: اللائق بمقام الدعاء حملهم على اتقياء أمته عليه الصلاة والسلام، كما هو قول الإمام مالك رحمه الله تعالى.

واشتقاق الآل من آل يُؤُولُ إذا رجع إليك لقراءة أو اتباع، وأصله أول، قلبت الواو ألفاً لتحركها بعد فتحة⁽¹⁾.

وقال الزمخشري: أصله أهل⁽²⁾، قلبت الهاء همزة، كما قلبت الهمزة هاء في هراق لأن أصله أراق، ثم قلبت الهمزة ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها كما في آدم وآمن⁽³⁾، فقليل آل، قيل⁽⁴⁾ وهو المشهور، وتصغيره على أهيل وأويل يشهد للأصلين، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه.

(1) انظر فتح الباري (469/6)، والمصباح المنير (29/1).

(2) انظر الكشف (445/2)، والفائق في غريب الحديث (67/1).

(3) في (ط) أمر.

(4) [قليل] ساقطة من (ط).

وقوله: (الأَبْرَارِ) نعت لآل، وهو جمع بَرَّ بفتح الباء، وهو الصَّادق⁽¹⁾ والتَّقِيّ والخَيْر، والأوصاف الثلاثة قائمة بهم رضي الله تعالى عنهم.

وقوله: (وَالصَّحَابَةِ) بالجرّ عطف على (سِرَاجِ الْأَنْثَامِ)، على قاعدة البُصْرِيَّيْنِ، وهو بفتح الصَّاد، في الأصل مصدر، ثم وصفوا به وأطلقوه على الجمع، ومفرده صاحب، وهذا قول الجمهور، ومشى عليه صاحب القاموس⁽²⁾، وصرَّح به ابن جني⁽³⁾ وغيره.

وصرَّح الشيخ ابن مالك في شرح الكافية: «بأنَّ الصَّحابة بالفتح، والصَّحْب والصَّحبة بالفتح، ثلاثها أسماء جموع».

و (آل) فيه إمَّا للغلبة أو عوض من المضاف إليه، أي صحابته
عليه السلام.

و (الصَّاحِب) في الأصل مَنْ بينك وبينه ملاءمة كمعاشرة أو قرابة ونحوها.

(1) نهاية الورقة (144/ظ).

(2) انظر القاموس المحيط (ص: 104) مادة: صحب.

(3) ابن جني: بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء، وهو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، النحوي المشهور، إمام العربية في زمانه، وصاحب التصانيف، ولد بالموصل وتوفي رحمه الله ببغداد سنة 392هـ - 1002م عن نحو 65 عاما.
له ترجمة في: تاريخ بغداد (11/311 - 312)، وسير أعلام النبلاء (17/17 - 19)، ووفيات الأعيان (3/246 - 248)، وبغية الوعاة (2/132).

وفي العرف مَنْ لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك رآه أم لا.

وقوله: (الأخيار) نعت للصحابة، وهو جَمْعُ خَيْرٍ بالتشديد، ولا جرم أنهم أخيار لقوله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ»⁽¹⁾.

وقوله: (الأزهري) عطف على سابقه، وأراد به شيخنا سيدي مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ، ونسبه إلى الجامع الأزهر بالمجاورة.

وقوله: (ذِي الْأَنْوَارِ) نعت له، وأراد بالأنوار معارفه الربّانية وعلومه الدّينية.

(1) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص: 162 رقم: 151)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (383/19)، والديلمي في الفردوس (310/2 رقم: 3400) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي سننه عبد الرحيم بن زيد العمي، قال ابن معين: كذاب.

ورواه عبد بن حميد في المنتخب (ص: 250 رقم: 783)، وابن عدي في الكامل (785/2 . 786)، والآجري في الشريعة (1691/4 رقم: 1167)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (924/2 رقم: 1759) كلاهم عن ابن عمر رضي الله عنه.

ورواه ابن بطة في الإبانة (564/2 رقم: 702)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص: 162 رقم: 152) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال البيهقي عقب تخريجه: «هذا حديث متنه مشهور، وأسانيده ضعيفة، لم يثبت في هذا إسناد».

ورواه ابن منده في الفوائد (ص: 29 رقم: 11)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (925/2 رقم: 1760) عن جابر رضي الله عنه.

والقضاعى في مسند الشهاب (275/2 رقم: 1346) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وجميع طرقه ضعيفة، وبعضها واهية، وبعضها أضعف من بعض.

وقوله: (جَمِيعُ الْأَوَّلِيَا) عطف على سابقه، والغرض من ذلك التعميم، وفي الحديث «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَعَمِّمُوا»⁽¹⁾، ولأنَّ التعميم في الدِّعاء مندوب.

وهذا آخر ما يَسر الله تعالى جمعه في شرح هذه الأرجوزة المنورة، المفيدة المختصرة، القليلة الجرم، الغزيرة العلم.

وكان الفراغ من تجريده صبيحة يوم الاثنين لسبع بَقَيْنَ من ثاني الربيعين من عام واحد وخمسين وألف ومائتين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والصَّلَاة والسَّلَام على سيِّدنا محمَّد النبي الأَوَّاه، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والجاه.

نسأله سبحانه أن يغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين، وأن يوفِّقنا لما يحبُّه ويرضاه، ويجعل آخر كلامنا لا إله إلاَّ الله محمَّد رسول الله صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا.

سبحان ربِّك ربَّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربَّ العالمين⁽²⁾.

(1) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (88/1): «لم أقف عليه بهذا اللفظ، ويمكن أن يكون بمعنى: صلوا علي وعلى أنبياء الله، فإن الله بعثهم كما بعثني».

(2) نهاية الورقة (145/و).

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
سورة البقرة		
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾	10	39/2
﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾	30	330/2
﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾	31	183/2
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾	83	415/1
﴿ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	101	25/2
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾	102	80/2
﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾	152	255/1
﴿ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾	200	127/2
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾	222	304/1
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾	255	219/1
		348 ، 150/2
﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	257	326 ، 325 ، 191/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾	264	42/2
﴿ يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءٌ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾	273	251/1
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾	282	286 ، 15/2
﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾	284	220/1

سورة آل عمران

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ ١٧	17	301/2 - 241/1
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾	18	98/1
﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾	26	220/1
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾	31	397 ، 107/1
﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا ﴾	41	267/1
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	91	201/1
﴿ بَنَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾	134	54/2
﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾	102	328/2 - 327/1
﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١٧٥	175	319/1
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	191	128/2 - 256/1

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة النساء

﴿وَأَنفُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ﴾	2	158/2
﴿الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُرَكِّبُ مِنْ شِئَاءٍ﴾	49	51/2
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	58	104/2
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾	64	245/1
﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾	69	317/2
﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾	77	328/1
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	80	212/1
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾	110	245/1
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾	114	285/2
﴿وَلَا مَنِيئَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ﴾	119	231/1
﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَالَىٰ﴾	142	7/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة المائدة

48/2	2	﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾
336/1	23	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾
337/1	23	﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكَبُوا عَلَىٰ بُيُوتِهِمْ﴾
	48	﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾
47/2	79	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُّكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

سورة الأنعام

285/2	68	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾
138/2	75	﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾
332/1	82	﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

سورة الأعراف

52/2	12	﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾
------	----	-----------------------

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾	55	315/1
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾	96	327/2
﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	99	339 ، 318 ، 160/1
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾	142	109/1
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾	151	327/2
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	156	321/1
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾	172	107/1
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	180	349/2

سورة الأنفال

﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾	72	372/1
---	----	-------

سورة التوبة

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾	60	392/1
﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾	82	303/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) 128 45/2

سورة يونس

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ 62 118/1

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ﴾ 58 316/2

سورة هود

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ 6 401/1

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ 56 161/1

سورة يوسف

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾ 31 250/2

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ 31 171/2

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ 31 171/2

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١) 31 171/2

﴿إِنِّي أُرْسِيْ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ 36 158/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	53	230 ، 162/1 116/2
---	----	----------------------

سورة الرعد

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾	11	272/2
---	----	-------

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	28	256/1
---	----	-------

سورة إبراهيم

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾	2	397/1
---	---	-------

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	7	332/1
--------------------------------------	---	-------

﴿وَمَا ذَلِك عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	20	257/1
---------------------------------------	----	-------

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	27	120/2
---	----	-------

سورة الحجر

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	42	163/1
---	----	-------

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة النحل

407/1	23	﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾
272/1	81	﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾
198/1	91	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾
335/1	97	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾
405/1	105	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
330، 232/1	127	﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

سورة الإسراء

351/2	1	﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾
344/2	14	﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾
9/1	18	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا دَشَاءَ لِّمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾
22/2 - 359/1	44	﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّعُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾
142/2	72	﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾
245/1	77	﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾
243/1	79	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ﴾

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة الكهف

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾	22	415/1
﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾	28	341 ، 115/1
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٢٨)	28	282/1
﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾	78	35/2
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ﴾	110	109/2 - 321/1

سورة مريم

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (٨٤)	84	271/2
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١٣)	93	351/2

سورة طه

﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾	96	322 ، 83/2
﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤)	114	

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة المؤمنون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥﴾ 5 189/1

سورة النور

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ 24 186/1

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ 31 197، 173/1

سورة الفرقان

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ۝﴾ 43 368/1

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ۝﴾ 60 346/2

سورة القصص

﴿فَأَنفِقْ فِي أَيْمٍ ۝﴾ 7 165/1

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة العنكبوت

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾	5	320/1
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	45	256/1
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	69	128/2 - 266/1

سورة السجدة

﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	16	241/1
--	----	-------

سورة الأحزاب

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾	4	286/2
﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً﴾	35	163/1، 201، 268، 364
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	41	163/1، 201، 214، 267
﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾	46	353/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة فاطر

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	6	231، 162/1
﴿لِيَهَيِّصَ عَدَاكُمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾	10	208/1

سورة يس

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾	65	186/1
--	----	-------

سورة الصافات

﴿إِنَّ إِلَٰهَهُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾	4 - 5	339/2
--	-------	-------

سورة ص

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾	41	351/2
---------------------------------	----	-------

سورة الزمر

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾	10	330/1
--	----	-------

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة غافر

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	16	155/2
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	35	407/1
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	60	324/2 - 310/1

سورة الشورى

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	11	147، 139، 79/2
﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾	19	333، 331/2

سورة الزخرف

﴿وَسُرُّرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُ﴾	34	250/2
﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا﴾	20	217/2

سورة محمد

﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	7	268/1
﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾	38	251/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة الفتح

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	2	104/1
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	10	196/1
﴿فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ﴾	10	198، 196/1
﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾	26	327/2

سورة الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾	2	15/2
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾	6	54/2
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	10	44/2
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾	11	5/2
﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾	12	64/2
﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾	12	7/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾	12	411/1
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	13	51/2 - 326/1

سورة ق

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	18	290/1
--	----	-------

سورة الذاريات

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	237/2
--	----	-------

سورة النجم

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾	32	51/2
﴿أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ﴾	59 . 61	303/2
﴿وَأَنْتُمْ سَمِعُودُونَ﴾		

سورة النجم

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾	32	51/2
﴿أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ﴾	59 . 61	303/2
﴿وَأَنْتُمْ سَمِعُودُونَ﴾		

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة الحديد

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	3	161/2
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	16	292/1
﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾	22	337/2

سورة الحشر

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	9	239 ، 55/2
﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	9	28/2

سورة المنافقون

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا	9	290/1
أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾		

سورة التغابن

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	15	290/1
---	----	-------



الآية	رقمها	الجزء والصفحة
سورة الطلاق		
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	3	336/1
﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	12	179/1
سورة التحريم		
﴿يَأْتِيهَا الذِّكْرُ ۖ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾	8	197/1
سورة نوح		
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾	28	326/3
﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾		
سورة المزمل		
﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ۝١ قُلِ الْبَلِّ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾	2 . 1	242/1
﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾	7	331/2
سورة القيامة		
﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾	2	116/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
سورة الإنسان		
﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥)	25	341/1
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١)	1	114/1
سورة التكويد		
﴿مُطَاعِ ثُمَّ آمِينَ﴾ (٣١)	21	103/1
سورة البروج		
﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (١٤) ذُو الْعَرْشِ	15.14	233/2
سورة الأعلى		
﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (١)	9	272/1
سورة الفجر		
﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)	28 . 27	167 ، 117/2

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
-------	-------	---------------

سورة الشمس

8. 7 ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ 8/1 - 116/2
10. 9 ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ 106/1، 202
121/2

سورة البينة

- 5 ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ 158/1، 377
79/2

سورة القارعة

7. 6 ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ 347/2

سورة الإخلاص

- 1 ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ 234/2، 235

- «الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا» 120/1
- «أَتَرَكُوا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا، فَإِنَّهُ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ» 328/1
- «أَتَيْتُكُمْ بِشَرِيعَةٍ بَيِّنَةٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا نَبِيٌّ قَبْلِي» 177/1
- «إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابُ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ: هَلُمَّ» ... 5/2
- «اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرًا مِنَ الْحَلَالِ» 323/1
- «أَحْثُوا الثَّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ» 284/2
- «لِلْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، « 232، 172، 168/1
- «اخْفِظْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ» 252/1
- «أَخْلِصْ الْعَمَلَ يُجْزِيكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ» 313/2
- «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ» 408/1
- «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ» 292/1
- «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَحْنُ مِنْ خَانَكَ» 60/2
- «إِذَا ابْتَلَّتِ النَّعَالَ فَالصَّلَاةُ فِي الرَّحَالِ» 204/2
- «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَمَنْطِقًا فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ» 329/1
- «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهُ» 332/2
- «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ بِطُوبَى أَكْفَيْكُمْ» 317/1
- «إِذَا صَلَّى عَلَى الْعَبْدِ فِيهَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ طَائِرٌ أَخْضَرُ» 218/1

- 362/2 «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَعَمِّمُوا»
- 344، 206/1 ... «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَرَقَتِ السَّمَاوَاتِ»
- 204/1 «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ»
- 205/1 «إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ خَلَقَ اللَّهُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ طَائِرًا»
- 284/2 «إِذَا مَدَحْتَ أَحَاكَ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا أَمْرَزْتَ عَلَى حَلْقِهِ مُوسَى»
- 38/2 - 368، 352/1 «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا»
- 140/2 «إِذَا نَزَلَ الثَّوْرُ فِي الْقَلْبِ انْفَتَحَ وَانْشَرَحَ»
- 315/2 .. «الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي»
- 397، 328/1 «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ»
- 361/1 «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»
- 300/2 «اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ»
- 361/2 «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ»
- 123/2 . 230/1 «أَعْدَى أَعَادِيكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»
- 162/1 «أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَى الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»
- 337/1 «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»
- 204/2 «الْأَعْمَالُ بِالْيَتَاتِ»
- 218/1 «الْأَعْمَالُ مِنْهَا الْمَقْبُولُ وَمِنْهَا الْمَرْدُودُ، إِلَّا مَا كَانَ»
- 82/2 «أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»
- 378/1 «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
- 237/1 «أَفْضَلُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً أَطْوَلُكُمْ جُوعًا وَتَفَكُّرًا»
- 279/1 «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ»

- 248/1 «أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»
- 248/1 «أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْأَجُوفَانِ الْفَمَ وَالْفَرْجَ»
- 217/1 «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ»
- 217/1 «أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ»
- 365/1 «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ»
- 293/1 «أَكَلْتُكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ»
- 307/1 «أَلَا أَذَلُّكُمْ عَلَى صَاحِبٍ إِنْ أَنْتُمْ أَهْتُمُّوهُ أَكْرَمَكُمْ»
- 247/1 «أَلَا أَعَلَّمْتُكُمْ عِلْمًا خَفِيًّا عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلًا فِي الْمِيزَانِ؟»
- 251/2 «أَلَا فَيَمِّنُوا، أَلَا فَيَمِّنُوا»
- 384/1 «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
- 414/1 «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْأَلَدُ الْخَصِمُ»
- 286/1 ... «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الثَّرَثَارُونَ »
- 179/2 «أَنْ أَحَبَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الْمُحِبِّينَ عِبَادَ اللَّهِ»
- 319/1 «إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ»
- 9/2 «إِنَّ الْأَحْمَقَ يَضْحَكُ مِنْ كُلِّ مَا يَرَاهُ»
- 332/2 «أَنَّ اللَّهَ يَطْلُعُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسَ فَيَقُولُ»
- 222/2 «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا»
- 220/2 «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا شَرِبَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا»
- 221/2 «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ»
- 264/2 «إِنَّ أَهْلَ الشَّعْبِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْجُوعِ فِي الْآخِرَةِ»

- «أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يُعْطَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» 345/2
- «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ» 410/1
- «إِنَّ أَوْلَاكُمْ بِشَفَاعَتِي وَأَقْرَبَكُمْ مَنْزِلَةً مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» 100/1
- «إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً» 217/1
- «أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ صَنَادِيدُ فُرَيْشٍ» 115/1
- «أَنَّ الْبِرَّ هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَأَنَّ الْإِثْمَ هُوَ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ» 317/2
- «أَنَّ الْحَفْظَةَ تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَتَقُولُ: يَا رَبَّنَا» 273/2
- «أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ» 311/2 - 111/1
- «إِنَّ الدُّعَاءَ لِيَدْفَعُ مُبْرَمَ الْقَضَاءِ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ لِيَتَلَقَّى الْبَلَاءَ» 312/1
- «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ، فَيَهْوِي بِهَا» 303/2
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بَلْبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَغْرَابِيٌّ» .. 229/2
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَنْدُوقًا» 190/2
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ غُلَامًا فَأَلْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرًا» 264/2
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ» 328/2
- «أَنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ» 349/1
- «أَنَّ سَيِّدَ الْأَعْمَالِ الْجُوعُ» 237/1
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» 237/1
- «أَنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ» 317/2
- «أَنَّ صِيَامَ يَوْمِ التَّرْوِيَةِ كَصِيَامِ سَنَةٍ» 229/1
- «أَنَّ صِيَامَ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يَغْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ، وَيُكَفِّرُ ذُنُوبَ سَنَةٍ» 228/1

- «أَنَّ صِيَامَ يَوْمٍ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ وَالْمَاضِيَةِ» 227/1
- «أَنَّ الْعَاقَ لَا يُزْفَعُ لَهُ إِلَى السَّمَاءِ عَمَلٌ» 7/2
- «أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ حَتَّى أُحِبَّهُ» 148/2
- «أَنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ» 61/2
- «إِنَّ الْعُجْبَ لَيَحْبِطُ عَمَلُ سَبْعِينَ سَنَةً» 408/1
- «أَنَّ غَسْلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ» 274/2
- «أَنَّ فِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ بِأُمُورَةٍ بِأَخَذِ مَنْ أُمِرْتُ بِهِ» .. 349/2
- «أَنَّ الْكُتُبَ كُلَّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ» 344/2
- «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ» 124/1
- «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ» 113/2
- «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَمُودًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ» 208/1
- «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ عَلَى قَلْبٍ فِيهِ غَيْرُهُ» 390/1
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي» 277/1
- «إِنَّ لِلَّهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذِّكْرِ» 352/1
- «إِنَّ لِلَّهِ عَمُودًا بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ» 343/1
- «إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» 61، 41/2
- «إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، فَتُظْفِقُوا أَفْنِيَتَكُمْ» 218/2
- «إِنَّ اللَّهَ نَفَحَاتٌ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا» 279/1
- «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْوَسَخَ وَالشَّعَثَ» 219/2
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ» 308/1
- «إِنَّ اللَّهَ سِتِيرٌ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ السَّتِيرِينَ» 47/2

- «إِنْ لَمْ تَبْكُوا فَبَاكُوا» 362/1
- «إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فَلَا تَعْصِهِ» 185/1
- «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَأْمَنُ قَلْبُهُ وَلَا تَسْكُنُ رَوْعَتُهُ» 318/1
- «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» 56/2
- «أَنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ» 187/1
- «إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابُ الْجَنَّةِ» 5/2
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟» .. 351/1
- «أَنَّ الْمُسْتَمِعَ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ» 187/1
- «أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي» 369/1
- «أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ» 248/2
- «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي» 308/1
- «أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ بِي» 256/1
- «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» 204/2
- «إِنَّهُ أَرَوَى وَأَمْرًا وَأَبْرَأُ» 221/2
- «أَنَّهُ ﷺ أَلْبَسَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْعِمَامَةَ وَأَرْخَى لَهُ طَرَفَهَا» 189/2
- «أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَحْتَزُّ مِنْ كَتِفِ شَاةٍ فِي يَدِهِ» 268/2
- «أَنَّهُ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَشْرَبُ قَائِمًا، فَقَالَ لَهُ: قِهِ» 222/2
- «أَنَّهُ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ مُفْعِيًا» 248/2
- «أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَبُولُ فِي قَدَحٍ مِنْ عِيدَانٍ ثُمَّ يُوَضِعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ» ... 227/2
- «أَنَّهُ ﷺ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ» 108/1

- 352/2 «أَنَّهُ مَا كُتِبَ اسْمُهُ عَلَيْهِ ﷺ فِي بَطَاقَةٍ»
- 268/2 «انْهَشُوا اللَّحْمَ نَهْشًا، فَإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ»
- 351/1 «إِنِّي رَأَيْتُ الرَّحْمَةَ تَنْزُلُ عَلَيْكُمْ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشَارِكَكُمْ فِيهَا»
- 357/2 «إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا»
- 213/2 «إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُ النَّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ»
- 103/1 «إِنِّي لَأَمِينٌ فِي الْأَرْضِ، وَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ»
- 412/1 «أَوَّلُ مَا نَهَانِي رَبِّي عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ»
- 333/1 «أَوَّلُ مَا يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمَادُونَ»
- 412/1 «إِيَّاكُمْ وَالْغِيْبَةَ، فَإِنَّهَا أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا»
- 98/1 «بِاسْمِ اللَّهِ، أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مَنْ اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِي»
- 199/1 «بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ وَعَلَى يَدِهِ ثَوْبٌ»
- 97/1 «الْبِسْمَلَةُ مِفْتَاحُ كُلِّ كِتَابٍ»
- «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ
الْيَتَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ» 170/1
- 376، 291/1 «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»
- 234، 218/2 «تَنْظِفُوا، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ نَظِيفٌ»
- 44/2 «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»
- 408/1 «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٍ، شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ»
- 362/1 «جَعَفَرُ أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خُلُقًا وَخُلُقًا، فَحَجَلٌ»
- 88/2 «الْجُمُعَةُ وَاجِبَةٌ، إِلَّا عَلَى امْرَأَةٍ أَوْ صَبِيٍّ أَوْ مَرِيضٍ»
- 239/1 «جُوعُوا تَصِحُّوا»

- «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» 398/1
- «حُبُّ الْمَالِ يُنْبِتُ التَّفَاقُ فِي الْقَلْبِ» 290/1
- «حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقَيْنِمَاتٍ يَقْمَنَ ضَلْبُهُ» 254، 91/2
- «الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَهِيَ الْحَالِقَةُ» 404/1
- «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» 404/1
- «الْحَسَدُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ» 403/1
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا» 220/2
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا» 195/1
- «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا» 259، 180، 91/2
- «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ» 309/1
- «دُعَاءُ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابٌ» 65/2
- «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» 311/1
- «الدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ، وَالدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الْحَاجَةِ» 311/1
- «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» 310/1
- «دَعُوا الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا، مَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ» 291/1
- «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» 246، 58/2 - 272/1
- «ذَاكِرُ اللَّهِ بَيْنَ الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ بَيْنَ الْفَارِسِينَ» 256/1
- «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ» 44/2
- «رَأْسُ الْعَقْلِ التَّحَبُّ لِلنَّاسِ» 294/2
- «رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» 139/2
- «رُبَّ مُضِلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ» 314/2

- «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ» 266/1، 306، 123/2
- «رَكْعَتَانِ مِنْ رَجُلٍ وَرِعٍ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ مِنْ مُحَلِّطٍ» 323/1
- «سُورُ الْمُؤْمِنِ شَفَاءٌ» 238/2
- «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ» 43/1 - 341/2
- «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ» 72/2
- «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ» 43/2، 200، 237
- «سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّهْوَرِ» 316/1
- «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ» 315/1
- «شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» 244/1
- «الشَّرِيعَةُ مَقَالِي، وَالطَّرِيقَةُ أَفْعَالِي، وَالْحَقِيقَةُ حَالِي» 181/1
- «الصَّبْرُ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ» 331/1
- «الصَّبْرُ نَصْفُ الْإِيمَانِ» 331/1
- «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، اسْتَكْبَرُ أَوْ أَقَلَّ» 244/1
- «صِيَامُ يَوْمِ التَّرْوِيَةِ كَصِيَامِ سَنَةٍ» 229/1
- «صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ وَالْمَاضِيَةِ» 227/1
- «الضَّحْكُ ضَحْكَانٍ: ضَحْكٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى» 10/2
- «طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ» 287/1
- «عَبْدِي إِذَا ذَكَرْتَنِي شَكَرْتَنِي، وَإِذَا نَسِيتَنِي كَفَرْتَنِي» 332/1
- «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا جَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ» 326/1
- «عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ» 200/2
- «عَلَيْكُمْ بِالْقَنَاعَةِ، فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَدُ» 334/1

- «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ» 243/1
- «فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ» 406/1
- «قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي، مَا عَبْدْتَنِي وَرَجَوْتَنِي» 320/1
- «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا»... 347/2
- «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» ... 349/1
- «قَالَ ﷺ: يَا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِمُداوِمَةِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِرًّا وَجَهْرًا»... 194/1
- «قَطَعْتَ غُنْقَ صَاحِبِكَ، لَوْ سَمِعَكَ مَا أَفْلَحَ» 284/2
- «قِيلَ: يَا مُحَمَّد، مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ «كُلُّ تَقِيٍّ» 326/1
- «قُلْ: اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَغْفِرْ» 314/2
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَعَا بَدَأَ بِنَفْسِهِ» 326/2
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ» 135/2
- «كَانَ ﷺ لَا يَتَحَدَّثُ حَدِيثًا إِلَّا تَبَسَّمَ» 136/2
- «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ» 158، 151/2
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» 227/1
- «كَانَ ﷺ يَتَحَنَّنُ فِي غَارِ حِزَاءٍ قَبْلَ الْبُعْثَةِ» 75/2 - 250/1
- «كَانَ ﷺ يُحِبُّ التَّيَّامُنَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَجَمِيعِ الْأُمُورِ» 230/2
- «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَعْلَانِ سَبْتَيْنِ» 211/2
- «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعُظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ» 406/1
- «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» 97/1
- «كُلُّ دَاءٍ أَضْلُهُ الْبُرْدَةُ» 260، 255/2

- «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِزُّهُ» 411/1
- «كُلُّ النَّاسِ هَلَكَى إِلَّا الْعَامِلُونَ، وَالْعَامِلُونَ هَلَكَى» 133/2
- «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» 415/1
- «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» 249/1
- «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» 396/1
- «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟» 193/1
- «كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ» 181، 174/2
- «لَا أَكُلُ مُتَكَبِّرًا» 249/2
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَذْفَعُ عَنْ قَائِلِهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بَابًا» 344/1
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، مَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» 378، 345/1
- «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ» 184/1
- «لَا تَقْطَعُوا اللَّحْمَ بِالسَّكِينِ» 267/2
- «لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقُلُوبَ» 9/2
- «لَا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ» 237/1
- «لَا تَنْسَنِي يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ» 102/1
- «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى آلِي» 358/2
- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ» 284/1
- «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ» 289/1
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» 406/1
- «لَا يَزِدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءَ» 309/1
- «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا» 316/2

- «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ» 127/2
- «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدُكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيُسْتَقَى» 222/2
- «لَا يُغْنِي حَدَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالِدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ» 312/1
- «لَا يَكِبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» 188/1
- «لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَبَّ إِلَيْهِ» 28/2
- «لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ» 44/2
- «لَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ صَلَاةٍ» 342/1
- «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»... 167/1، 30
- «لَذِكْرُ اللَّهِ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ خَيْرٌ مِنْ حَطْمٍ» 364/1
- «لِكُلِّ شَيْءٍ أُسٌّ، وَأُسُّ الْإِيْمَانِ الْوَرَعُ» 322/1
- «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ثَلَاثُونَ حَقًّا، لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا بِالْأَدَاءِ» 293/2
- «لَمْ يُصَافِحْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً قَطُّ» 198/1
- «لَنْ يَمُوتَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ» 400/1
- «اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ» 99/1
- «اللَّهُمَّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ» 100/1
- «لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بِكَفِّ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي» 333/1
- «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» 318/1 - 303/2
- «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ» 400/1
- «لَوْ جَاءَ قَائِلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا بِتُرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا» 269/1
- «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ أَحَدًا» 318/1
- «لَوْ نَوَى أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَهُ» 32/2

- «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» 310/1
- «لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا، أَوْ ضَرَّهُ، أَوْ مَكَرَهُ» 405/1
- «لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ وَلَا نَمِيمَةٍ وَلَا كَهَانَةٍ» 404/1
- «مَا زَارَ رَجُلٌ رَجُلًا فِي اللَّهِ شَوْقًا إِلَيْهِ، وَرَغْبَةً فِي لِقَائِهِ» 276/1
- «مَا فَضَّلَكُم أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ» 169/1
- «مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ يَا أَبَا عُمَيْرٍ» 289/2
- «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ» 235/1
- «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ... 226/1
- «مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا نَادَاهُمْ» 350/1
- «مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَوَسِعَنِي» 183/2
- «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيُخْتَرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» 10/2
- «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ يَحْمُسُونَ أَوْجُهُهُمْ» 412/1
- «الْمَعْدَةُ بَيْنَ الدَّاءِ، الْحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ» 255/2
- «مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» 146/1
- «مَلْعُونٌ مَنْ خَانَ مُؤْمِنًا أَوْ مَكَرَ بِهِ» 405/1
- «مَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَظُلِمَ فَعَفَرَ» 332/1
- «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتِمَثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا» 407/1
- «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» 336/1
- «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَهُ اللَّهُ فِي زُمْرَتِهِمْ» 294/2 - 363/1
- «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» 308/2
- «مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ» 334/1

- «مَنْ أُعْطِيَ الذِّكْرَ فَقَدْ أُعْطِيَ مَنُشُورُ الْوِلَايَةِ» 297/1
- «مَنْ أَكْثَرَ ذَكَرَ اللَّهَ أَحَبَّهُ اللَّهُ» 364/1
- «مَنْ تَتَبَعَ عَوْرَةَ أَحِيهِ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ» 46/2
- «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ كَانَ مِنْهُمْ» 191/2 - 363/1
- «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ» 52/2
- «مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ» 414/1
- «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَزَكَّاهُ مَا لَا يَغْنِيهِ» 285/2 - 396/1
- «مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَا، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَا خَيْرٍ مِنْ مَلَيْهِ» 366/1
- «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ» 246/1
- «مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ وَضَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ رَفَعَهُ اللَّهُ» 407/1
- «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» 46/2
- «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَلَيْهِ وَزُرْهَا وَوَزُرْ مَنْ عَمِلَ بِهَا» 57/2
- «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَالٍ» 226/1
- «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى» 341/1
- «مَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَسَنَ وَجْهَهُ بِالنَّهَارِ» 243/1
- «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ» 216/1
- «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ» 217/1
- «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ» 357/2
- «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ» 101/1
- «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ» 357/2
- «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَهُوَ جَالِسٌ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ» 218/1

- «مَنْ عَدَّ غَدًا مِنْ أَجَلِهِ فَقَدْ أَسَاءَ» 292/1
- «مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا فِي أَهْلِهِ أَوْ جَارِهِ فَلَيْسَ مِنَّا» 405/1
- «مَنْ فُتِحَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ مِنْكُمْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ» 311/1
- «مَنْ قَالَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ: اللَّهُمَّ صَلِّ» 216/1
- «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ مَرَّةً بُورِكَ عَلَيْهِ» 235/2
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا» 246/1
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَطَّانَ مَوَاطِنَ التُّهَمِ» 67/2
- «مَنْ كَثُرَ تَفَكُّرُهُ قَلَّ مَطْعَمُهُ» 263/2
- «مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» 222/1
- «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ» 311/1
- «مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاءَةَ فَلْيُصْم» 200/2 - 238، 236، 61/1
- «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ» 323/2
- «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا» 42/2
- «مَنْ لَاحَى الرَّجَالَ ذَهَبَتْ كَرَامَتُهُ» 414/1
- «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الشُّوْءَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ» 185/1
- «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» 304/1
- «نَعَمْ، إِلَّا أَنْ تُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ لَا يَبْلُغُ عُقُولَ الْقَوْمِ» 179/1
- «نِيَّةُ الْمَرْءِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ» 32/2
- «وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ الشُّبُوءَةِ» 222/1
- «الْوُضُوءُ نُورٌ، وَالْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلَى نُورٍ» 85/2
- «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ» 304/3

- «وَكَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَبْدِ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةَ مَلَكٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ» 272/2
- «وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ أَلْفَ مَرَّةٍ، حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ» 358/2
- «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ» 200/2
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَبْكُوا فَتَبَاكَؤُا» 304/2
- «يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ وُضوءٍ» 260/1
- «يَا بَنِي آدَمَ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ» 292/1
- «يَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي الْقَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ» 368/1
- «يَأْكُلُ الْمُسْلِمُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» 261/2
- «يَا عَجَبًا لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ يَجِئُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فِي حَاجَةٍ فَلَا يَرَى نَفْسَهُ» 310/2
- «يَبْلُغُ الْمَرْءُ بَيْتَهُ مَا لَا يَبْلُغُ بِعَمَلِهِ» 32/2
- «يُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ مَنْ أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ» 350/2
- «يَدْعُو اللَّهُ بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ» 314/1
- «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ» 317/1
- «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَسِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا» 190/2
- «يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ» 348/2
- «يُعَرِّضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ» 344، 343/2
- «يُنَزِّلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ» 399/1

فهرس المصادر والمراجع

- * العقد الفريد، لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1404هـ.
- * القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبع مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 8، 1426هـ - 2005م.
- * المغرب، لأبي الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي الخوارزمي المَطَرَزِي (ت610هـ)، دار الكتاب العربي، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- * صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت821هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- * معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبع دار الفكر، بيروت، 1399هـ - 1979م.
- * إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت840هـ)، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، طبع دار الوطن للنشر، الرياض، ط: 1، 1420هـ - 1999م.
- * إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني البيهقي (ت458هـ)، تحقيق الدكتور شرف محمود القضاة، طبع دار الفرقان، عمان، الأردن، ط: 2، 1405هـ.
- * إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ)، طبع دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
- * آداب الأكل، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن عماد الدين بن يوسف بن عبد النبي الأقفهسي ثم القاهري الشافعي (ت808هـ)، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وأبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1407هـ - 1987م.

- ✽ آداب النفوس لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت243هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، طبع دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.
- ✽ أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت450هـ)، طبع دار مكتبة الحياة، بيروت، 1986م.
- ✽ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني (ت923هـ)، طبع المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: 7، 1323هـ.
- ✽ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد المشهور بابن الأثير (ت630هـ)، دار الفكر، بيروت، 1409هـ. 1989م.
- ✽ أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ)، تحقيق مجموعة من الدكاترة، طبع دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط: 1، 1418هـ. 1998م.
- ✽ الإبانة الكبرى لابن بطة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العُكْبَرِي (ت387هـ)، تحقيق رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد النصر، طبع دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، 1418هـ.
- ✽ الأحاد والمثاني، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحَّاك بن مخلد الشيباني (ت287هـ)، تحقيق الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، طبع دار الراية، الرياض، ط: 1، 1411هـ. 1991هـ.
- ✽ الأحاديث الطوال، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت360هـ)، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، طبع مكتبة الزهراء، الموصل، ط: 2، 1404هـ. 1983م.
- ✽ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت354هـ)، بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1408هـ - 1988م.
- ✽ الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت256هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 3، 1409هـ - 1989م.

- ✽ الأذكار لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط: 1، 1425هـ - 2004م.
- ✽ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت 1315هـ)، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، طبع دار الكتاب، الدار البيضاء.
- ✽ الإستيعاب في معرفة الأصحاب، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد المعروف بابن عبد البر (ت 463هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1412هـ - 1992م.
- ✽ الأسماء والصفات للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، طبع مكتبة السوادي، جدة، السعودية، ط: 1، 1413هـ - 1993م.
- ✽ الإصابة في تمييز الصحابة، للأمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ.
- ✽ الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 8، 1989م.
- ✽ الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيد علي بن محمد بن العباس (ت نحو 400هـ)، طبع المكتبة العنصرية، بيروت، ط: 1، 1424هـ.
- ✽ الأولياء، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادى الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت 281هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: 1، 1413هـ.
- ✽ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، طبع دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
- ✽ البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المعروف بابن الملقن (ت 804هـ)، تحقيق مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، طبع دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط: 1، 1425هـ - 2004م.
- ✽ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني الملقب بابن مريم (ت بعد 1014هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت.ط.).

✽ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري الأنباري (ت577هـ)، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، طبع مكتبة الخانجي، القاهرة ط: 2، 1417هـ. 1996م.

✽ التدوين في أخبار قزوين، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافي القزويني (ت623هـ)، تحقيق عزيز الله العطاردي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ. 1987م.

✽ التذكرة في الأحاديث المشتهرة، اللآلئ المشورة في الأحاديث المشهورة، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت794هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1406هـ. 1986م.

✽ الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد البغدادي المعروف بابن شاهين (ت385هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1424هـ. 2004م.

✽ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لزكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري (ت656هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1417هـ.

✽ الترغيب والترهيب، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني الملقب بقوام السنة (ت535هـ)، تحقيق أيمن بن صالح بن شعبان، طبع دار الحديث، القاهرة، ط: 1، 1414هـ. 1993م.

✽ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للحافظ أبي عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي (ت463هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.

✽ التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، لإبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، تحقيق محمد الوثيق، طبع دار ابن حزم، ط: 1، 1432هـ. 2011م.

✽ التواضع والخمول، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1409هـ. 1989م.

✽ التويخ والتنبيه، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت369هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، طبع مكتبة الفرقان، القاهرة.

✽ التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت1031هـ)، طبع مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط: 3، 1408هـ. 1988م.

✽ الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذي، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ)، الجزءان الأول والثاني بتحقيق أحمد محمد شاكر، والجزء الثالث بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، والجزءان الرابع والخامس بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.ط.).

✽ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت671هـ)، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2، 1384هـ. 1964م.

✽ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق الدكتور محمود الطحان، طبع مكتبة المعارف، الرياض، ط: 1، 1403هـ. 1982م.

✽ الجرح والعديل، للحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت327هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.ط.).

✽ المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (ت390هـ)، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1426هـ. 2005م.

✽ الحاوي للفتاوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1424هـ. 2004م.

✽ الحكيم، لأحمد بن محمد بن عبد الكريم المشهور بابن عطاء الله السكندري (ت709هـ)، تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، طبع المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط: 1، 1432هـ. 2012م.

- ✽ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، طبع دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
- ✽ الدعاء، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت360هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1413هـ.
- ✽ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، للقاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي (ت799هـ)، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1417هـ. 1996م.
- ✽ الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق الدكتور أبو اليزيد أبو زيد العجمي، طبع دار السلام، القاهرة، 1428هـ. 2007م.
- ✽ الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت465هـ)، تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، طبع دار المعارف، القاهرة.
- ✽ الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني، ضبط وتصحيح عمر الديراوي أبي حجلة، مكتبة المعارف، بيروت، ط: 3، 1983م.
- ✽ الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت328هـ)، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1412هـ. 1992م.
- ✽ الزبدة في شرح البردة، لبدر الدين محمد الغزي، (ت984هـ)، تحقيق الدكتور عمر موسى باشا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- ✽ الزهد الكبير، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، البيهقي (ت458هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: 3، 1996م.
- ✽ الزهد والرقائق لابن المبارك، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التركي ثم المزوزي (ت181هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ الطبع.

✽ الزهد، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ)، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، وأبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، طبع دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط: 1، 1414هـ. 1993م.

✽ الزهد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، وضع حواشيه محمد عبد السلام شاهين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1420هـ. 1999م.

✽ الزهد لابن أبي الدنيا، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ)، طبع دار ابن كثير، دمشق، ط: 1، 1420هـ. 1999م.

✽ الزواجر عن اقتراف الكبائر، لأبي العباس شهاب الدين شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت974هـ)، طبع دار الفكر، ط: 1، 1407هـ. 1987م.

✽ السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت287هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1400هـ.

✽ السنن الصغرى المسماة بالمجتبى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي النسائي (ت303هـ) ومعه شرح جلال الدين السيوطي (ت911هـ) وحاشية السندي، دار الكتاب العربي بيروت (د.ت.ط.).

✽ السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني البيهقي (ت458هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3، 1424هـ. 2003م.

✽ السنن الكبرى، للإمام النسائي (ت303هـ)، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1411هـ. 1991م.

✽ السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لأبي الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت1044هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1427هـ.

✽ الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأَجَرِيُّ البغدادي (ت360هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، طبع دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: 2، 1420هـ. 1999م.

✽ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي (ت544هـ)، طبع دار الفيحاء، عمان، ط: 2، 1407هـ.

✽ الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لأبي الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل طاشكُتُري زَادَه (ت968هـ)، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

✽ الشكر، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ)، تحقيق بدر البدر، طبع المكتب الإسلامي، الكويت، ط: 3، 1400هـ. 1980م.

✽ الصبر والثواب عليه، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1418هـ. 1997م.

✽ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، طبع دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، 1407هـ. 1987م.

✽ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت578هـ)، صححه وراجعاه السيد عزت العطار الحسيني، طبع مكتبة الخانجي، مصر، ط: 2، 1374هـ. 1955م.

✽ الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (ت322هـ)، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، طبع دار المكتبة العلمية، بيروت، ط: 1، 1404هـ. 1984م.

✽ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت902هـ)، طبع دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.

✽ الطب النبوي، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت430هـ)، تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 2006م.

✽ الطبقات الكبرى، لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، لأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية الشَّعْراني، (ت973هـ)، طبع مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، 1315 هـ.

✽ الظرف والظرفاء، لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، المعروف بالوشاء (ت325هـ)، تحقيق كمال مصطفى، نشر مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر، مطبعة الاعتماد، ط: 2، 1371 هـ. 1953م.

✽ العزلة، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت388هـ)، طبع المطبعة السلفية، القاهرة، ط: 2، 1399 هـ.

✽ العزلة والانفراد، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ)، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، طبع مكتبة الفرقان، القاهرة.

✽ العظمة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت369هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، طبع دار العاصمة، الرياض، ط: 1، 1408 هـ.

✽ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، طبع إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط: 2، 1401 هـ. 1981م.

✽ الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي الهمداني (ت509هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1406 هـ. 1986م.

✽ الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنذَه (ت395هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، طبع مكتبة القرآن، القاهرة، دون تاريخ.

✽ الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة، لشمس الدين محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي المعروف بعقيلة (ت1150هـ)، تحقيق الدكتور محمد رضا، طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1421 هـ. 2000م.

✽ القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، طبع مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 8، 1426هـ - 2005م.

✽ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيح، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت902هـ)، طبع دار الريان للتراث، دون تاريخ.

✽ الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 3، 1417هـ - 1997م.

✽ الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد بن عدي الجرجاني (ت365هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، طبع الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1997م.

✽ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت235هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، طبع مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1409هـ.

✽ الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء الملقب سيبويه (ت180هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبع مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 3، 1408هـ - 1988م.

✽ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت538هـ)، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1407هـ.

✽ الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (ت310هـ)، تحقيق أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1421هـ - 2000م.

✽ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت1061هـ)، تحقيق خليل المنصور، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1997م.

- ✽ المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت370هـ)، تحقيق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، طبع دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1411هـ. 1991م.
- ✽ المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت333هـ)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر جمعية التربية الإسلامية، البحرين، أم الحصم، ودار ابن حزم، بيروت، تاريخ النشر 1419هـ.
- ✽ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي الدارمي البُستي (ت354هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبع دار الوعي، حلب، ط: 1، 1396هـ.
- ✽ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت542هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422هـ.
- ✽ المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت458هـ)، تحقيق خليل إبراهيم جفال، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1417هـ. 1996م.
- ✽ المدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (ت737هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1401هـ. 1981م.
- ✽ المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت275هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1408هـ.
- ✽ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (ت748هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1411هـ. 1990م.
- ✽ المسند للشاشي، لأبي سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي البُنْكِي (ت335هـ)، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، طبع مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 1، 1410هـ.
- ✽ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، (المتوفى نحو 770هـ)، طبع المكتبة العلمية، بيروت.

✽ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تنسيق الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، طبع دار العاصمة، ودار الغيث، السعودية، ط: 1، 1419هـ.

✽ المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت360هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبع دار الحرمين، القاهرة، دون تاريخ الطبع.

✽ المعجم الصغير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ)، تحقيق محمد شكور ومحمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي بيروت، ط: 1، 1405هـ - 1985م.

✽ المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت360هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبع مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: 2، دون تاريخ الطبع.

✽ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت806هـ)، (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1426هـ - 2005م.

✽ المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، طبع دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت.

✽ المنامات، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: 1، 1413هـ - 1993م.

✽ المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1420هـ - 2000م.

✽ المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام الحافظ أبي محمد عبد بن حميد (ت249هـ)، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط: 1، 1408هـ - 1988م.

✽ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني (ت 923هـ)، طبع المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ.

✽ الموضوعات، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، طبع المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط: 1، 1388هـ. 1968م.

✽ الموضوعات، لرضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت 650هـ)، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، طبع دار المأمون للتراث، دمشق، ط: 2، 1405هـ.

✽ الموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ)، برواية يحيى بن يحيى الليثي (ت 234هـ)، تحقيق محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، ط: 1، 1423هـ. 2002م.

✽ النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري (ت 606هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر بيروت، (د.ت.ط).

✽ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، طبع دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ. 2000م.

✽ أمالي ابن بشران، لأبي القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشران بن مهران البغدادي (ت 430هـ)، ضبطه أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، طبع دار الوطن، الرياض، ط: 1، 1418هـ. 1997م.

✽ أمالي ابن سمعون الواعظ، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي ابن سمعون الواعظ (ت 387هـ)، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1423هـ. 2002م.

✽ إنباء الغمر بأبناء العمر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق الدكتور حسن حبشي، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ. 1969م.

✽ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي (ت 685هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1418هـ.

✽ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للشيخ إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت 1339 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1410 هـ. 1990م.

✽ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث أبي محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (ت 282هـ)، تأليف أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (ت 807 هـ)، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط: 1، 1413هـ - 1992م.

✽ بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، طبع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 3، 1421هـ - 2000م.

✽ بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي المعروف بابن القطان (ت 628هـ)، تحقيق الدكتور الحسين آيت سعيد، طبع دار طيبة، الرياض، ط: 1، 1418هـ - 1997م.

✽ تاج التراجم في طبقات الحنفية، لزين الدين أبي العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت 879هـ)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، طبع دار القلم، دمشق، ط: 1، 1413هـ - 1992م.

✽ تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، طبع دار الهداية، مصر، دون تاريخ.

✽ تاريخ ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ومكتبة المدرسة، بيروت، (د.ت.ط).

✽ تاريخ الجزائر العام، للعلامة عبد الرحمن الجيلالي، طبع دار الأمة، الجزائر، 2009م.

✽ تاريخ المدينة، لأبي زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري (ت262هـ)، تحقيق فهد محمد شلتوت، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق مصطفى عبد أحمد، جدة، 1399هـ.

✽ تاريخ بغداد، لأبي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط: 1، 1417هـ.

✽ تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ. 1995م.

✽ تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (ت1237هـ)، طبع دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

✽ تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1404هـ.

✽ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق أبي قتبية نظر محمد الفاريابي، طبع دار طيبة.

✽ تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419هـ. 1998م.

✽ ترتيب الأمالي الخميسية، ليحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت499هـ)، رتبها القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (ت610هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422هـ. 2001م.

✽ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، طبع مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط: 1.

✽ تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت310هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1420هـ. 2000م.

✽ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، طبع دار طيبة للنشر
والتوزيع، الرياض، ط: 2، 1420هـ. 1999م.

✽ تلبس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
(ت597هـ)، طبع دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط: 1، 1421هـ .
2001م.

✽ تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي
(ت676هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

✽ تهذيب التهذيب، للأمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني الشافعي (ت852هـ)، طبع مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،
ط: 1، 1326هـ.

✽ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد
الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي (ت742هـ)، تحقيق الدكتور بشار
عواد معروف، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1400هـ. 1980م.

✽ تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت370هـ)،
تحقيق محمد عوض مرعب، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1،
2001م.

✽ جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن
عاصم النمري القرطبي (ت463هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، طبع دار ابن
الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1414هـ. 1994م.

✽ حاشية السندي على سنن ابن ماجه، المسمى كفاية الحاجة في شرح سنن ابن
ماجه، لأبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي السندي
(ت1138هـ)، طبع دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

✽ حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن
علي الصبان الشافعي (ت1206هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1،
1417هـ. 1997م.

✽ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن
إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت430هـ)، طبع السعادة، بجوار
محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

✽ حياة الحيوان الكبرى، لأبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الديميري الشافعي (ت808هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1424هـ.

✽ خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله الأزراري ابن حجة الحموي (ت837هـ)، تحقيق عصام شقيو، طبع دار ومكتبة الهلال، بيروت، ودار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م.

✽ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل الدمشقي (ت1111هـ)، طبع دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

✽ خلق أفعال العباد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت256هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، طبع دار المعارف، الرياض، السعودية، دون تاريخ.

✽ ديوان امرئ القيس، ضبط وتصحيح مصطفى عبد، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 5، 1425هـ. 2004م.

✽ ديوان جرير، لجرير بن عطية الخطفي (ت732هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ. 1986م.

✽ ديوان كعب بن مالك الأنصاري، لكعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الصحابي (ت50هـ)، تحقيق مجيد طراد، طبع دار صادر، ط: 1، 1997م.

✽ ذم الهوى، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ومراجعة الشيخ محمد الغزالي

✽ ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني الفاسي (ت832هـ). تحقيق كمال يوسف الحوت، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1410هـ. 1990م.

✽ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي (ت354هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

✽ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، طبع دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1412هـ. 1992م.

✽ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (ت1206هـ)، طبع دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، بيروت، ط: 3، 1408هـ. 1988م.

✽ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت1111هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419هـ. 1998م.

✽ سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه (ت275هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د.ت.ط.).

✽ سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

✽ سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر الدارقطني (ت385هـ)، شعيب الارنؤوط، وحسن عبد المنعم شليبي، وعبد اللطيف حرز الله، وأحمد برهوم، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1424هـ. 2004م.

✽ سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي (ت255هـ)، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، طبع دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1412هـ. 2000م.

✽ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ. 1985م.

✽ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني (ت1122هـ)، طبع دار الكتب العلمية، ط: 1، 1417هـ. 1996م.

✽ شرح السنة، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت516هـ)، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1403هـ. 1983م.

✽ شرح الكافية الشافية، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجبائي (ت672هـ)، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، طبع جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط: 1.

✽ شرح المقاصد في علم الكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (ت793هـ)، طبع دار المعارف النعمانية، باكستان، ط: 1، 1401هـ. 1981م.

✽ شرح حَكَم الإمام ابن عطاء الله السكندري، للعلامة عبد المجيد الشرنوبى (ت1348هـ)، ضبطه الدكتور عبد الفتاح البزم، طبع دار ابن كثير، دمشق، ط: 14، 1433هـ. 2012م.

✽ شرح صحيح مسلم المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 2، 1392هـ.

✽ شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني البيهقي (ت458هـ)، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، طبع مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، والدار السلفية، بومباي، بالهند، ط: 1، 1423هـ. 2003م.

✽ شعر عمرو بن مَعْدِ كَرِب الزُّبَيْدِي، لعمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي (ت21هـ)، جمع وتنسيق مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ط: 2، 1405هـ. 1985م.

✽ صحيح ابن خزيمة، للحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت311هـ)، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت (د.ت.ط).

✽ صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت311هـ)، ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، اعتنى به محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، مصر ط: 1، 1423هـ. 2003م.

✽ صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ. 1992م.

✽ طبقات الأولياء، لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المعروف بابن الملقن (ت804هـ)، تحقيق نور الدين شريبه، طبع مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 2، 1415هـ. 1994م.

- ✽ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ)، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، طبع هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ.
- ✽ طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت851هـ)، تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، طبع عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1407هـ.
- ✽ طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري السلمي (ت412هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419هـ. 1998م.
- ✽ عمدة الكتاب، لأبي جعفر النُّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت338هـ)، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، طبع دار ابن حزم، بيروت، والجفان والجابي للطباعة والنشر، ط: 1، 1425هـ. 2004م.
- ✽ عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
- ✽ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت852هـ)، رَقْم كتبه وأبوابه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- ✽ فضائل القرآن، لأبي العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر بن الفتح بن إدريس المُسْتَعْفِرِي النَّسَفِي (ت432هـ)، تحقيق أحمد بن فارس السلوم، طبع دار ابن حزم، ط: 1، 2008م.
- ✽ فهرس الفهارس والأبواب ومعجم المعاجم والمشيوخ، للشيخ عبد الحي بن عبد الكريم الحسيني الإدريسي الكتاني الفاسي (ت 1350 هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1402 هـ - 1982م.
- ✽ فوات الوفيات والذيل عليها، تأليف محمد بن شاکر الکتبی (ت 764 هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، (د.ت.ط).
- ✽ فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت1031هـ)، طبع المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: 1، 1356هـ.

✽ قصر الأمل، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط: 2، 1417هـ - 1997م.

✽ قصيدة الهمزية، للإمام أبي عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (ت696هـ)، شرح وتعليق الدكتور بوعبد الله غلام الله، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط: 3، 1427هـ - 2006م.

✽ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي (ت386هـ)، تحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1426هـ - 2005م.

✽ كتاب الأفعال، لأبي القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطّاع الصقلي (ت515هـ)، طبع عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1403هـ - 1983م.

✽ كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت816هـ)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1403هـ - 1983م.

✽ كتاب الفوائد (الغيلانيات)، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوّه البغدادي الشافعي البزّاز (ت354هـ)، تحقيق حلمي كامل أسعد عبد الهادي، طبع دار ابن الجوزي، السعودية، الرياض، ط: 1، 1417هـ - 1997م.

✽ كتاب المواقف، لأبي الفضل عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي (ت756هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، طبع دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1417هـ - 1997م.

✽ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لأبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي (ت1162هـ)، طبع المكتبة العصرية، تحقيق عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط: 1، 1420هـ - 2000م.

✽ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت1067هـ)، طبع مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.

✽ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، للعلامة أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ)، ضبط وتعليق أبي يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1422هـ - 2002م.

✽ كنوز الذهب في تاريخ حلب، لموفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، سبط ابن العجمي (ت884هـ)، طبع دار القلم، حلب، ط: 1، 1417هـ.

✽ لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي المعروف بالخازن (ت741هـ)، تحقيق محمد علي شاهين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ.

✽ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الشافعي (ت807هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1402هـ. 1982م.

✽ مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت395هـ)، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1406هـ. 1986م.

✽ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، طبع شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: 1، 1420هـ.

✽ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (ت768هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1417هـ. 1997م.

✽ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة الملاء علي القاري (ت1014هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر بيروت، 1414هـ. 1994م.

✽ مسند ابن الجعد، لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت230هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، طبع مؤسسة نادر، بيروت، ط: 1، 1410هـ. 1990م.

✽ مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت204هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، طبع دار هجر، مصر، ط: 1، 1419هـ. 1999م.

✽ مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلبي (ت307هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، طبع دار المأمون للتراث، دمشق، ط: 1، 1404هـ - 1984م.

✽ مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، وإشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبع مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ. 2001م.

✽ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت292هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 1، 2009م.

✽ مسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الرؤياني (ت307هـ)، تحقيق أيمن علي أبو يمان، طبع مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط: 1، 1416هـ.

✽ مسند الشاميين، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت360هـ)، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1405هـ. 1984م.

✽ مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت454هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1407هـ. 1986م.

✽ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت544هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: 1، 1418هـ. 1997م.

✽ مشيخة ابن شاذان الصغرى، لأبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن ابن محمد بن شاذان البزاز (ت425هـ)، تحقيق عصام موسى هادي، طبع مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط: 1، 1419هـ. 1998م.

✽ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايمار بن عثمان البوصيري (ت840هـ)، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، طبع دار العربية، بيروت، ط: 2، 1403هـ.

✽ معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، للأستاذ عادل نويهض، مؤسسة عادل نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط: 2، 1403هـ. 1983م.

✽ معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ)، تحقيق إحسان عباس، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1414هـ. 1993م.

✽ معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، طبع مكتبة القدس، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1412هـ. 1992م.

✽ معجم الشيوخ، لثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، تحقيق الدكتورة وفاء تقي الدين، طبع دار البشائر، دمشق، ط: 1، 1421هـ. 2000م.

✽ معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط: 1، 1412هـ.

✽ معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت 1408هـ)، طبع مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

✽ معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط 1: 1415هـ. 1994م.

✽ معرفة الصحابة، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ)، تحقيق الدكتور راضي بن الحاج عثمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ومكتبة الحرمين، الرياض، ط: 1، 1408هـ. 1988م.

✽ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420هـ.

✽ مكارم الأخلاق للطبراني، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت 360هـ)، مطبوع مع مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1409هـ. 1989م.

✽ مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (ت 327هـ)، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، طبع دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: 1، 1419هـ. 1999م.

✽ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت.ط.).

✽ نزهة الألباب في الألقاب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق عبد العزيز محمد بن صالح السديري، طبع مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1409هـ. 1989م.

✽ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت894هـ)، طبع المطبعة الكاستلية، مصر، 1283هـ.

✽ نظم العقيان في أعيان الأعيان، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق فيليب حتي، طبع المكتبة العلمية، بيروت، دون تاريخ.

✽ نواذر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي (ت نحو 320هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، طبع دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

✽ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، (ت 1036هـ)، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط: 1، 1398هـ. 1989م.

موقع الطريقة الرحمانية بقسنطينة www.rahmaniaconstantine.dz

Alain mahé, Histoire de la grande kabylie, édition bouchène, 2001.

فهرس الموضوعات

3	الصفات التي يستحق بها المريد الطرد من الطريق
3	سوء الخلق مع الإخوان والتعامل على الشيخ
4	هجران مجلس الشيخ و ازدراء الإخوان
5	عصيان الشيخ ومراجعة أمره
6	التهاون عن صلاة الجمعة والجماعة
6	ارتياذ مجالس اللهو
7	التجسس على الشيخ
7	التهاون في الطهارة والتكاسل في أداء العبادة
7	التنقص من كمال أحوال الشيخ
8	تَصُدُّر مجلس الذكر بدون إذن الشيخ
8	الإكثار من الضحك
10	تتمة في أن الحكمة من الطرد المحافظة على صلاح باقي الإخوان
11	آداب المريد مع شيخه
16	التأدب مع الشيخ في مجلسه وفي طرق بابہ
19	استئذان الشيخ والعمل بكلامه
21	ترك استعمال أغراض الشيخ الخاصة به
23	التفاني في خدمة الشيخ
25	تعظيم مكان الشيخ وثيابه
26	تعظيم أولاد الشيخ وأصحابه وأشياءه
27	حب الشيخ وإدخال السرور عليه ومطالعة كتبه
30	ترغيب الناس في الاجتماع على الشيخ والانتظام في حزبه
32	حفظ سر الشيخ واستئذانه في زيارة غيره
34	الاعتراف بما حصل له من بركة الشيخ
34	تسليم المريد لأمر الشيخ ومشاورته في كل شيء
36	عدم التجسس عن حال الشيخ في العبادات والعادات
36	ترك الزواج بمطلقة الشيخ وأرملته

37	ملازمة الاجتماع على ذكر الورد
40	آداب المرید مع إخوانه
41	خدمة الإخوان وتقديم العون لهم
44	حب الإخوان
45	الرأفة والرحمة بالإخوان
45	ستر عيوب الإخوان
48	معادة أعداء الإخوان
48	إيثار الإخوان ولو كان به خصاصة
49	نصيحة الإخوان وحثهم على الوضوء والصلاة
51	التواضع مع الإخوان
52	ترك طلب الرئاسة والتقدم على الإخوان
53	الصبر على الإخوان والصفح عنهم
54	حسن الظن بالإخوان
55	ترك أذى الإخوان
56	ترك التشويش على الإخوان في حلق الذكر
56	عدم الخروج من مجلس الذكر قبل الفراغ منه
58	حث الإخوان على الذكر وتعليمهم الآداب الشرعية
58	قدوة المرید لإخوانه في أعمال البر
59	تنبيه الإخوان على الذكر والعبادة عند غفلتهم
60	ترك البغي على الإخوان
60	عيادة مرضى الإخوان وخدمتهم بإخلاص
61	إدخال السرور على قلوب الإخوان
63	ذكر محاسن الإخوان وترك ذمهم
64	تنبيه في التماس الأعذار للإخوان
64	الدعاء للإخوان
64	شروط الدعاء
65	إكرام الإخوان وقضاء حوائجهم
66	إيقاظ الإخوان من الغفلة وتحذيرهم من مجالسة السفلة

68		حث الإخوان على ملازمة الذكر واحترام الشيخ
68		السعي في إيصال النفع للإخوان
69		دعوة إلى تحصيل الآداب والعمل بها
71		داب الخلوة
71		محاسن الخلوة وثمراتها
73		استعداد المريد بالعدة قبل الخلوة
74		مدة الخلوة
75		شروط الخلوة
76		الشرط الأول: تمرين النفس على السهر والجوع والعزلة
76		الشرط الثاني: استئذان الشيخ
76		الشرط الثالث: نية حبس النفس عن الناس
78		الشرط الرابع: دخول الشيخ قبل المريد
78		الشرط الخامس: التأدب في الدخول إلى الخلوة
79		الشرط السادس: تنزيه الله تعالى
80		الحذر من الوارد الشيطاني
82		الشرط السابع: عدم انتظار الكرامات
83		الشرط الثامن: الوقار
83		الشرط التاسع: إشغال القلب بالذكر
84		الشرط العاشر: اختيار المكان المظلم
84		الشرط الحادي عشر: الصيام
85		الشرط الثاني عشر: دوام الطهارة في الليل والنهار
85		الشرط الثالث عشر: السكوت إلا عن ذكر الله
86		الشرط الرابع عشر: إطراق الرأس عند الخروج لقضاء الحاجة
86		الشرط الخامس عشر: ترك السعي إلى الجماعة والجمعة
89		الاقتصار على ذكر الله والنوافل المؤكدة
90		الشرط السادس عشر: التوسط في الأكل
92		الشرط السابع عشر: ترك النوم إلا إذا غلبه
93		الشرط الثامن عشر: نفي الخواطر كلها

95	 الخواطر
95	 أنواع الخواطر
96	 ألقاب الخواطر
97	 نتائج الخواطر
97	 أمثلة الخواطر
99	 علامات الخواطر
99	 علامة النوع الأول
99	 علامة النوع الثاني والثالث
100	 علامة النوع الرابع من الخواطر
100	 علامة النوع الخامس من الخواطر
101	 تتممة [في الفرق بين الخاطر والوارد
102	 الشرط التاسع عشر من شروط الخلوة: دوام ربط القلب بالشيخ
102	 الشرط العشرون: لا يفتح باب الخلوة لطارق إلا لشيخه وخادمه
103	 الشرط الحادي والعشرون: لا يطلب من شيخه تفسير ما يراه
103	 إخبار الشيخ بما يرى ولا يكتم عنه شيئاً
104	 اعتماد قول الشيخ إذا أخبر بنوع الخاطر
105	 الشرط الثاني والعشرون: ملازمة الذكر والدوام عليه
109	 الشرط الثالث والعشرون: الإخلاص
109	 الشرط الرابع والعشرون: عدم تعيين مدة الخروج
111	 وجوب حفظ الشروط ومعرفتها والعمل بها
112	 تدريج الأسماء
116	 أقسام النفس
117	 تنبيه في ترقى السالك في المقامات
119	 تتممة في معنى التجلي
120	 معنى النفس
123	 صفات النفوس ومقاماتها
123	 النفس الأمانة
124	 مقام النفس الأمانة

125	قطع الحجب بكلمة التوحيد
126	المداومة على الذكر ولو مع عدم حضور القلب
131	التراقي من النفس الأمانة إلى النفس اللوامة
132	مقام النفس اللوامة وصفاتها
133	ملازمة صاحب النفس اللوامة ذكر الله
141	النفس الملهمة
142	صفات النفس الملهمة
143	ذكر الاسم (هو) بشدة وقوة
146	تنبيه في الوحدة والكثرة والاختلاف فيها بين المتكلمين والمتصوفة .
163	النفس المطمئنة
165	الاشتغال باسم الله تعالى (حق)
166	طلب كمال النفس المطمئنة بدوام ذكر اسم الله حق
167	النفس الراضية
171	تنبيه في معنى الفناء
172	ذكر اسم الله حي
176	النفس المرضية
176	صفات النفس المرضية
177	معنى الحيرة عند الصوفية
177	ذكر اسم الله قيوم
178	ميل صاحب النفس المرضية إلى الخلق لإرشادهم
180	تجليات صاحب النفس المرضية
182	النفس الكاملة
184	مفتاح النفس الكاملة ذكر اسم الله قهار
187	ما خصّ الله به صاحب النفس الكاملة
188	تأهل صاحب النفس الكاملة للبس لبخرقة
193	تنبيه في مُرَكَّبِ اللطائف السبع
198	آداب النقباء
203	نقيب النقباء

204	الإخلاص في خدمة الإخوان
205	الخضوع للواردين من الإخوان
205	البشاشة في وجه الإخوان والترحيب بهم
206	حفظ نعال الإخوان
211	معنى النعال السبئية
216	آداب ساقى الماء
216	تنظيف أواني سقي الماء
218	نظافة يد الساقى وثيابه
220	معرفته بآداب الشرب وتعليمها للمريدين
223	تهيئة أباريق الاستنجاء والوضوء للإخوان
224	ترك الاستئثار بحضرة الإخوان
224	ترك البصاق بحضرة الإخوان
225	وضع أكواب الماء والأوعية عند الأكل
225	القيام بخدمة الإخوان عند أكلهم
225	غسل ما أصيب من ثياب الإخوان عند الأكل
226	البشاشة في وجوه الإخوان
226	الدعاء للإخوان بعد الشرب
228	أوقات سقي الإخوان
229	البدء في السقي بالأيمن فالأيمن
223	عدم تخطي رقاب الإخوان أو منع الماء عنهم
231	نقيب السَّمَاط
231	آداب نقيب السَّمَاط
232	خفض الصوت وخفة العمل
233	مُعِينُ نقيب السَّمَاط
234	نظافة نقيب السَّمَاط وقراءته سورة الإخلاص
235	وضع الأواني على نمط واحد من غير تخصيص أحد بشيء
236	دعاء نقيب السَّمَاط للآكلين
237	جمع ما فضل من الطعام

239	إيثار النقيب لإخوانه بالطعام
242	لا يختص النقيب بشيء دون إخوانه
242	السعي في جمع التبرعات من غير إلحاح ولا إخفاء شيء
243	تعليم الإخوان آداب الأكل
247	آداب الأكل
247	الجلوس عند الأكل
251	تصغير اللقمة وإجادة المضغ
251	لا يردّ شيئاً من الطعام إلى الإناء
254	لا ينفذ اليد في الآنية أو خارجها
254	عدم الإسراف في الأكل
256	تجنب ما يستقذر عند الأكل كالاستنثار والبصاق
257	لا يتقدم غيره في الأكل
257	لا يحمل معه شيئاً من الطعام
258	المضغ الجيد للطعام
259	الحديث عند الأكل من غير إكثار
259	النهي عن طأطأة الرأس في الإناء
260	حرمة الأكل فوق الشبع
265	تأخير شرب الماء
265	لا يحلف على أحد ليأكل
266	تجنب رمي القشر
266	تقديم اللاأكل المالح قبل الحلو
267	نهش اللحم بالأسنان والاستعانة بالسكين عند الحاجة
268	مسح اليدين بعد الأكل
269	تنبيه في استعظام نعمة الله وجلالة منّته للقيام بشكره
270	استحضار نية الاستعانة بالأكل على أداء الواجبات والمندوبات
273	غسل اليدين قبل الطعام وبعده
275	نقيب الحاضرة
276	نقيب الحاضرة نائب الشيخ وخليفته

276	آداب نقيب الحضرة
277	الزهد والمعرفة باصول الطريق
277	الورع عن المحارم والمكاره
278	صدق المودة للإخوان وطول الصمت
278	البشاشة في وجوه الإخوان
278	تعليم المريدين آداب الذكر
279	تعليم المريدين الأدب مع الشيخ
280	حسن الهيئة وجمال السمات
280	ترك المزاح
281	ترك العبث
281	عدم الاكتراث بمدح الناس
285	عدم الإصغاء لما لا يعني من الكلام
286	الحرص على التعلم واكتساب المعارف
287	مراقبة أحوال الإخوان
289	الرجوع إلى الشيخ في حل ما خفي عليه
290	نقيب الحضرة واسطة بين الشيخ والمريدين
292	الرد على أسئلة الإخوان
292	معاملة الغرباء بالإحسان
294	ترغيب الناس في الطريق
295	تعليم المريدين أدب المعاشرة والصحبة مع الشيخ
296	إنارة الطريق للشيخ وحمل عصاه وحمايته
297	السعي لقضاء حاجة المريدين وتفريق الهدايا عليهم
298	حفظ ما يسقط من أغراض الذاكرين وإشعال المصابيح
299	حمل سجادة الشيخ وبسطها وطبها
300	إيقاظ المريدين لقيام الليل
302	تذكير الغافلين وتعليم الجاهلين وانتهاز الضاحكين
305	مراقبة المريدين في معاملاتهم وأمور دينهم
307	ما زاده أهل المغرب من النقباء

307	الكاتب
307	صفات الكاتب
308	وظيفة الكاتب
308	السيّار
308	وظيفة السيار
309	صفات السيار
309	العلّام
309	الشاويش
310	وظائف الشاويش
311	صفات الشاويش
311	مدار آداب النقباء على الإخلاص
315	تتمة في الأسباب المَعينة على الإخلاص
316	صفة الصدق
317	أنواع الصدق ومراتبه
317	تعريف النية
319	أثر النية في الأعمال
320	خاتمة المنظومة
320	الترغيب في العمل بها
320	اسم المنظومة
322	اشتمالها على الآداب الشرعية المفيدة
324	سؤال المصنف ربه المغفرة
325	سؤاله العفو له ولإخوانه
326	دعاء المصنف لوالديه وللمتقين
327	معنى التقوى
327	مراتب التقوى
328	سؤاله اللطف عند نزاع الروح
228	معنى اسم الله السبوح
331	معنى اسم الله اللطيف

333	سؤاله الرحمة عند الموت والأنس في القبر
336	سؤاله النجاة بعد الموت والثبات عند السؤال
336	معنى اسم الله الباري
338	سؤاله الرحمة يوم المحشر
339	معنى اسم الله القادر
340	سؤاله النظر إلى وجه الله الكريم
340	سؤاله الاستظلال بظل العرش يوم الحشر
341	سؤاله الأمن يوم تطاير الصحف
342	معنى اسم الله الرؤوف
343	وقت تطاير الصحف
345	سؤاله رجحان كفة الميزان
345	معنى اسم الله الرحمن
348	سؤاله الحفظ عند الصراط
349	سؤاله بأسمائه الحسنی الرضا عنه
350	سؤاله قبول الدعاء
352	ختم المنظومة بالصلاة والسلام على سراج الأنام
363	فهرس الآيات
382	فهرس الأحاديث
398	فهرس الموضوعات

